الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن 16 م إلى 19 م

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

الهادي هارون

الأستاذ المشرف:

الدكتور : صالح بوسليم

لجنة المناقشة

الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د/ إبراهيم بحاز بكير	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د/ صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا و مقررا
أ.د/ محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
د/ محمد الزين	أستاذ محاضر	جامعة بلعباس	عضوا مناقشا
د/ رضوان شافو	أستاذ محاضر – أ -	جامعة الوادي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1436-1437 هـ /2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـر

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ سورة إبراهيم الآية 7

قال الله تعالى: " ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ سورة التوبة الآية 105

أولا الشكر لله العلي الكريم الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذا العمل ، وثانيا نصلي ونسلم على

سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) عليه أفضل الصلاة والسلام .

ثم أتقدم بالشكر بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور المشرف صالح بوسليم على قبوله الاشراف على:

هذا العمل وعلى المساعدة الكبيرة التي قدمها لي من خلال نصائحه وتوجيهاته والوقوف على

تصحيح المذكرة كما أشكر لجنة المناقشة المحترمة على تفضلها مناقشة عملي

دمتم ودمنا في خدمة العلم والمعرفة

الطالب الهادي هارون

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع من علماني ان الحياة كفاح والدي الكريمين

كما أهدي هذا الجهد إلى من تحملت معي متاعب البحث

و إلى أبنائي وإلى إخوتي خاصة الاخت الصغرى سعيدة

وإلى كل من علمني وأخذت عليه زاد المعرفة

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة:

أ–باللغة الغربية :

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متعددة متلاحقة
ع	العدد
ط	الطبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	الجزء
م	مجلد
د ت	دون تاريخ
د ن	دون ناشر
د م ج	ديوان المطبوعات الجامعية

ب–باللغة الاجنبية:

T	**Tome**
P	**Page**
PP	**Page continue**
Tr	**Traduit par**
FP	**First published**
vol	**Volume**
N	**Numéro**
sd	**Sans date**

مقـــــدمة

لقد انتشر الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء عبر منفذين رئيسيين احدهما في :شمال القارة متبعا طريق القوافل والمراكز التجارية ،والساحل الأطلسي، أما المنفذ الثاني فيمتد من مصر والسودان عبر السودان الأوسط؛ وكان هذا الانتشار وفق أساليب وطرق عديدة ،كالدعاة، و التّجار، و الطرق الصوفية ، ولعلّ أهم مَنْ نشّط الدعوة بإفريقيا جنوب الصحراء، هم التجار والطرق الصوفية، حتى أن غالبية سكان تلك المناطق ارتبطوا بالطرق الصوفية إلى أن صار الارتباط بالطرق مرادفاً لاعتناق الإسلام.

ومن هذه الطرق، التي كان لها فضل السبق في الانتشار هنالك، الطريقة القادرية ، والتي كان لها دور كبيرٌ من الناحية الحضارية بالمنطقة، وأسهمت في ترسيخ الإسلام وتوسيع رقعته في أدغال إفريقيا ،ومساعدة الأفارقة في تطوير ذاتهم ،وهو ما تجلى في بروز شخصيات محلية كان لها الدور الفعال في رفع رايات الجهاد و الإصلاح، ومن أجل معرفة هذا الدور للقادرية بالمنطقة جاءت المذكرة تحت عنوان: **الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن 16 –19 م**

دواعي اختيار الموضوع:

لقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع جملة من الدواعي، نذكر منها :

– إن موضوع الطرق الصوفية في افريقيا جنوب الصحراء، نال اهتمامي منذ السنة النظرية، حيث قدمت بحثًا خلالها يتعلق بالطرق الصوفية بغرب إفريقيا القادرية والتجانية أنموذجا، فولد ذلك رغبة داخلية للاطلاع والبحث أكثر في الموضوع.

-أثناء المطالعة تبيّن لي محدودية الدراسات المتعلقة بالطريقة القادرية بذاتها في المنطقة، فجل الدراسات تتكلم عن الطرق الصوفية بالمنطقة كدراسة عامة.

-تشجيع الأستاذ المشرف على الخوض في هذا الموضوع ،لتميزّه وجدارته بالبحث.

الهدف من الدراسة:

هو الخوض في تفاصيل الدور الذي قامت به الطريقة القادرية في حمل راية الإسلام وتوسيعها وترسيخها في وسط وغرب إفريقيا، من خلال مجموعات العلماء والقبائل التي حملت على عاتقها نشر الحضارة والثقافة الإسلامية، وقصدنا من ذلك تقديم المفيد لمن يجهل الكثير عن هذه الأدوار.

الاطار الزماني والمكاني للدراسة:

تم اختيار الفترة الممتدة بين القرنين السادس عشر و التاسع عشر للميلاد، كإطار زماني لموضوع دراستي هذه، وذلك لأهمية هذه الفترة في تاريخ القارة والمنطقة، فبداية القرن السادس عرف ولوج الطريقة القادرية إلى إفريقيا جنوب الصحراء، عبر الصحراء سواء من بلاد المغرب أو من المشرق -مصر والسودان-، أما نهاية الاطار الزماني فحددته بالقرن التاسع عشر للميلاد، لما شهده هذا القرن من أحداث هامة، كقيام الحركات الإصلاحية والجهادية التي كان للطريقة القادرية نصيبًا هامًا فيها، كحركة بن فودي، أحمد الماسين القادري والأمين الكانمي، وأحمد بمبا.

أما الاطار المكاني فاخترت جزءًا هامًا من افريقيا جنوب الصحراء ، وهو وسط وغرب افريقيا لاعتبارها الضفة المقابلة لبلاد المغرب، وهي المنافذ التي عبر منها الإسلام لأدغال القارة الافريقية.

اشكالية الدراسة:

وتتعلق الإشكالية أساسا بالدور الحضاري للطريقة القادرية بوسط وغرب إفريقيا فيما بين القرنيين السادس عشر والتاسع عشر للميلاد ؟ وكيف وصلت الطريقة القادرية للمنطقة ؟ وماهي الأساليب والوسائل المتبعة في انتشارها و تأثيرها الحضاري ؟ وما هو النتاج الحضاري لشعوب المنطقة في ظل هذه الطريقة؟ وكيف كانت العلاقة بين الطريقة القادرية والطريقة التجانية الوافدة للمنطقة بعدها؟.

المنهج المتبع للدراسة:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة، على المنهج التاريخي الوصفي، والذي يعتمد على وصف الأحداث ودراستها، والمنهج التحليلي والذي اعتمدته في تحليل الأحداث تحليلا تاريخيا علميا موضوعيا مبتعدا عن الذاتية والاحكام الفردية .

الخطة المعتمدة في الدراسة:

قسّمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول حاولت من خلالها الالمام بموضوع الدراسة، وجاءت الخطة على النحو التالي:

الفصل الأول : وعنوانه: المجال الجغرافي و الطبيعي والبشري لوسط وغرب إفريقيا، وقد قسمته إلى ثلاث مباحث، جاء المبحث الأول كدراسة طبيعية وجغرافية للإقليمين المدروسين، أما المبحث الثاني فخصصته للوسط البشري للمنطقة، و المبحث الثالث تحدثت فيه عن الأوضاع العامة للمنطقة المدروسة قبيل القرن السادس عشر للميلاد .

الفصل الثاني: وعنوانه: الطريقة القادرية ،فروعها وعلاقتها بالتجانية بوسط وغرب إفريقيا، واندرج ضمنه ثلاثة مباحث، خصّصت المبحث الأول للتعريف بالطريقة القادرية ودخولها لإفريقيا جنوب الصحراء، ثم تطرقت في المبحث الثاني إلى فروع الطريقة بالمنطقة ، وجاء الثالث حول العلاقة بين القادرية و التجانية وما جرى بينهما من تنافس سلمي وتصادمي وانعكاساته على المنطقة.

الفصل الثالث: عنوانه: المساهمة الحضارية للطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا، وقسّمته الى ثلاثة مباحث، عنونت الأول بالمساهة السياسية ، والثاني بالمساهمة الاقتصادية والاجتماعية ، وأما الثالث جاء تحت عنوان: المساهمة الثقافية .

وفي الأخير أنهيت الدراسة بخاتمة خلصت فيها إلى جملة من النتائج، والتي جزء منها يبقى مثار تساؤلات تتطلب بحثا معمقا خاصة نقطة العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية .

وذيلت الدراسة بملاحق توضيحية وفهارس للأعلام والأماكن و البلدان، واخيرا فهارس للموضوعات

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتنقيب في الموضوعات التي تهم موضوع الدراسة، لاحظت أن هناك دراسات قريبة من هذا الموضوع، كمذكرة الباحثة مصطفاوي سعاد: الطريقة القادرية ودورها في غرب افريقيا بين القرنين 14م و18م ومذكرة الباحثة الزهرة مسعودي: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا، بالإضافة لبعض الدراسات حول الطرق الصوفية في إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، لذلك كان موضوع الدراسة يحتاج إلى البحث وجمع ما هو متفرق بين ثنايا المصادر و الدراسات.

المصادر و المراجع:

قد اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع

ففي المصادر اعتمدت على:

– تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي والذي تحدث عن منطقة السودان الغربي وعن مملكة مالي و سنغاي

–تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس لمحمود كعت واستفدت منه غي الحديث عن الجوانب العلمية في حواضر السودان العربي

–كتاب أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي لعبد الكريم بن محمد المغيلي تحقيق عبد القادر زبادية واعتمدت عليه في قراءة أجوبة المغيلي للأسقيا وإيضاح تأثيرها السياسي في المنطقة

– كتاب وصف إفريقيا لحسن بن محمد الوزان والذي تحدث في رحلته عن المنطقة جغرافيا وتاريخيا

كما اعتمدت في تراجم الشخصيات الواردة في المذكرة على عدة مؤلفات ككتاب نيل الابتهاج في تطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي، وكتاب سير أعلام النبلاء لشمس الدين بن عثمان الذهبي، وكتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي الولاتي

كما استعنت بجملة من المراجع سواء باللغة العربية أو الأجنبية نذكر منها

–جذور الحضارة العربية في الغرب الافريقي لعثمان برايما باري والذي تحدث عن الاسلام في المنطقة وعن الممالك الاسلامية والطرق الصوفية ،والحركات الاصلاحية

وأما الكتب الاجنبية، فاعتمدت على كتب بول مارتي Paul Martyخاصة ما تعلق بقبائل بلاد السودان ككتاب كنته الشرقيين حيث تحدث عن كنته واعلامها والطريقة القادرية بمنطقة غرب افريقيا، كما استعنت بكتاب الإسلام في إفريقيا الغربية لسبينسر تريمنجهام (Spencer Trimingham : islam in West africa)

أما الدوريات فقد اعتمدت على: مجلة قراءات افريقية – ودعوة الحق وغيرها لمواضيعها المتخصص

الصعوبات :

إن أي دراسة علمية لا تخلو من صعوبات وعراقيل تعترض طريق الباحث، سواء ما تعلق بالموضوع في ذاته أو ما تعلق بالباحث .

ففيما يتعلق بموضوع الدراسة اعترضتني الصعوبات التالية:

-اتساع الرقعة الجغرافية و الفترة الزمنية لموضوع الدراسة جعل من الصعوبة بمكان الإلمام بالموضوع وتغطيته بنسبة كبيرة جدا.

-إن الظروف الأمنية التي تعيشها المنطقة محل الدراسة ، جعل من الصعوبة الانتقال إلى المنطقة، وحدّ من إمكانية السفر اليها.

أما ما تعلق بصعوبات الباحث منها:

-عدم التفرغ الكلي للبحث ، ففي حالتي مثلا فقد تزامن نجاحي في مسابقة الماجستير، مع كثرة الالتزامات المهنية.

ولقد حاولت أن أتعامل مع هذه الصعوبات من خلال استشارة الاستاذ المشرف ومساعدته ، والتواصل مع الزملاء في تبادل المراجع ونسخ وجلب الأخرى من المكتبات المختلفة.

وفي الأخير لا يفوتني أن أجدّد الشكر للأستاذ المشرف الدكتور صالح بوسليم على قبوله الإشراف عليّ أولاً ، وعلى المساعدات المقدمة لي سواء من نصح وتوجيه، أو إمدادي بالمراجع الخاصة به ، وصبره علي في بعض فترات ضغطي، كما أشكر كل من علّمني وساعدني في حياتي الدراسية من شيخ كتّاب مسجد البلدة إلى أساتذة الدراسات العليا.

الفصل الأول

المجال الجغرافي والطبيعي والبشري لوسط وغرب افريقيا

المبحث الأول : الوسط الجغرافي والطبيعي

المبحـث الثــاني : العنصر البشـــري

المبحث الثالث : نظرة عن الأوضاع العامة قبيل القرن 16م

المبحث الأول : الوسط الجغرافي والطبيعي.

أولا : إقليم وسط إفريقيا :

1- الموقع الجغرافـي :

يقصد بإقليم وسط إفريقيا، النطاق الأوسط من القارة الإفريقية، ويمتد جغرافيًا من تشاد شمالاً إلى أنغولا جنوبًا، ومن الغابون غربًا حتى أوغندا شرقًا، وهو ينحصر فلكيا بين دائرتي عرض 22° شمالاً و 18° جنوبًا، ويضم مجموعة من الدول وهي: الكونغو الديمقراطية، الكونغو، الغابون، جمهورية إفريقيا الوسطى، الكامرون، تشاد، غينيا الاستوائية، رواندا، بورندي، أوغندا، ساتومي، وأنغولا.[1]

ومن مميزاته الطبيعية منطقة حوض الكونغو، وهي عبارة عن حوض منخفض تحيط بيه الهضاب والجبال من مختلف الجهات حيث تحصره هضاب أوبنغي من الشمال، والتي هي عبارة عن مسطحات واسعة تتخللها بعض التلال، وتطل في الشمال على حوض التشاد، أما من الجنوب تحيط به هضاب كاساي وكاتينغا، ومن الشرق سلسلة جبال إفريقيا الوسطى. وينفتح حوض الكونغو على المحيط الأطلسي ويجري فيه نهر الكونغو وله رافدان هما : أوبنغي وكاساي.[2]

---

[1]- عبد القادر المحيشي وآخرون : **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، الدار الجماهرية للنشر ، ليبيا ،ط1، 2000 ص،ص،183، 184.

[2]-أحمد بوعتروس: **الحركة الاصلاحية في افريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر-التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى ،الجزائر 2009،ص،54 .

2- الدراسة الطبيعية :

أ- التضاريـــس:

لقد مر إقليم وسط إفريقيا بأحداث جيولوجية جعلت منه إقليما عبارة عن منخفض، ويتميز هذا المنخفض بكونه حوض منخفض مغطى بطبقات من الإرسابات الحديثة، وعلى جوانب هذا الحوض منطقة المرتفعات عبارة عن هضاب تتقطع في بعض الأماكن، و تبرز فيها بعض الأحواض الصغرى .

يعتبر الملمح الإقليمي السائد في جميع أنحاء هذا المنخفض الواسع، وهو تواتر الأنهار الروافد الكبرى التي تبدو على شكل مروحة تنتشر في الغرب قبل أن تنظم في مخرج واحد من مركز الحوض، الذي لا يقل الارتفاع فيه عن ألف قدم فوق سطح البحر، ويوجد تزايد غير منتظم في الارتفاع في كل اتجاه، وتبدو جوانب المنخفض كما لو كانت مدرجًا شاسع الاتساع؛ ولذلك يرى أن هناك اختلافاً واضحًا في تضاريس المنطقة من حيث الشكل (الارتفاع) والتكوين بين مركز الحوض والحافات المحيطة به.[1]

أما الهضاب والتي تمتد من جمهورية إفريقيا الوسطى فهي تشكل منطقة ظل المطر بين منصرف تشاد إلى الشمال، ومنصرف الكونغو إلى الجنوب تشكل جزءًا من الحافة الشمالية من منخفض الكونغو وتنفصل في الغرب عن الأطلسي بواسطة حافة مرتفعة تعرف بجبال كريستال بالكونغو الأدنى، وتنحدر هذه الحافة نحو الشاطئ مكونة السهل الساحلي الضيق، أما من جهة الشمال

[1] - السعيد البدوي : **إفريقيا الاستوائية دراسة في الجغرافيا الطبيعية**، مقال في مجلة الدراسات الإفريقية، مركز الدراسات الإفريقية، جامعة الخرطوم، ع 2، 1973م، ص-ص، 229-231.

والشمال الغربي تقع جبال الكامرون؛ في حين ترتفع الأرض باتجاه الشرق نحو أعالي الهضاب في جميع هذا الإقليم.[1]

أما من ناحية الجنوب، فتأخذ الأرض بالارتفاع تدريجيًا لتصل إلى هضاب أنغولا وكاتينغا؛ وتؤلف هذه الأخيرة الحافة الجنوبية لمنخفض الكونغو.[2]

كما يضم هذا الإقليم مساحات واسعة من هذا الإقليم مكونة مستطيلاً يبدأ من روندا وبورندي حتى شمال شرق الكونغو الديمقراطية، ويستمر حتى المحيط الأطلسي، ويطوق هذا السهل الواسع أراضي قليلة الارتفاع تمثل تلالاً متقطعة، ماعدا بعض المرتفعات الشمالية الغربية للكامرون ومرتفعات يامندا، وترتفع الأراضي في شمال التشاد مكونة مجموعة جبلية متمثلة في أجزاء من التبستي.[3]

ب- الأنهـــــــــار :

يعتبر نهر الكونغو من أهم الأنهار الموجودة في منطقة وسط إفريقيا، وينبع هذا النهر من حافات الهضاب المرتفعة المحيطة بحوضه، وأشهر هذه المنابع هضبة الكامرون في الشمال والحافات الغربية للأخدود الغربي مع بحيراته في الشرق وحافة الهضاب الغربية من الجنوب والمجرى الرئيسي لهذا

[1] - أنور عبد الغني العقاد : **الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية**، دار المريخ، الرياض، 1982، ص،222.

[2] - نفسه، ص223.

[3] - عبد القادر المحيشي وآخرون : المرجع السابق، ص 183.

النهر صالح للملاحة صلاحية تامة داخل الحوض لمسافة 1600كلم قبل أن يتصل ببحيرة ستانلي بول[1] الواقعة إلى الشمال من العاصمة كينشاسا.[2]

أما بعد بحيرة ستانلي بول يشق النهر طريقه عبر جبال كريستال وسلسلة من مناطق الجداول تسمى بشلالات ليفنغستون حتى ينتهي المجرى إلى مصب يقع قبل مانداي على بعد 140كلم من مياه المحيط الأطلسي، وهذا المقطع من النهر غير صالح للملاحة لوجود خمسة شلالات تعترض مجراه.[3] أما منطقة المصب فهي عبارة عن وادٍ غاطس مغمور بالمياه المحيطة يتفرع إلى عدة فروع تقع بينها جزر رملية تغطيها الحشائش والأشجار، وأشهرها جزيرة ماتيبا وبوليتاكا، وينخفض مستوى الماء في مجرى النهر الأسفل إلى حده الأدنى من شهر مارس وجوان، ويرتفع إلى حده الأعلى في شهر ماي وديسمبر.[4]

ويلاحظ عدد الجداول المائية الكبير التي تنبع من هضبة أنغولا وتجري بعيدًا عنها إلى كل مكان، ومعظم المجاري التي تتجه نحو الشمال والشمال الشرقي تشكل روافد لنهر كاساي الذي يرفد بدوره الكونغو، في حين أن معظم المجاري المائية التي تسيل إلى الجنوب الشرقي تتجمع معًا لتشكل نهر الزامبيزي، وبسبب وقوع حافة الهضبة المرتفعة في الغرب بصورة عامة قرب الساحل من الكامرون

[1] – بحيرة تقع الى الشمال من كينشاسا على نهر الكونغو سميت نسبة للمستكشف الايرلندي هنري مورتن ستانلي تتربع على مساحة 450كلم[2] انظر http://www.britannica.com/place/Malebo-Pool

[2] – أحمد نجم الدين فليجة : **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د ت، ص 141

[3] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص 226.

[4] – أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق، ص141.

شمالاً إلى جنوب أنغولا نجد عددًا قليلاً من الأنهار لا تستحق الذكر، والتي تسيل مباشرة إلى المحيط الأطلسي أهمها أنهار ساتاغا أوغاوي كوانزا وسونن.[1]

ج – المنـــــــاخ :

يتميز هذا الإقليم بتنوع مناخاته مع سيادة المناخ الاستوائي نظرا لمرور خط الاستواء وسط الإقليم، وكذلك لامتداد الإقليم من دائرة عرض 22° شمالاً إلى 18° جنوبًا ويمكن تمييز ثلاثة نطاقات مناخية وهي الاستوائي– وهو الأشمل–، والمداري، والصحراوي.[2]

يسود هذه المنطقة الظروف المناخية الاستوائية، حيث ارتفاع درجة الحرارة طول العام بسبب سقوط أشعة الشمس عموديًا أو شبه مائلة، لذلك فالمدى الحرارة السنوي ضئيل ويعمل ارتفاع الحرارة على تسخين الهواء الملامس لسطح الأرض وبالتالي يعمل على تمدد وخفة وزنه وانخفاض كثافته، كل هذه الظروف تؤدي إلى تصاعد الهواء المحمل بالرطوبة إلى طبقات الجو العليا، فيتكاثف بخار الماء بطبقات الجو بسبب البرودة النسبية، ويأخذ هذا التكاثف شكل سحب معظمها من النوع الركامي[3] مما يؤدي الى نزول الأمطار.[4]

---

[1] – أنور عبد الغني العقاد : نفس المرجع، ص227.

[2] – عبد القادر المحيشي وآخرون : المرجع السابق، ص 185

[3] – السحب الركامية وهي منطقة سحب كثيفة ، يخشاها الملاحون ، حيث تبدو السماء ملبدة بالغيوم باستمرار، تسمى لدى الفرنسيين بحلقة السحاب Anneau de nuages ولدى الإنجليز Cloud ring وتعني حلقة سحابة انظر السعيد البدوي :المرجع السابق، ص237.

[4] –محمد صبحي عبد الحكيم :**دراسات في الجغرافيا العامة**، دار النهضة العربية ،1980 ،ص60

د- الأمطـــــــــار:

إذا كانت الحرارة المرتفعة في منطقة وسط إفريقيا شيئًا عاديًا، فإن الأمطار من العوامل التي تميز الأقاليم المناخية للمنطقة عن بعضها البعض، لذلك فالأمطار تختلف كمية تساقط الامطار من منطقة إلى أخرى، حيث أنها تصل إلى متر ونصف في معظم أنحاء المنطقة في المتوسط، ولكنها تزيد عن ذلك إلى مترين في المناطق المرتفعة في الجزء الشمالي والغربي، من هذا النطاق الاستوائي من رأس لوبير من خليج بيافرا والكامرون، أما الهضاب الجنوبية من المنطقة فإن متوسط الأمطار لا يزيد على متر ونصف ابتداءً من هضبة الكونغو، وفي نفس الوقت تبدأ من النطاق الساحلي الجنوبي شبه الجاف، حيث لا تزيد الأمطار سنويًا عن 500 ملمتر.[1]

كما أن تساقط الأمطار في الإقليم الممتد من (8. 18˚) درجة عرض شمال وجنوب خط الاستواء صيفًا، حيث تصل كمياتها إلى 500 ملم، وتقل عند الابتعاد عن خط الاستواء حتى تصل إلى 25 ملم .

أما النبات الطبيعي في هذا الإقليم هو انعكاس لتوزيع المناخ، فالإقليم الاستوائي مغطى بالسلفا، وهي الغابات الكثيفة دائمة الخضرة و المحصورة تقريبًا بين 5˚ شمالاً وجنوبًا، وكلما اتجهنا وابتعدنا عن خط الاستواء جنوبًا وشمالاً تظهر غابات السافانا[2]، أما الهضاب المرتفعة ذات أشجار

[1] – السعيد البدوي: المرجع السابق ،ص239.

[2] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص231،

قليلة، في حين أن الوديان العميقة مثل لوانغو يكون أكثر كثافة بالأشجار، أما الشريط الساحلي لأنغولا فهو منطقة شبه صحراوية.[1]

3- التشاد دراسة طبيعية :

وعلى اعتبار أن دولة حوض التشاد هي التي تهمنا في دراستنا باعتبارها مهدًا لممالك إسلامية قوية وشهدت نشاطًا للطريقة القادرية، لذلك سنطرق الى التشاد طبيعيًا لأنها من السودان الأوسط والجزء الجنوبي منها يدخل ضمن نطاق وسط إفريقيا.

أ – الموقع والمميزات العامة :

التشاد دولة قارية تمتد طوليًا من الشمال إلى الجنوب وتقع بين دائرتي عرض (8ْ و23ْ) شمالاً، تحدها من الشمال ليبيا ونيجيريا، ومن الغرب النيجر والكامرون، ومن الجنوب إفريقيا الوسطى ومن الشرق السودان.

ويغلب على سطح التشاد الارتفاع من الشمال، ويقل تدريجيًا نحو الجنوب، أما وسطها فهو عبارة عن سهل منقطع بواسطة الأودية كوادي لوغون، وبحر الغزال وشاري، وتصب هذه الأودية في بحيرة التشاد؛ وهي بحيرة مغلقة ويقطع السهل مناطق مرتفعة كهضبة واداي في الشرق حيث يصل ارتفاعها إلى 5251م، وهضبة إينيدي في الشمال والشمال الشرقي والتي ترتفع إلى 1560م، ومن الشمال جبال تيبستي البركانية التي ترتفع 3215م.[2]

[1] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص232.

[2] – عبد القادر المحيشي وآخرون : المرجع السابق، ص 189.

ب- المنـــــــــــــاخ :

تقع التشاد ضمن النطاق المناخي الصحراوي والسوداني :

- المناخ الصحراوي : ويمتد من 18° إلى 23°، وتتخلله جبال التبستي ومنخفض بروكو وهو قليل التساقط تنعدم فيه المجاري المائية ما عدى بحر الغزال ورغم شح المطر تنمو به بعض الأعشاب وتوجد ضمن هذا الإقليم منطقة الكانم و واداي.

- المناخ السوداني : ينحصر بين 15° و 23° شمالاً وهو أوفر مطرًا، حيث يستمر التساقط به لمدة ثمانية أشهر جنوب خط 10° شمالاً، حيث المنابع العليا لنهري لوغون وشاري اللذين يتوجهان شمالاً ويتحدان قبل انصبابهما في بحيرة التشاد، وتنمو في هذا النطاق الغابات الجافة وحشائش السافانا ثم يزداد الغطاء النباتي إلى الجنوب من العاصمة وتعتبر بحيرة التشاد هي الفاصل بين الإقليمين تقريبًا.[1]

[1] - عبد القادر المحيشي وآخرون : نفس المرجع، ص، 190.

ثانيا : إقليم غرب إفريقيا.

1- التسمية والموقع.

إن غرب أفريقيا جزء ما كان يعرف سابقا ببلاد السودان، وبلاد السودان هو الاسم الذي أطلقه العرب على البلاد الواقعة جنوب الصحراء الممتدة من المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الاحمر شرقا، والصحراء الكبرى شمالاً أي بين خطي عرض 10 جنوبًا وشمال خط الاستواء. [1]

وقد حددها كل من الاصطخري (ت340هـ) وابن حوقل (ت361هـ) :من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الشرق الصحراء الموصلة بينها وبين أرض مصر، ومن الشمال الصحراء الممتدة بينها وبين أرض المغرب، وينتهي حد بلاد السودان من الجنوب إلى الصحراء التي يقول عنها الجغرافيون المشارقة لا يثبت فيها عمارة لشدة الحر.[2]

وتقول رواية القلقشندي (ت 821هـ - 1481م) عن بلاد السودان أنه يحدها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق بحر القلزم[3] مما يقابل اليمن، ومن الشمال الصحراء الممتدة بين مصر وبرقة و بلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء.[4]

---

[1]- عبد القادر زبادية : **الحضارة العربية والتأثير الاوربي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1989، ص11 .

[2]- الإصطخري : **مسالك الممالك**، مطبعة بريل ، ليدن ،1870،ص ، 10-11، أنظر كذلك، ابن حوقل : **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة ،1996،ج1، ص 24-25.

[3]-**بحر القلزم** : المقصود به البحر الأحمر. انظر بن سباهي زاده :**اوضح المسالك في معرفة الممالك** ، تح، المهدي عيد الرواضية دار الغرب الاسلامي، ط 1، 2006، ص 40.

[4]- القلقشندي ابو العباس أحمد : **صبح الأعشى في كتابة الانشاء** ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ،1910، ج5، ص 273.

ويتضح لنا من نص القلقشندي أن العرب كانوا يعتقدون أن خط الاستواء ينهي بلاد السودان، وأن وراءه لا يوجد عمران وحياة، وهو اعتقاد باطل، وربما هذا التوهم مرجعه أن العرب لم يتوغلوا في أرض السودان جنوب الغابات الاستوائية.[1]

ومفهوم بلاد السودان بهذا الشكل عام وشامل، يعني جنوب الصحراء (الكبرى)، ولكن الكلمة عندما استخدمها الجغرافيون العرب المشارقة لم يكن لها هذا المعنى الشامل، فقد سموا الأجزاء الشرقية من السودان بأسمائها السياسية المعروفة كالبجة وبلاد النوبة ومملكة الحبشة وبلاد الزنج.[2]

وعلى ذلك يتضح مفهوم بلاد السودان وبشكل عام من الحبشة إلى سواحل المحيط، وهو ما يفهم من نص القزويني (ت 682هـ / 1283م)، حيث يقول عن بلاد السودان أنها بلاد كبيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها الحبشة، وغربها البحر المحيط.[3]

ونجد أن الحسن الوزان يتحدث عن أرض بلاد السودان في العصر الحديث –القرن السادس عشر ميلادي– بقوله : " أرض السودان تمتد إلى شرق مملكة كاوكة، ويمتد غربًا إلى مملكة ولاته

[1] – نبيلة حسن محمد : **في تاريخ إفريقيا الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، ص 69.

[2] – **البجة** : اقليم موجود في جنوبي صعيد مصر مما يلي الشرق فيما بين بحر القلزم وبين نهر النيل ، وقاعدته مدينة سواكن– **النوبة** : تقع في جنوبي مصر مما يلي المعرب على ضفتي النيل يحدها ناحية الشمال مصر ومن الشرق ارض البحة وبح القلزم و قاعدتهم مدينة دنقلة ، انظر القلقشندي : المصدر السابق ، ج5، ص–ص 273–275، نبيله حسن محمد: نفس المرجع ، ص 70.

[3] – زكريا بن محمد بن محمود القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر ،بيروت 1960، ص 23.

ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا، وينتهي جنوبا الى المحيط ، في موقع لانعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين يأتون الى مملكة تنبكتو، وهو كثير "[1]

كما تحدث الوزان عن الممالك الخمسة عشر، المحكومة لبلاد السودان، والتي زارها وقال عنها بأنها : " تمتد هذه الممالك الخمسة عشر المعروفة كلها لدينا من طول ضفتي النيجر وروافده، وتقع بين قفرين عظمين يبتدئ أحدهما عند نوميديا، وينتهي في هذه البلاد(بلاد السودان)، والآخر في الجنوب ويمتد إلى البحر المحيط ".[2] وتقسم بلاد السودان إلى ثلاث أقاليم، وهي السودان الغربي، والأوسط والشرقي.[3]

أما السودان الشرقي: ضم مناطق النيل وروافد، جنوب بلاد النوبة، وقد أطلق عليه العرب بين القرنين التاسع والثاني عشر للميلاد اسم بلاد الزنج، إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضًا.[4]

السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد.[5]

[1]-الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) : **وصف إفريقيا**، تر، محمد حجي ومحمد الاخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي 1983، ج1، ص 29 .

[2]- **هذه البلاد** : يقصد بعبارة هذه البلاد أي بلاد السودان والبحر المحيط أي المحيط الأطلسي، أنظر كذلك الحسن الوزان نفسه، ج2، ص 161.

[3]- مهدي رزق الله أحمد : **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وأثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ط1،1998، ص 40، وأنظر كذلك يحي بو عزيز : **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 8.

[4]- عبد القادر زباديه : **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين** ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،دت،ص15.

[5]- عبد القادر زباديه : الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 11.

السودان الغربي: وهو يشمل حوض نهر السينغال ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا[1] والحوض الأوسط لنهر النيجر.[2]، ويطلق عليه المؤرخون العرب أحيانًا بلاد التكرور[3]، غير أن السودان كلمة أشمل بكثير منها وظلت بلاد التكرور عند البعض تطلق على السودان الغربي، أو على الجزء الغربي من الصحراء الكبرى.[4]

ومعنى بلاد السودان نسبة إلى بلاد السود، والنسبة هنا بالسِمة والجهة، وذلك في مقابلة البيضان وهي بلاد البربر، والسودان صيغة جمع أسود والمقصود الرجال ذوي البشرة السوداء وعلى نفس الوزن استخدم العرب كلمة البيضان أي الرجال ذوي البشرة البيضاء.[5]

وفي هذا السياق **يقول الإصطخري** عن الشعوب التي تسكن بلاد السودان أنهم: " ... أشد الأمم سوادًا ... ".[6]

---

[1] – **فولتا** : وهي دولة بوركينا فاسو، انظر يحي شامي: موسوعة المدن العربية والاسلامية، دار الفكر العربي ،بيروت،1993، ص366.

[2] – عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 11.

[3] – **التكرور** : اقليم واسع ممتد شرقا الى ادغاغ ومغربا الى بحر بني زناقية وجنوبا الى بيط وشمالا الى آدرار، واطلقت التكرور على اول مملكة اسلامية في السودان الافريقي ، والتكرور في الاصل علم على مدينة زارها البكري ،واختلف المؤرخون في تحديد مدينة التكرور بين حوض نهر السينغال و النيجر ومنطقة ولاته انظر الخليل النحوي :**بلاد شنقيط المنارة...الرباط**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،تونس ،1987، ص 19، 20، وفي معجم البلدان تكرور براءين مهملتين بلاد تنسب الى قبيل من السودان في اقصى جنوب المغرب اهلها اشبه الناس بالزنوج انظر شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي :**معجم البلدان** ،مج 2 ،دار صادر بيروت، 1977، ص 38.

[4] – إلهام محمد علي ذهني : **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، 1850–1941**، دار المريخ الرياض، 1988، ص 28.

[5] – نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص 68.

[6] – الإصطخري : المصدر السابق، ص 44.

ومما سبق يمكن أن نستخلص أن مصطلح السودان ارتبط كثيرًا بالجهة الغربية من الصحراء الكبرى، وهو ما أصبح يعرف في الفترة الحديثة بغرب إفريقيا، والتي تمتد من بحيرة التشاد في الشرق إلى المحيط الأطلسي في الغرب، وتقع عند خط دائرتي عرض 9 و17 شمال خط الاستواء على وجه التقريب وهي جزء من السودان الغربي والأوسط .[1]

وبعد استقراء الآراء السابقة، يمكن القول بأن المنطقة مجال الدراسة تطل غربًا وجنوبا على المحيط الأطلسي وشمالاً الصحراء الكبرى شرقا بحيرة التشاد.[2]

2- التضاريـــس .

تتخلل المنطقة تضاريس مختلفة ومتنوعة، يوجد منها الهضاب والصحاري الواسعة والأودية والبحيرات والسهول، وتمتد تضاريسها من التشاد إلى الأطلسي، حيث تقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام التالية[3] :

[1] – عبد الله عبد الرزاق ابراهيم وشوقي الجمل : **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1989، ص 5 وأنظر كذلك عطية عبد الكامل.. **التحولات السياسية والاقتصادية في السودان الغربي (1750-1920)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بن يوسف التلمساني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009-2010. ص 10.

[2] – الهادي المبروك الدالي : **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18** الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 19.

[3] – محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه : **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص 20-21.

أ– المنطقة الشمالية : وتمتد بين الصحراء الكبرى شمالاً إلى واد النيجر الأوسط جنوبًا، ويغلب عليها الطابع الصحراوي، مع وجود بعض الهضاب كهضبة التبستي شرقاً وهضبة الإغوفاس والآهير في الوسط وهضبة موريطانيا غربًا، زيادة لوجود الوديان والواحات المتناثرة.[1]

ب– المنطقة الوسطى : تمتد من بحيرة تشاد شرقًا حتى منطقة فوتاتورو السينغالية غربًا، وهي بذلك تمتد ما بين دمبكان شرقًا ودفانا غربًا، مكونة بذلك الضفة اليسرى للفرع الأوسط لنهر السينغال، وتشكل الأجزاء الشمالية شريطًا زراعيًا من أخصب الأراضي في السودان الغربي، كما ترتفع وسط هذه المنطقة هضبة النيجر، كما تحتوي هذه المنطقة على سهوب واسعة ذات مراعٍ خصبة.

وأما وسط فوتاتورو عبارة عن سهول، في حين يتكون الجزء الجنوبي منها من الإستبس[2] والمراعي.[3]

جـ – المنطقة الجنوبية : تشرف على خليج غينيا، وتضم عدة كتل جبلية، أهمها فوتاجالون، وتغطي هذه المنطقة الغابات الاستوائية الكثيفة، وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية.

وتنحصر الجبال في المنطقة الغربية والشرقية من غرب إفريقيا، ففي ناحية الغرب تعتبر فوتاجالون من أهم المناطق الجبلية، وتمتد في كل من غينيا (كوناكري) وغرب ليبيريا وشمال سيراليون.[4]

---

[1] – حسين جاجوا : **حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن 19**، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994، ص، 13، وأنظر كذلك أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص 266.

[2] – **الإستبس** : كلمة روسية تعني الأرض الفسيحة الخالية من الأشجار والتي تغطيها الأعشاب المعتدلة، يطلق هذا الاسم على إقليم نباتي تنمو فيه نباتات شوكية دائمة وحشائش فصلية تصلح للرعي، محمد صبحي عبد الحكيم :المرجع السابق ،ص، 97

[3] – حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 13.

[4] – محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المرجع السابق،ص21

أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فإنها تقوم في دولة التوغو، أما في الشرق فتوجد مرتفعات آداماو التي تقع في الكاميرون. ويدخل في غرب إفريقيا الجزء الأكبر من منطقة الساحل والتي تتميز في كونها شبه جافة وتقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من السودان شرقًا حتى المحيط الأطلسي غربًا، ويؤلف هذا الإقليم منطقة عازلة بين الصحراء الكبرى ذات المناخ الجاف والمناطق الاستوائية الرطبة التي يطلق عليها اسم السافانا.[1]

ويتكون سطح غرب إفريقيا من كتلة هضبية قديمة تنقسم إلى قسمين :

منطقة داخلية : والتي تضم عدة مرتفعات أهمها فوتاجالون وارتفاعها 1500م ولوما و نيميا في الغرب، ومرتفعات أتاكورا ومرتفعات بوكشي 1880م في الشرق .[2]

وتمتد هضبة فوتاجالون باتجاه الجنوب والشرق على طول الحدود الداخلية لكلٍ من سيراليون وليبيريا على هيئة نطاق من الأرض المرتفعة تظهر بوضوح في جبال لوما، بينما تندمج هضبة هوس باتجاه الشمال مع سهول أرض الهوسا الواسعة، والتي تحتل معظم شمال نيجيريا، وهذه السهول المرتفعة والهضاب تتابع امتدادها نحو الشمال داخل النيجر، بين الهضبتين المذكورتين تشغل الهضاب المنخفضة معظم المساحة، لكن يتقطع استمرارها احيانا منخفضات عريضة تحتلها الأنهار لها كالفولتا وروافده والنيجر.[3]

[1] – محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية : المرجع السابق، ص21.

[2] – يوسف روكوز : **إفريقيا السوداء سياسة وحضارة**، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1986، ص– ص 41–44.

[3] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص265.

أما سهول غرب إفريقيا، فيبلغ أقصى اتساع لها إلى الغرب من هضبة هوس في سهول الهوسا العليا في نيجيريا، وفي القسم الأوسط من النيجر والسينغال، في الجنوب السهل الساحلي بلاجوانته، ويبلغ هذا السهل أقصى ضيق له في ليبيريا وجنوب شرق غانا، أما إلى الشمال فيمتد سهل ساحلي يزداد عرضه عند مصبات الأنهار الرئيسية كالنيجر والفولتا والسينغال.[1]

3- الأنهـــار :

تعتبر كتلة فوتاجالون مصدرًا رئيسيًا للمياه نظرًا لكثرة أمطارها وطبيعة تركيبتها الجيولوجية، التي تسهل تخزين المياه، ومن هذه الكتلة تنبع أكبر أنهار المنطقة، وقد كان لهذه الأنهار دورًا هامًا في تاريخ المنطقة وتتمثل هذه الأنهار في نهر النيجر، ونهر السينغال، ونهر غامبيا إضافة إلى ذلك نجد أنهارًا أخرى مثل : نهر الكازمس ونهر الفولتا ونهر الداهومي .[2]

أ- نهر النيجر :

يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكونغو، وهو يمتد من غرب إفريقيا على شكل قوس، يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي، وينتهي عند المصب بدلتا كثيرة الفروع، حيث يبلغ طوله حوالي 4200 كلم، تبدأ منابعه قرب حدود سيراليون وليبيريا بالشمال، والذي يتخذ مجراه اتجاها شماليا شرقيا في قسمه الأول بعيدًا عن الساحل، وبين سيجو و تنبكتو يتجزأ النهر إلى عدد من القنوات في المنطقة المعروفة بدلتا النيجر، قبل أن يعود ليتدفق بمجرى نحو الشرق، ومن ثمّ

[1] - عطية عبد الكامل: المرجع السابق، ص 13.

[2] - إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 20.

إلى الجنوب الشرقي ليدخل نيجيريا وفي هذه المناطق يسيل النهر بهدوء حتى يلتقي برافده بنوبي ويجري النهر نحو الجنوب ليصل إلى دلتاه .[1]

وتمثل منطقة ثنية النيجر جزءًا مهما من السودان الغربي، حيث يتقاسم هذه المنطقة كل من ساحل العاج وغينيا الفرنسية والبنين، كما يعد نهر النيجر شريانًا مهمًا من شرايين الحياة والعمران والمواصلات في السودان الغربي، ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كالسينغال أو نهر شاري مرتفعات كبيرة.[2]

ويبتدئ نهر النيجر فيضانه في منتصف جوان، ويدوم ثمانين يومًا، سواء في الارتفاع أو الانخفاض حيث تغمر مياهه سطح الأرض من سهول ووديان مما يجبر السكان على التنقل بواسطة الزوارق من طرفٍ إلى آخر.[3]

وظل إشكال عدم التمييز بين نهر النيجر والسينغال عند الجغرافيين العرب، حيث أطلقوا على كليهما نيل السودان أو بحر السودان حتى القرن الثامن عشر، فقد قال الفشتالي " ... نيل السودان يجري من الشرق إلى أقصى الغرب وعليه جميع بلاد السودان أو أكثرها ... وذلك أنه يخرج منه عشرة عيون فتصب خمسة أنهار منها في بطيحة، وتخرج خمسة أنهارٍ أخرى فتصب في بطيحة أخرى، وتخرج من البطيحتين ثلاثة أنهارٍ فتسير بأجمعها إلى أن تصب في بطيحة كبيرة جدا فوق خط الاستواء مماسة

[1] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص 266-267، وأنظر كذلك مهدي رزق الله أحمد : المرجع السابق، ص 41.

[2] – جمال الدين الدناصوري : **جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا أستراليا)**، مكتبة الأنجلو مصرية ، 1979، ج2،ص 318.

[3] – مرمول كرباخال : **إفريقيا**، تر، محمد حجي آخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1983، ج1، ص 55.

له، وفي أسفل هذه البطيحة جبلٌ معترض شق أكثرها فيمر الى جهة الشمال مغربا، فيخرج منه ذراع من النيل، فيمر من جهة المغرب هو نيل السودان ...".[1]

وقال كذلك: "...والممالك المنتظمة مع خط النيل – نيل السودان – من عدوتيه انتظام السلك الجارية مع تياره في طلقٍ من لدن تخوم النوبة إلى مصبه في البحر المحيط – المحيط الأطلسي – ".[2]

وفي القرن 16 قام الحسن الوزان برحلة عبر الصحراء من فاس إلى سجلماسه وتغازه حتى وصل إلى تنبكت وجني، وأكد أن النهر يسير نحو الغرب، وفند الرأي القائل أنه ينبع من جبال تقع إلى جهة الغرب ثم يسيل نحو الشرق ليتحول إلى بحيرة[3]

وظلت مشكلة النيجر وتحديد اتجاهه قائمة حتى القرن الثامن عشر، حين بدأ الأوروبي بالكشوفات الجغرافية، حيث اهتمت الجمعية الجغرافية البريطانية[4] بالكشف عن حقيقة هذا النهر لاستغلاله في إيجاد تجارة بين بريطانيا وغرب إفريقيا.

[1] – أبو فارس عبد العزيز الفشتالي : **مناهل الصفاء في مآثر الشرفاء**، تح، عبد الكريم كريم، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972، ص 166.

[2] – المرجع نفسه،ص 117

[3] – الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 30.

[4] – **الجمعية الجغرافية البريطانية** : وتعرف بالجمعية الافريقية تأسست عام 1788م ،من قبل مجموعة من الباحثين البريطانيين ،ترأسها جوزيف بانكس، من اهدافها تنشيط حركة الكشف الجغرافي للأقاليم الداخلية من افريقيا ، وتنشيط التجارة البريطانية مع غرب افريقيا، أنظر س هوارد : **أشهر الرحلات في غرب إفريقيا**، تر، عبد الرحمان عبد الله، الهيئة المصرية للكتاب، 1996، ج1، ص-ص 63-67 .

إذْ استطاع الرحالة مانجو بارك[1] أن يحل مشكلة اتجاه النيجر، وأقر بعد رحلته أن اتجاهه من الغرب نحو الشرق دون تحديد منبعه، وسعى بعده كثيرون لهذا الهدف منهم رينيه كلوبيه 1828 .

حيث وصل إلى تنبكتو قادمًا إلى غينيا، كما نجح في اختراق الصحراء وصولا إلى مراكش لتنواصل البعثات الأوروبية لاكتشاف المناطق المحيطة بالنيجر، وقد أثبتت هذه الكشوفات مدى أهمية هذا النهر في غرب إفريقيا.[2]

ب– نهـر السينغال :

ينبع نهر السينغال من نفس المنطقة التي ينبع منها النيجر، حيث يتجه شمالاً ثم غربًا نحو المحيط الأطلسي، ويمتاز بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق، إذْ لا يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار لمسافة تبلغ 350 كلم، وذلك لقلة الأمطار وخاصة في فصل الشتاء.[3]

يبلغ طوله 1600 كلم، القسم الأكبر منه يسيل في مناطق قليلة الأمطار لذلك كان غير كاف للقيام بالملاحة ماعدا القسم الأوسط منه.[4]

---

[1] – **مانجو بارك** : طبيب اسكتلندي ولد عام 1771م تميز بحب المغامرة والطموح وقوة الملاحظة تم إرساله من طرف الجمعية الإفريقية إلى إفريقيا عام 1795م وصل خلالها إلى نهر غامبيا ونهر النيجر وعاد إلى لندن في 1797م وسجل رحلته في كتاب سماه رحلات في الأقاليم الداخلية من إفريقيا، قام برحلة ثانية إلى غرب إفريقيا في جانفي 1805م توفي عام 1806م أثناء هذه الرحلة، يحسب لبارك أنه اكتشف مجرى نهر النيل ومنبعه، انظر جوزفين كام : **المستكشفون في إفريقيا**، تر، السيد يوسف نصر وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص–ص 88–103

[2] – نفسه، ص–ص 85–167.

[3] – أحمد نجم الدين فليحة : المرجع السابق، ص 148.

[4] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص 267.

وقد أنشئ سد على هذا النهر يبعد عن المصب بمسافة 100 كلم، ينظم دخول مياه الفيضان إلى بحيرة جوبا، وللاستفادة من تلك المياه المخزونة في ري مساحة واسعة تفوق 20 كلم إلى الشمال والتي تستغل في زراعة الأرز.[1]

ج – نهر غامبيا :

يعتبر نهر غامبيا طريقًا مهمًا للمواصلات، فهو صالح للملاحة لمسافة 450 كلم، وتقع القرى بعيدًا عن مجرى النهر وذلك بسبب وجود المستنقعات والغابات على ضفافه، ويتكون سطح غامبيا من واد النهر والمناطق المحيطة به، وهي سهول خصبة تستغل لزراعة الفول السوداني.[2]

ويعتبر نهر غامبيا من أصلح الأنهار للملاحة، فهو المدخل الرئيسي للسودان الغربي، وهو يخترق منطقة السافانا أكثر مناطق إفريقيا ارتيادا.

وبالإضافة إلى هذه الأنهار الأساسية، هناك بعض الأنهار الأخرى أقل أهمية من الأولى مثل نهر سالوم ونهر الكازمس، وهما صالحان أيضًا للملاحة، أما عن خليج غينيا فقد وجد ساحل العاج عدة أنهار هي : باندامـا وكافالي وكومويه، وهي تصب في خليج غينيا، أما نهر الفولتا فيشبه في اتجاهه وخصائصه نهر النيجر.[3]

[1] – أحمد نجم الدين فليحة المرجع السابق، ص 317.

[2] – إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص24.

[3] –حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 20-21.

إن معظم أنهار منطقة غرب إفريقيا تتدفق من منطقة الهضبة الداخلية متجهة نحو الجنوب، ومن ثم نحو الساحل، فهي تنتهي إلى البحر إما بدلتات كثيرة الفروع، أو مستنقعات وسدود، أو بمساقط مائية.[1]

وإذا كانت بعض أنهار غرب إفريقيا قد عرقلت التوغل الداخل، فإنه يلاحظ أن سواحل المنطقة تساعد كثيرًا هذا التوغل رغم أنها تعتبر بعد الساحل الشمالي من أقرب السواحل إلى أوروبا، وعلى الرغم من وصول الأوروبيين إليها منذ القرن 15م إلا أنهم تركزوا في نقاطٍ على الساحل الذي خلت فيه المناطق التي تصلح للوثوب للقارة، وأصلح هذه المواثب الجزر التي تقع بالقرب من السواحل.[2]

4- المنـــــــاخ :

أ- الأقاليـــم المناخية :

يتأثر المناخ بعدّة عوامل منها، الموقع الفلكي والجغرافي، ولذا فإن مناخ غرب إفريقيا يتنوع حسب تدرج الموقع، فهو يقع ضمن الاستواء والمداري لامتداد الإقليم من خط الاستواء جنوبًا ومدار السرطان شمالاً، حيث يتميز نطاقه الساحلي بتجانس في درجات الحرارة فيصل متوسطها السنوي إلى 27 درجة.[3]، ويقع الجزء الجنوبي من الإقليم ضمن المنطقة الاستوائية، والتي تتميز بمتوسط حراري مرتفع مع نسبة رطوبة معتبرة، وأمطارً غزيرة طوال العام، مع وجود فصل جاف يمتد لثلاثة أشهر، ويتجلى هذا الإقليم بصورة عامة على الأجزاء المنخفضة من ساحل العاج وليبيريا وسيراليون وغينيا،

[1] - أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص 266.

[2] - شوقي الجمل : **تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها**، القاهرة، 1971، ص 16-17.

[3] - حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 21.

أما الجزء الشمالي فيتبع إقليم سفانا وحرارته أشد لقلة الأمطار والأشجار، وتسقط أمطاره صيفًا.[1] وعموما تزداد درجة الحرارة ارتفاعا كلما اتجهنا نحو داخل وشمال الإقليم، خاصة في فصل الصيف، وتنخفض في فصل الشتاء باستثناء المناطق المرتفعة التي تتأثر بالرياح الشمالية الشرقية التي تتصف بالبرودة النسبية والجفاف، والتي تسمى محليًا بالهرمتان فتؤدي إلى إثارة الزوابع الرملية.[2]

ومما سبق، يمكن تمييز أقاليم مناخ غرب إفريقيا كما يلي :

- **المناخ الصحراوي** : وهو الذي يسود في المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى ممتدًا إلى صحاري كل من النيجر ومالي والسينغال، ويمتاز بشدة حرارته وقلة الأمطار.

- **مناخ الإقليم الساحلي** : ويمتاز بفصلين مناخيين إحداهما جاف، والآخر ممطر خاصة في السواحل الموريطانية والسينغالية نظرًا لتأثيرات المحيط .

- **المناخ شبه الاستوائي** : ويمتاز بارتفاع متوسط حرارته إلى 28 درجة، وبه فصلان ممطران، وبينهما فصل جاف يشهد أمطارًا كثيفة غزيرة ويمتد من غينيا إلى نيجيريا .

- **مناخ المرتفعات** : ويشمل المناطق الجبلية المرتفعة ويميل نسبيًا إلى البرودة وكثرة الأمطار.[3]

[1] – عطيه عبد الكامل: المرجع السابق، ص21.

[2] – عبد القادر المحيشي وآخرون : المرجع السابق ، ص 160.

[3] – أحمد نجم فليحة : المرجع السابق، ص– ص 164–184.

ب– الريـــــاح :

تشتهر إفريقيا الغربية بأنواعٍ مختلفة من الرياح منها :

– رياح الهرمتان : وهي عبارة عن رياح شمالية أو شرقية جافة تؤدي إلى هبوب زوابع رملية قد يصل تأثيرها إلى المناطق الساحلية فينعش الجو بها، حيث تؤدي إلى التقليل من الرطوبة.[1]

– الرياح التجارية : وتهب من المنطقة ذات الضغط المرتفع، وهي رياحٌ باردة مشبعة ببخار الماء ويصل تأثيرها إلى منطقة السينغال.[2]

– الرياح الموسمية : وتهب من المحيط الأطلسي، تمتاز بدفئها وتشبعها بالرطوبة، ويصل تأثيرها إلى المناطق الداخلية، حيث يكون الصيف ممطرًا قد يسبب الأعاصير.[3]

ج – الأمطـــار :

تتدرج كمية الأمطار في معظم أقسام القارة تدرجًا منتظمًا وموازيًا لخطوط العرض إلى الشمال والجنوب من خط الاستواء، ومنطقة غرب إفريقيا لا تشذ عن هذه القاعدة حيث تتناقص كمية الأمطار كلما اتجهنا من الساحل نحو الداخل، ومن الساحل الشمالي إلى الجنوبي على امتداد الساحل الغربي للمنطقة.[4]

[1] – أحمد نجم الدين فليجة : نفس المرجع، ص 352.

[2] – أنور عبد الغني العقاد : المرجع السابق، ص 271.

[3] – محمد مرسي الحريري : **جغرافية القارة الإفريقية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص 167.

[4] – جمال الدين الداناصوري : المرجع السابق، ص 55.

وقد اختلفت الآراء في تفسير هذه الظاهرة، إذ يرجعها البعض إلى موازاة الساحل لاتجاهات الرياح حيث من المعروف أن مياه الساحل تتصف بالبرودة في الفترة الممتدة من شهر جويلية إلى شهر سبتمبر نتيجة للتيار البحري الاستواء المتراجع حيث يجذب بدوره المياه السطحية الدافئة وبالتالي تحل محلها المياه الباردة الآتية من أعماق المحيط هذا إضافة إلى انحراف الرياح الجنوبية في هذه المنطقة لتصبح رياحًا غربية.[1]

ويشهد إقليم الجنوب من المنطقة أمطارًا دائمة على مدار السنة تزيد عن 4000 ملم، وجنوب دائرة عرض 10 درجات شمالاً.[2]

أما شمال هذه الدائرة العرضية تشكل إقليمًا مداريًا ممطرًا صيفًا فقط ويتناقص كلما اتجهنا نحو الشمال حيث تتراوح كمية الأمطار ماب ين 2000 ملم و 4000 ملم وما بين دائرة عرض 10و15 درجة شمال خط الاستواء.[3]

وتقل الكمية عن ذلك كلما اتجهنا نحو الشمال حيث يندمج هذا الإقليم بالنطاق الصحراوي شبه الجاف والجاف، والذي تتراوح كمية أمطاره ما بين 100و500 ملم في السنة.[4]

[1] – عطيه عبد الكامل : المرجع السابق، ص، 15، وأنظر كذلك حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 23.

[2] – عبد القادر المحيشي : المرجع السابق، ص 160.

[3] -Surret Canale (J) : **l'Afrique Noire géographie et civilisation** .Paris .Editions sociales.1961.p84

[4] – عبد القادر المحيشي : المرجع السابق، ص 160.

5- النبات الطبيــعي:

يعد النبات الطبيعي نتاج تفاعل بين المناخ والتربة، فللظروف المناخية وطبيعة التربة الدور الفعال في إظهاره وتوزيعه وتحديد خصائصه ولذلك كانت المناطق التي تسقط فيها الأمطار طوال العام تظهر فيها الأشجار الدائمة الخضرة، وتتركز بشكل كثيف في جنوب نيجيريا وساحل العاج، وعندما تقتصر الأمطار على فصل واحد تتحول النباتات إلى نفضيه، وتكون أقل حجمًا وطولاً من الأولى تتحول إلى سفانا غابية، ومع الاتجاه شمالاً تقل كمية الأمطار وتقل معها الغطاء النباتي، وتنتشر السفانا وتتداخل مع الأشجار.

وعلى هوامش جنوب الصحراء الكبرى يوجد نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق تسود فيه حشائش الإستبس التي تنمو في فصل المطر.[1]

[1] - عبد القادر المحيشي: نفس المرجع، ص161.

المبحـث الثــاني : العنصر البشـــري.

لاشك أنه من الصعوبة بمكان إعطاء صورة دقيقة لتوزيع القبائل في السودان الغربي، من خلال المصادر القديمة، وذلك لأن الكُتاب المشارقة والمغاربة، لم يدونوا معلومات كافية عن القبائل وتوزيعها باستثناء بعضها كقبائل التكرور بل تكلموا عنها بشكل عام وأشار بعضهم إلى بعض اسمائها فقط أما كتاب السودان قد أوردوا أسماء هذه القبائل دون أن يهتموا بإعطاء معلومات تفصيلية عنها، ووجهوا معظم عنايتهم إلى الكلام عن الأحداث السياسية للبلاد على أيامهم.[1]

ترتبط شعوب غرب إفريقيا برابط يوحدها أساسه اللغة ثم العناصر الحضارية، وتوجد بين القبائل السودانية العديد من القوميات الأخرى التي تختلف أصولها عن السودانيين.[2]

[1] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص 103.

[2] – عطيه مخزوم الفيتوري : **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**، منشورات جامعة قار يونس، ط1، ليبيا، 1998 ص21.

أولا : السـلالات البشريـــــة.

ينقسم العنصر البشري بالمنطقة إلى سلالتين بارزتين وهما : السلالة البيضاء والسلالة السوداء (الزنجية).

أ- السلالة البيـــضاء :

تتمركز في شمال إفريقيا، وفي جنوب غرب الصحراء الكبرى، ويعرف أهلها باسم المغاربة[1]، وهم خليط من البربر والعرب يعيشون على الحافات الساحلية الممتدة على الضفة اليمنى والضفة اليسرى لنهر النيجر في اتجاه الصحراء، وتدخل ضمن هذه المجموعة القبائل العربية والبربرية المتمركزة في جنوب موريطانيا مثل : الترارزة، والبراكنة، وقبائل البربر الخاضعة لهم مثل : زناتة وهرتين، وفي الحوض يقابلنا أولاد دليم والرقيات وأهل الطالب ومختار و جرنكة وولاته في شمال منحنى النيجر.[2]

ب- السلالـة الزنجـــية :

وتتمركز فيما يلي الصحراء في بلاد السودان الغربي، وفي منطقة الغابات، وفي الأراضي الزراعية المكشوفة الواقعة بين الصحراء ونهر النيجر والسينغال والبلاد المطلة على خليج غينيا، وكان سكان الصحراء يهجرون بلادهم الجافة باتجاه الجنوب، فكانوا يختلطون بعناصر السواد الداكنة بالجنوب فيضطرون في بعض الأحيان إلى النزوح، ولم تكن التضاريس قادرة على صد المهاجرين أو الفاتحين

[1] – **المغاربة** : وهي تسمية غامضة وكثيرًا ما أطلق عليهم اسم البيضان (البيض) ، وهم ليسوا شعبًا من جنسٍ واحد رغم أنهم يتكلمون لهجة عربية ويرتبطون معا بروابط الصلات الاجتماعية واللغوية ، انظر عبد الرحمان زكي : **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا**، القاهرة، مطبعة يوسف، دت، ص 99

[2] – إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 26.

لذلك فإن شعوب غرب إفريقيا مزيج كبير من الشعوب والقبائل والجماعات، يصعب تعيين أصولها وتحديد زمن هجرتها ومراحل امتزاجها.[1]

ثانيـــا : المجموعات البشريـــــــة.

قد استوطنت منطقة غرب إفريقيا مجموعة من الطوائف البشرية منها :

أ- الفُـــــــــــلان[2] :

اختلفت آراء الباحثين والمؤرخين في أصل الفُلان الذين استقروا بالمنطقة، فمنهم من يرى أنهم شعب حامي جاء إلى المنطقة من إفريقيا الشرقية عبر الصحراء الكبرى.[3]

وهناك من يقول أن أصلهم من اليهود السوريين، وقد أيد هذا الرأي بعض المستكشفين الأوربيين في حين يرى دلافوس في كتابه السينغال الأعلى والنيجر أن الفلان يكونون أحفاد يهود طرابلس وبرقة الذين هاجروا إلى الصحراء بعد الاضطهاد الروماني الكبير 115م عن طريق فزان.[4]، في حين يرجح بعض الدارسين فرضية قدومهم من الجزر الماليزية عبر المحيط الهندي.[5]

---

[1] – آرنولد توماس : **الدعوة إلى الإسلام**، تر، حسن إبراهيم حسن، القاهرة، النهضة المصرية، 1984، ص 348.

[2] – لشعب الفُلان عدة تسميات منها : البوهلPeul ، الفولة، ويسميهم الهوسا الفُلاني، ويسميهم البورنو الفلاته ويسميهم الماناديج الفوله، أنظر عبد الرحمان زكي : المرجع السابق، ص101،وكذلك مهدي رزق الله حمد : المرجع السابق، ص247.

[3] – نعيم قداح : **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر، 1975 ص 21.

[4] – نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص 105 .

[5] – Le Chatelier A : L'islam dans L' Afrique occidentale, G. Steinheil. Editeur, Paris, 1899, p107.

أما علماء الفُلان يؤكدون أن أصلهم من العرب، وهو ما يتضح في كتابات الشيخ عثمان دان فوديو وأخيه عبد الله ومحمد بلو نقلا عن علمائهم الثقاة وأجدادهم الأوائل، حيث قالوا أن جدهم الأعلى عربي هو عقبة بن نافع، وأن الأم العليا لهم هي رومية تدعى بج مع، وهي بنت ملك أحد القبائل الرومية، حيث أنجبت له أربعة أولاد صاروا في ما بعد أباء القبائل الفُلانية في بلاد ونغارة وغانا و مالي و تكرور و سنغاي وبلاد الهوسا و البرنو.[1]

وذكر الشيخ محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور أن قبائل الفُلان افترقوا لثلاثة فرق بسبب بعض الوقائع التي حدثت في القرن 13م، حيث دخلت فرقة بلاد فوتاتور وفرقة بلاد فوتاجالون وسكنوا هناك، أما الفرقة الثالثة عزموا على أن يسيروا إلى الشرق ليدخلوا مع قبائل آبائهم العرب، فمضوا حتى وصلوا إلى هذه البلاد وأقاموا واستمر بعضهم حتى وصلوا إلى بلاد العرب واندمجوا.[2]

وقال الشيخ عبد الله بن فودي الفُلاني في منظومة له تضمنها كتابه تزيين الورقات

فتوردت أخوال الفُلانيين أخوة لعرب فمن رومٍ ابن عيصٍ تفرعوا

وعقبة جدٌ للفُلانيين من عربٍ ومن تورب كانت أمهم بج مع [3]

---

[1]- آدم عبد الله الألورى : الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفُلاني، ط2، د ن، 1971، ص 92، وأنظر كذلك Boubakar Aliu Gwandu : Abdullahi B, Fodio As A Muslim Jurist, Thesis for the degree of doctor of Philosophy, faculty of Arts, University of Durham, 1977,p 13.

[2]- محمد بلو : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص 226.

[3]- عبد الله سالم بازينة : **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، جامعة 7 أكتوبر، ط1،مصراته، ليبيا، 2010، ص 105.

أما الشيخ باي بالعالم[1] يؤكد أن قبيلة الفُلان قبيلة عربية وعلمية، وأنهم من حمير " وقد سمعت هذا القول من خالنا السيد الحاج أحمد محمد الحسان ومن شيخنا محمد عبد الكريم المغيلي بن المنوفي ..."[2]

وتقسم قبيلة الفولان بحسب النشاط إلى مجموعتين، مجموعة الفلان البقار وهم بدويون يشتغلون بتربية المواشي والزراعة ولهم قطعان من الابقار والأغنام، ودائمي الترحال في طلب الكلأ، وبحثًا عن المراعي، والفلان الجيدا أي؛ فلان المدينة والذين يسكنون المدن والحضر.[3]

ويتميز الفلان بطول القامة ونحافة القوام، وتوسط الجسم والوجه المستطيل والأنف المستدق واللون الفاتح أو اللون الأسود مع لمعان البشرة[4] واتساع مقلتي العينين، ويغلب على أبناء هذه المدينة الحياء المفرط وهدوء الطبع ونقاء الروح وعفة النفس وشدة الغيرة.[5]

وهو ما يؤكده المؤرخ عبد الرحمان السعدي بقوله " أما جلف فهم خيار من في الناس فعلاً وطبيعة، وطبايعهم تباين طبائع سائر الفُلانيين في كلّ وجه، خصّهم الله تعالى بمحاسن الأخلاق

---

[1] – **محمد باي بلعالم** : وهو الشيخ الجليل محمد باي بالعالم ولد سنة 1930م في قرية ساهل بأقبلي دائرة أولف ولاية أدرار، نشأ في أسرة علمية وحفظ القرآن الكريم مبكرًا في كتاب القرية ثم انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد السباعي ومكث فيها سبعة سنوات حصل فيها العلوم الشرعية، تحصل الشيخ على عدة إجازات علمية وقد أسس مراكز علمية كالمدرسة الشرعية بأولف في بداية الخمسينيات لتصبح منارة علمية، و للشيخ عدة مؤلفات في المذهب المالكي، يعد الشيخ من أبرز علماء هذا المذهب، توفي الشيخ في 19 أفريل 2009م.أنظر محمد باي بلعالم:**الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الاعلام و الأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**،دار هومة ،الجزائر،ج2 ،2005،ص-ص377-387.

[2] – محمد باي بالعالم : **إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة الفلان في جنوب الجزائر**، د ن، 2007، ص 19.

[3] – محمد بلو : المرجع السابق، ص 93.

[4] – ويعتقد البعض أن الفُلان هم تزاوج بين جنس زنجي وآخر أحمر أنظر .Le chatelier A : opcit, p107

[5] – عثمان برايما باري : **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين، ط1،مصر، 2000، ص316

ومكارم الأفعال ومحامد السير ... أمّا النجدة والشجاعة فليس لهم نظير فيها، أمّا العهد والوفاء فمنهم ابتدأت وإليهم انتهت في تلك الناحية على سمعنا ".[1]

وينتشر الفُلان من المحيط الأطلسي إلى السودان الأوسط، وقد تتسع رقعة سكانهم أحيانًا كما في مالي وشمال نيجيريا، وقد تضيق لتصبح جزر بشرية محاطة بشعوب أخرى كما هو الحال في غينيا و الكامرون وفولتا والنيجر، حيث يتواجدون في ماسينا وجني وفوتاتورو وفوتاجالون، كما تتواجد جماعات منهم في الشرق والجنوب الشرقي من منطقة ثنية النيجر والهوسا و آداماو و البرنو وواداي.[2]

ب– شعب المانـــدي (الماندينغ) :

وينتشرون في منطقة واسعة، تمتد من المحيط الأطلسي حتى ثنية النيجر، خاصة في مالي وغينيا والسينغال وغامبيا، ويمتازون بصفات: طول القامة مع بشرة فاتحة اللون يعتنق معظمهم الإسلام ويشتغلون بالزراعة.[3]

[1] – عبد الرحمن السعدي : **تاريخ السودان**، تح، هوداس، مكتبة أمريكا والشرق آدريان، باريس، 1981، ص 78 وأنظر كذلك توماس آرلوند : المرجع السابق، ص 361–362.

[2] – Le Chatelier A : op.cit., p109 وانظر كذلك نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص، 106، وكذلك حسن عيسى عبد الظاهر : **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفُلاني**، الزهراء للإعلام العربي، ط1،القاهرة، 1991 ص– ص 70–96.

[3] – أحمد نجم الدين فليحة : المرجع السابق، ص 195.

وهم أعظم أجناس إفريقيا تُقى، وأشدهم ذكاء وأكثرهم مهارة وأمانة، ومن أنشط الدعاة للإسلام، وبواسطتهم انتشر هذا الدين بين الجماعات المحيطة بهم حتى أصبحت كلمة صونكي تساوي كلمة داعية إسلامي.[1]

وسكان هذا الإقليم يحملون طبقًا للهجة أحد أسماء ماندي Mandy أو ماندنغ Mandango، ولذلك اعتبر "دلافوس" كلمة ماندينغ Manding إسماء للبلد و Mandingue إسمًا للشعب، في حين أن الفُلان يسمونهم مليكه بينما يسميهم العرب الونجاره.[2]

ويمكن تمييز ثلاثة فروع رئيسية لشعب الماندي، وهي بدورها تنقسم إلى فروع عديدة، تتمثل هذه الفروع في الملينكي و البمبارا و الديولا

وقد ذكر محمود كعت صاحب كتاب تاريخ الفتاش تفريقًا بين الملينكي و الونكرا حيث قال :

" إن الملينكي هو الجندي، و الونكرا من يتجر ويسعى من أفق إلى أفق..." [3]

[1] – أحمد شلبي : **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ط4،مصر، 1983، ج6، ص68، وأنظر كذلك توماس آرنولد : المرجع السابق، ص 356.

[2]– Maurice Delafosse : Les noirs de l' Afrique, Payot, Paris, 1922, p56.

وانظر كذلك نبيلة حسين محمد: المرجع السابق، ص 260.

[3] – محمود كعت : **تاريخ الفتاش**، تر : هوداس، مطبعة بردين أنجي، 1930، ص38.

ويتكلم شعب الماندينغ و البمبارا و الديولا نفس اللغة، ويشكلون نفس التنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد، ولكنهم يختلفون عن بعضهم في نواحي التاريخ والدين والموطن، حيث يعتبر البمبارا و الماندينغ أشباه مسلمين و الديولا مسلمين.[1]

ويعتمد نظام الماندينغ السياسي على قاعدة الشورى، حيث يترأس السلطة السياسية والمعنوية مجلس من الكبار يعينه الملك لتشاور في المسائل الهامة، وقد ساهم الماندينغ في تأسيس امبراطورية مالي ،ودولة ساموري توري[2] والذي حارب الفرنسيين، وامتدت دولته إلى النيجر الأعلى.[3]

ج – شعـــــب الولـــــــــوف (الجلف) :

يقول عنهم السعدي أنهم سودانيون أي من أصل أسود، وهم خيار الناس طبيعة وفعلا، ميزهم الله بالأخلاق الحسنة والسيرة المحمودة، ويتصفون بالنجدة والشجاعة والوفاء.[4]

---

[1]- Spencer Trimingham: Islam in west Africa ,Oxford at the Clerandon press, 1959, p 14.

وانظر كذلك عبد الرحمان زكي : المرجع السابق، ص103.

وللمزيد حول الماندينغ راجع كتاب

Mungo Park : Voyage dans l' intrieur de L' Afrique fait (1795-1796-1797) Tr, j castéra, T1, Tavenier, Libr, Paris, sd, pp,26-35

[2]-**ساموري توري**:(1830-1900) ولد في سانكرو على نهر ميلو أحد روافد نهر النيجر،كون دولة من شعب الماندينغ وتصدى للاستعمار الفرنسي، والحق به هزائم كثيرة ،اشتهر بالحنكة العسكرية والسياسية انظر إلهام محمد علي ذهني: المرجع السايق، ص53-54

[3]- حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 32.

[4]- عبد الرحمن السعدي : المصدر السابق، ص 76.

ويتمركز شعب الولف على الشريط الساحلي الواقع فيما بين سانت لويس والرأس الأخضر ومنطقة دكار، كما يتواجدون في الشريط الساحلي الجنوبي لنهر السينغال، ويمتد توزيعهم الجغرافي إلى الداخل بحيث يشمل منطقة متسعة.[1]، وقد تركزوا في ممالك وهي بالوم، وكاجور، وباورل، واوالو، والولف.[2]

ويتميز الولف ببشرة شديدة السواد، ويعتمدون على الزراعة كحرفة أساسية؛ حيث يزرعون الذرى والفول السوداني والقطن، كما يهتمون بصناعة المنسوجات القطنية والصناعات اليدوية البسيطة القائمة على المعادن.[3]

و يتكون المجتمع الولوفي من طبقات عديدة، إذ يتضمن طبقة الأحرار، ثم طبقة أتباعهم الذين أصبحوا أحرارًا؛ ثم تأتي بعد ذلك طبقة أصحاب الحرف كالحدادين، ثم طبقة المنشدين والمغنين، ثم العبيد المتحررين أو نسلهم.[4]، وقد كوّن الولف نظامًا حكوميًا قويًا يعتمد على طبقة النبلاء الذين يحيطون أنفسهم بجهاز عسكري قوي عماده الفرسان والمحاربون للدفاع عن عروشهم.[5]

[1] – فيج جي دي : **تاريخ غرب إفريقيا**، تر، السيد يوسف نصر، دار المعارف، ط1،مصر ، 1982، ص 80.

[2] –Spencer Trimingham :op.cit,p 13.

[3] – أحمد نجم الدين فليحة : المرجع السابق، ص194.

[4] – محمد عوض محمد : **الشعوب والسلالات الإفريقية**، الدار المصرية للنشر، مصر، 1965، ص53، نقلا عن عطية عبد الكامل، المرجع السابق،ص30.

[5] – حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 33.

د- قبائـــــل التكـــــرور :

يقول البكري : " مدينة التكرور أهلها سودان ...".[1]، و التكرور من أبناء كوش بن حام بن نوح، ويتخذ شعب التكرور اسمه من اسم الأرض التي يسكنها حيث يقول الدمشقي : أنهم يرجعون إلى مغراوة وصفاره، أي أن أصلهم من البربر.[2]، وهو ما يؤكده "دلافوس" بأن التكرور من أصل سوداني مختلط بدم أبيض، وذلك يقارب لحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار الاتصال الوثيق بين البربر والسودان بسبب الهجرات التي حدثت على مر التاريخ.[3]

وقد حرص العرب على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان، وهي الممتدة من المحيط الأطلسي حتى حدود النيل، وأصبحت كلمة تكروري مرادف لكلمة سوداني، وقد حذا حذوهم المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية.[4]

يجتمع التكرور أساسًا في منطقة فوتا السينغالية، ويسكنون على جانب نهر السينغال، وتنتشر منازلهم في أنحاء إفريقيا الغربية ومنطقة كايس على السينغال الأعلى، وفي نيورو في ساحل السودان وفي سيجو على النيجر، وفي بانجكارا في ماسينا الشرقية، وفي دنكراي إلى الشرق من فوتاجالون.[5]

---

[1]- أبو عبيد البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857، ص 172.

[2]- الدمشقي شمس الدين بن عبد الله : **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطريورغ، 1865،ص267-268

[3]- Maurice Delafosse : op. cite, p 17.

[4]-عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص34.

[5]-Spencer Trimingham : op. cite, p 13

اعتنق التكرور الإسلام بحماس وكونوا بذلك أول المجموعات الزنجية في غرب إفريقيا التي انتشر بها الإسلام، وحمل علماء التكرور راية الإسلام إلى ماجورهم من القبائل الزنجية، مارس التكرور الزراعة كحرفة رئيسية وتميزوا بجانب كبير من الذكاء والشجاعة، وقد لعبوا دورًا كبيرًا في مقاومة الاستعمار الفرنسي للمنطقة وشكل منهم الحاج عمر الفوتي إمبراطورية كبيرة امتدت من أعالي السينغال حتى أعالي النيجر.[1]

هـ – شعـــب السنـــغاي :

يعيش شعب السنغاي في المناطق المحيطة بالنيجر الأوسط، وبالذات حول ثنية نهر النيجر من مبتي إلى جنوب تنبكتو إلى غاو.[2]، ويتمركزوا، وهم في كل من جنى وتنبكتو وغاو ولقد اختلطوا بالطوارق والبربر (المغاربة)، وهؤلاء يشكلون العناصر الأرستقراطية، ومنهم الرماة سلالة الجنود المغاربة والأندلسيين الذين قضوا على مملكة سنغاي.[3]، ويتميزون باعتدال القامة واللون النحاسي البني، وقد اختلطوا بقبائل لمتونه البربرية خلال القرن 18م.[4]، وكون شعب سنغاي إحدى الممالك الإفريقية القديمة في غرب إفريقيا بعد أن قهروا الماندينغ و استولوا على مملكتهم مالي.[5]

[1] – عطية عبد الكامل : المرجع السابق، ص 29.

[2] – حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 34.

[3] –Spencer Trimingham : op. cit, pp 16-17

[4] – عطية عبد الكامل : المرجع السابق، ص 31.

[5] – أحمد شلبي : المرجع السابق، ص 70.

كما ساهم سنغاي في الدفاع عن الطريقة القادرية، وذلك من خلال تصديهم للحاج عمر الفوتي خلال توسعاته في ماسينا وتنبكتو.[1]

و- شعـــــــب السوننكـــــــي :

يستوطن السوننك على السواحل الغربية للقارة، ويتوغلون جنوب الصحراء، وقد امتزجوا بالبربر و الفُلانيين، وهم من الزراع الذين ارتبطوا بالأرض، ولقد اختلط السونيك بغيرهم من العناصر ولاسيما البربر وهو ما أدى الى تغير بعض الشيء في لون بشرتهم ، وقد أقاموا أقوى الإمبراطوريات في السودان الغربي وهي إمبراطورية غانا

اعتنق السوننكي الإسلام في وقت مبكر، وقد عملوا على نشره في السودان الغربي، وينقسم هذا العنصر إلى مجموعات سكانية يتخذ كل منها إسماء مشتقًا من المكان الذي يسقر فيه، وقد ساهم السوننك إلى جانب البمبارا في التصدي للحاج عمر الفوتي أثناء زحفه على منطقة كارتا.[2]

ز- شعـــــــب الديـــــــــولا :

الديولا تعني بلغة الماندينغ التاجر، وهم شعب يقطن الأراضي التي تمتد بين منحنى النيجر ومنطقة الفولتا، ويجتمعون بالجاليات الصغيرة بين الوطنين في ثنية النيجر وفولتا العليا وساحل الذهب، وقد اعتنقوا الإسلام في وقت مبكر.[3]

[1]-Spencer Trimingham : op. cit, p14.

[2]- زاكي عبد الرحمن : المرجع السابق، ص 103.

[3]- نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص 110.

الديولا من أصلٍ زنجي يمتازون بالملامح الزنجية الصرفة، ينتسب نظامهم الاجتماعي إلى الأم. اشتهروا بالتجارة، وقد ساهم هذا العنصر في تنشيط المبادلات التجارية بين البريطانيين المتمركزين في ساحل الأطلس والحاج عمر الفوتي.[1]

ح- شعـــــــــب الهوســـــــــــا :

يطلق شعب الهوسا على بلادهم اسم هوسا باكواي[2] وينتسبون إليه فيقولون الهوساوا، الهوساس ويطلقون الهوسا على لغتهم التي يتكلم بها كل شعوب غرب إفريقيا، وبالتالي فشعب الهوسا خليط من شعوب تنتمي إلى أصول مختلفة وإن جمعت بينها لغة واحدة.[3]

ويكون شعب الهوسا شعب نيجيريا شمالاً، وينتشر بين الصحراء الكبرى شمالاً وبين نهري بنوى جنوبًا، وتنتشر لغة الهوسا من التشاد إلى أعالي الفولتا، وكان للهوسا سبع إمارات، وهي إمارة دورا، وكان وزاراو، وزجزج، جوبير، وكاتسينا وبيرا، و مورانو.[4]

يشتغل الهوسا في الزراعة وصناعة الجلود والتجارة، ونتيجة علاقاتهم التجارية تركت حضارتهم طابعها المميز خارج موطنهم فأصبحت لغتهم هي السائدة في التجارة في كامل غرب إفريقيا.

---

[1] – حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 31.

[2] – **باكواي** : تعني في لغة الهوسا سبعة، والمراد بها ممالك الهوسا السبعة والأصلية، كما أن هناك رأي يقول أن كلمة الهوسا هي ذات مدلول جغرافي ،وتعني ضفة نهر النيجر، ثم صارت دلالة لغوية أكثر منها عرقية. انظر:حسن عيسى عبد الظاهر:المرجع السابق، ص 61

[3] – نفسه ، ص 61.

[4] – إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 42.

اعتنقت هذه الدويلات الإسلام على الأرجح في القرن 15م[1]، وكان الإسلام في البداية دين الصفوة وطبقة الأدباء وظلت الوثنية هي السائدة. ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية، وظل الأمر كذلك حتى ظهرت الحركة الإصلاحية لشيخ عثمان دان فودي.[2]

ط- شعـــــــــــب البمبـــــارا :

يتواجد شعب البمبارا في السينغال ومملكة مالي وحوض نهر سالوم وأعالي النيجر، ويكثرون على الساحل كثيرا منهم مزارعون ويعتنقون النظام الأبوي.

ويأخذ اسم البمبارا عدة تفسيرات، إذ يقول بانجير أن اسم البمبارا مرادف لكلمة كافر بالعربية، وهم يطلقون على أنفسهم بنمنه bamana أو بمنكه bamanka وهو مشتق من بمه bame وتعني التمساح، وهو الحيوان المتخذ عندهم طوطمًا، بينما يرى دلافوس أن اسم بنمنه ba-ma-na تعني الانفصال عن الأم.[3]

أما "سبينسر تريمنغهام" فيقول أن الأوروبيون أطلقوا اسم البمبارا اعتمادا على تسمية المسلمين، والتي تعني الرافضين للإسلام غير المؤمنين.[4]

[1]- عطيه مخزون الفيتوري : المرجع السابق، ص 26.

[2]- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 42،

[3]- نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص 110.

[4]-Spencer Trimingham : op. cite, p 14.

خضع البمبارا إلى سلاطين دولة السنغاي واستقلوا عنهم في القرن 17م، وفي القرن 18م أسسوا إمارة كارتا على النيجر واحتفظت باستقلالها طيلة هذا القرن.[1]

وظل شعب البمبارا على وثنيته وكون ممالك في المنطقة الواقعة عند المجرى الأعلى لنهر السينغال من ميدين إلى بافولابي، وعند نهر النيجر من باماكو حتى سانسندنج، وقد ظلت ممالكهم قائمة حتى قضى عليها الحاج عمر الفوتي.[2]

تتميز مباني البمبارا بأنها أكواخ مستديرة الشكل تسقف بالقش مشكلة قرى صغيرة، ويعتمد نظامهم على ترأس الجماعة شخص يتولى السلطة الدينية والزمنية ينتخب من طرف أطراف القبيلة، ويمثل سيد الأرض.[3]

ي- شعـــب المـــوسي :

ينتمي شعب الموسي[4] إلى قبائل الفولتا العليا التي تتحدث لغة الجور (gur) ويقطنون شرق الماندينغ بين السنغاي في الشمال والغابات في الجنوب، ولم يتأثر الموسي بالمسلين رغم اتصالهم بهم وتجارتهم معهم لقرون طويلة، ويتميز الموسي بتكوينهم السياسي والاجتماعي.[5]

[1]- حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 35.

[2]- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 29.

[3]- فيج. جي. دي : المرجع السابق، ص 69.

[4]- **الموسي** : وتعني طبقة المحاربين المهاجرين انظر عبد الرحمان زكي : المرجع السابق، ص104.

[5]-Spencer Trimingham : op. cite, p 15 .

يعتمد الموسي على زراعة الذره الرفيعة ويربون الخيول والحمير، وهم شعب وثني يقدسون الأسلاف وعبادة الشمس والقمر حيث يقوم الكهنة على النار المقدسة.[1]

وفي القرن 16م أقام الموسي دولتين: واغادوغو ،ودولة واهيغويا (ياتنغا)، وخلال القرن 18م اتحدت الدولتان في دولة واحدة، وقامت على جانبي منطقتاهما دولة الفُلان وماسينا.[2]

لقد تمكنت الطبقة الحاكمة عند الموسي من أن تفرض الاستقرار الداخلي، وأن تحمي الدولة من كل اعتداء خارجي، والنبلاء في الدولة يؤلفون المجموعة الإدارية الحاكمة، فهم رؤساء للقرى والمقاطعات ويعيش تحت سلطتهم مجموعة من الفلاحين والعمال البسطاء كالحدادين الذين تعمل نساؤهم في صناعة الحرف والحُلي والصباغة، أما التجارة فهي بيد اختصاصيين.[3]

ك- قبـــــــائل السريـــــــــــــــر :

يستوطنون بين نهري غامبيا وسالوم وجنوب الرأس الأخضر، وهم يجاورن التكرور ويكونون مع الولوف جزء من إمبراطورية التكرور، والسرير شعب وثني رغم أن الطبقة الحاكمة والمحاربين اعتنقوا الإسلام.[4]

[1] – فيج. جي. دي : المرجع السابق، ص 64، وأنظر كذلك أحمد نجم الدين فليحة : المرجع السابق، ص 195.
[2] – عبد الرحمان زكي : المرجع السابق، ص 104.
[3] – دانيس بلولوم : **الحضارات الإفريقية**، تر : علي شهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974، ص 125.
[4] – إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 28.

اختلط السرير بشعب الماندينغ حتى أن العديد من قيادات قبائل السرير من أصول ماندية ويتحدث السرير لغة الولف.[1]

يتكون مجتمع السرير من سبعة طبقات أهمها طبقة الجنود والقضاة وجامع الضرائب، ثم تليهم طبقات الأحرار والعمال المهرة كالحدادين والدباغين، وآخر المراتب في المجتمع طبقة العبيد، ويعتمد النظام الاجتماعي للسرير على طقوسهم الوثنية التي قاومت التواجد الإسلامي في المنطقة بشدة كبيرة إلى غاية أواخر القرن 19م.[2]

وتعتبر مجموعة السرير من المجموعات غير المترابطة، إذ تتكون أصلا من زعمات صغيرة ثم توافدت على المنطقة هجرات الماندينغ والتي تسلمت بعض الزعمات، وأهم دولتين في منطقة قبائل السرير هما ريني وسالوم، وهذه الأخيرة التي امتد نفوذها إلى غاية نهر غامبيا.[3]

ل- الشعـــوب التشاديـــــة :

تؤلف شعوب تشاد (السودان الأوسط) عناصر متباينة نجدهم في بورنو و باغرامي ووداي، وهم زنوج اختلطوا بطوائف التيدا والفُلان والعرب، يتحدثون عدة لهجات وقد اتصل بهم الكانمبو والكانوري، والباغرامي، وأهل واداي ، اعتنقوا الإسلام، ما عدى بعض الأقليات في الجنوب.[4]

[1] - عطيه مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 34.

[2] - حسين جاجوا : المرجع السابق، ص 33.

[3] - عطيه عبد الكامل : المرجع السابق، ص 37.

[4] -Spencer Trimingham : op. cite, p 16.

يعيش الكانمبو في كانم شمال شرق بحيرة التشاد في منطقة ضيقة لشواطئ البحيرة الشرقية والشمالية ، يشتغلون بالزراعة، اعتنقوا الإسلام في القرن 12م واضطر زعماؤهم الرحيل إلى البورنو في القرن 14م.[1]

أما الكانوري Kanuri فقد اخذت تسميتهم عدة تفسيرات منها : شعب النار أو شعب الضوء.[2] كما اعتقد آخرون أن أصل التسمية مستمد من لغتهم، وهم عبارة عن خليط من عناصر مختلفة من العرب و البربر والزنوج، يستقر معظم شعب الكانوري في برنو، ويعيش عدد منهم في النيجر وتشاد، وقد تميزوا بمهارتهم في الفروسية [3]

أسس الباغرامي مملكتهم جنوب كانم في القرن 16م وفد اعتنقوا الإسلام في القرن 17م . وتعني كلمة الباغرامي مئة بقرة، وذلك أن ملكهم كان يفرض جزية عن القبائل التي لا تخضع له تقدر بـ مئة رأس من الماشية، أما باللغة الام تعني القاسي.[4]

[1] – عبد الرحمان زكي : المرجع السابق، ص 105.

[2] – Elisée Reclus : Earth and its in habitants (Africa, v3, west Africa), Appleton and company, 1892, p 365.

[3] – ك. ماداهو بانيكار : **الوثنية والإسلام**، تر، تح : أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 1998، ص183.

[4] – عبد الرحمان زكي : المرجع السابق، ص 106.

لقد كان تأثير العرب شديدا في السودان الأوسط ، حبت تسربت قبائل عربية الى واداي وباغرامي و البرنو، ويعرف شعب البرنو هذه القبائل باسم الشو، وهي تتألف من صنفين الإبالة وهم رعاة الجمال و البقارة وهم ملاك البقر [1]

ومن عرب الشو نجد اولاد سليمان، وهم قبائل عربية نزحوا من فزان[2]، واستقروا على تخوم كانم ويتنقلون من آهير الى آبشا ومن بوركو الى إيندي، يعيش أولاد سليمان على نمط حياة عرب الشمال ويتكلمون لهجتهم. [3]

ومن النيل هاجرت قبائل عربية تعرف بالجعلين، ويسمون كذلك الجلابة، أما قبائل التنجار وهم قبائل هاجرت من تونس إلى جنوب البورنو و واداي واستقر جزء منهم في دارفور.[4]

[1]-Spencer Trimingham : op. cite, p17 .

[2]-**فزان:** ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ، وهي في الاقليم الاخير ،عرضه احدى وعشرون درجة ، قيل سميت بفزان بن نوح، بها نخيل كثير وتمر وفير، مدينتها زويلة والغالب على لون اهلها السواد ، انظر ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ص 260 ، وكذلك ابي الحسن بن سعيد المغربي : **كناب الجغرافيا**، تح اسماعيل العربي ،المكتب التجاري للطباعة ،ط1،بيروت ،1970،ص128.

[3]-Spencer Trimingham: op. cite,p18.

[4]- توماس آرنولد : المرجع السابق، ص 359.

المبحث الثالث : نظرة عن الأوضاع العامة قبيل القرن 16م.

قبل التحدث عن الطريقة القادرية ودورها في وسط وغرب إفريقيا بداية من القرن 16م كان لا بد من إلقاء نظرة عن الأوضاع العامة بالمنطقة، سنحاول دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية.

اولا– الأوضاع السياسية :

عرفت المنطقة أحداثًا سياسية قبيل القرن السادس عشر الميلادي تتمثل في تشكل إمبراطوريات وممالك إسلامية أهمها :

1– إمبراطورية مالي :

تعتبر مالي من أهم الإمبراطوريات التي ظهرت في غرب إفريقيا، وقد قامت على أنقاض إمبراطورية غانا، ولم تظهر على الساحة السياسية كقوة إلا مع الملك سنجيتا كيتا (سوندياتا)[1] الذي يعد المؤسس الحقيقي لإمبراطورية مالي، حيث استرجع استقلال مالي عن مملكة الصوصو وبدأ في التوسع على حساب الممالك المجاورة.[2] وأهم ما قام به توطيد أركان الدولة وتنظيمها، حيث قسم البلاد إلى أقاليم وعلى رأس كل إقليم حاكم من العائلة المالكة، وقد قضى في حكم البلاد قرابة العشرين سنة إلى أن توفى عام 653هـ/ 1255م، وعند وفاته كانت مملكة قد اتسعت في حدودها

[1] – **سنجيتا كيتا** :اشتهر باسم ماري جاطة وتعني بلغة الزنج الامير الاسد ،حكم مالي (1255/1233م) ،أنظر الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 52–53.

[2] – عبد الرحمان ميغا: **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 هـ** ، منشورات وزارة الأوقاف المملكة المغربية، 2011م، ص 18.

إلى بلاد الولوف غربًا عند المحيط الأطلسي، وإلى أواسط النيجر شرقًا، ومن فوتاجالون إلى كومبي صالح عاصمة غانا سابقًا شمالاً.[1]

واصل خلف سندياتا التوسع وتقوية الدولة، إلى أن جاء منسا موسى، والذي أخذ زمام الدولة في حالة من الفوضى والكساد التجاري، فعمل جاهدًا على صيانة النظام والأمن وتحسين العلاقات الخارجية، حتى أضحت مالي في عهده من أعظم إمبراطوريات القرن الرابع عشر الميلادي.[2]،وأضاف الملك لبنة جديدة لصرح مالي، ولذا وصفه العمري " ... بأنه أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلدًا، وأكثرهم عسكرًا وأشدهم بأسًا، وأعظمهم مالاً وأحسنهم حالاً وأقهرهم للأعداء وأقدرهم على إفاضة النعماء ...."[3]، وقد عمل منسا موسى ومن بعده أخوه منسا سليمان على استقدام مجموعة من العلماء والأدباء والفقهاء من المشرق والمغرب، وأغدق عليهم مما جعل مالي تزخر بأهل العلم وطلابه فانتشر التعليم في كافة أهل المملكة.[4]

وبعدما وصلت إمبراطورية مالي إلى ذروة مجدها في القوة والاتساع والرخاء والأمن توفى ملوكها الأقوياء، وجاء بعدهم خلفاء ضعاف ركنوا إلى الراحة والترف واللهو وفقدوا الروح العسكرية؛ ومع ظهور الصرعات الداخلية بين أمرائها ضعفت قدرات الإمبراطورية، وبدأت الأقاليم تنفصل، ولم يصل

[1] – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 53.

[2] – نفسه ، ص57.

[3] – شهاب الدين بن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح، كامل سلمان الجبوري، ، دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 2010 ، ج 4، ص49.

[4] – عبد الرحمان ميغا: المرجع السابق،ص19.

منتصف القرن الخامس عشر ميلادي حتى فقدت أهم إماراتها وأضحت دولة صغيرة اقتصرت على مدينة كنغابا[1] وعلى أنقاضها ظهرت إمبراطورية سنغاي.[2]

2- مملكة سنغـــاي :

تعتبر مملكة سنغاي من أقدم الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، إذ يذكر بعض المؤرخين أنها نشأت في القرن السابع الميلادي حول مدينة كوكو، ثم حولت العاصمة إلى غاو في بداية القرن الحادي عشر في عهد أسرة ضياء، وهكذا أخذت تظهر على الساحة السياسية كدولة صغيرة حتى عهد علي كلون الذي استطاع أن يجعل دولة سنغاي دولة مستقلة عن إمبراطورية مالي في نهاية القرن الحادي عشر ميلادي.[3]

لكن الكثير يعتبر سني علي الكبير[4] المؤسس الحقيقي لهذه المملكة إذ استطاع أن يوسع حدود دولته على حساب الدول والقبائل المجاورة، وأن يخرجها من طور التقزم والخضوع إلى طور القوة والسيادة لما يتمتع به من صفات الشجاعة والدهاء وهي سبب انتصاراته الباهرة.[5] وقد قال فيه كعت :" وما كسر له جيش كان فيه قطً غالبًا غير مغلوب".[6]

---

[1] **مدينة كنغابا** أو كنغبا كانت من اهم المدن في امبراطورية مالي خلال عهد سنجتاكيتا وهي توجد حاليا في جمهورية مالي ،وتقع على حدود غينيا، أنظر المرجع نفسه،ص19.

[2] – أحمد شلبي : المرجع السابق، ص،ص247-248.

[3] – الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص97.

[4] – **سني علي الكبير**: ينحدر من أسرة ضياء ، التي نزحت من طرابلس الغرب ،واستقرت بتلك المناطق، تولى الحكم في مملكة سنغاي (1465م- 1492م) ،عمل على توسيع مملكته وتنظيمها. أنظر عبد القادر زبادية : المرجع السابق،ص26، وكذلك الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق،ص99-100.

[5] – مهدي رزق الله : المرجع السابق، ص 228.

[6] – محمود كعت: المصدر السابق، ص43.

وبعد وفاته سنة 1492م تولى الحكم أحد ضباطه الأسقيا محمد ما بين (1493م-1528م)والذي أضاف لبنات جديدة على صرح المملكة، وبلغت في عهده ذروة مجدها قوةً واتساعا وأمنًا ورفاهية.[1]

ومن أشهر ملوك سنغاي الذين ساهموا في مجدها الأسقيا داود[2] والذي اهتم بالعلم والعلماء واتخذ خزائن من الكتب وقال فيه محمود كعت "كان مهيبًا فصيحًا خليقًا للرياسة كريمًا ... وسع الله عليه في دنياه وهو أول من اتخذ خزائن المال حتى خزائن الكتب، وله نساخًا ينسخون له كتبًا، وربما يهادي به العلماء...".[3]

وهكذا سيطرة مملكة سنغاي على غرب إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر وطيلة القرن السادس عشر الميلاديين، وازدهرت ازدهارا كبيرًا، فعمّ العدل والأمن و الرخاء في كافة أرجائها وطبقت شهرتها الآفاق، وذاع صيتها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً، واتجه إليها العلماء من كل حدبٍ وصوب.[4]

[1] – عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي ، المرجع السابق، ص 40.

[2] – حكم مدة ثلاثة وثلاثين عام وامتد فترة حكمه ما بين 1549و1582 ،أنظر عبد القادر زبادية : نفس المرجع ،ص45.

[3] – محمود كعت : المصدر السابق، ص 94.

[4] – عبد الرحمن ميغا : المرجع السابق، ص 21.

3- دولة الكـانم والبورنو :

تقع الكانم و البرنو حول بحيرة تشاد ، وهي بحيرة واسعة غزيرة المياه، وصل الإسلام إلى هذه المنطقة مبكرا، عن طريق إقليم فزان الذي فُتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان، ومن ثم دخل الاسلام إلى اقليم كوار ومنه إلى السودان الأوسط وهناك أقامت جاليات إسلامية منذ زمن مبكر[1].

وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي وصل إلى إقليم الكانم شعب من الرعاة يعتقدوا أنهم من بربر الصحراء، واتجهوا إلى الجنوب بعد الصراعات، واستقروا شمالي بحيرة التشاد وأسسوا دولة سميت بـ : الكانم ثم البورنو، وفي ما بعد أصبحوا شعبين منفصلين.[2]

وأول ملك لهم يسمى حومي[3] حكم بين سنتي 1085م-1097م وكان مسلمًا واتخذ لقب السلطان، وبلغت الدولة أوجّها أيام السلطان دونامه[4] والذي حكم بين سنتي 1210م-1224م، حيث أنشأ فرقة الفرسان وقدرت قوامها بـ : 2000 فارس، وتمكن من توسيع رقعة مملكته حتى حدود فزان شمالاً ووادي شرقًا، وحوض النيجر غربًا.[5]

أما في عهد حفيده إدريس دونامه (1353م-1376م)، زار ابن بطوطه الكانم ووصفها برخاء وامتداد الأمن، لكن أمر المملكة ضعف بعد أيام هذا السلطان، حيث ثارت الشعوب التي

---

[1]- حسين مؤنس : **الإسلام الفاتح**، كتاب دعوة الحق، منشورات رابطة العالم الإسلامي، دت، ص-ص 153-154.

[2]- نفسه ،ص 155.

[3]- **حومي**: ويكنب ايضا حماي ،وهو اوم بن عبد الجليل ،قام بجهود كبيرة في نشر الاسلام ببلاده ،توفي في مصر ودفن بها اثناء عودته من اداء فريضة الحج ،أنظر رجب محمد عبد الحليم :**الموسوعة الافريقية** ،جامعة القاهرة ، مج2، 1997،ص193

[4]- **السلطان دونامة**: وهو محمد بن جيل عرف بدونامة دبيلامي نسبة الى والدته دابال ،اختلف في فترة حكمه فقيل ما بين 1224/1210 وقيل ما بين 1259/1221 ربط علاقات مع الحفصيين بتونس، انظر ابن سعيد المغربي : المصدر السابق،ص95.وكذلك رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق،ص194.

[5]- حسين مؤنس: المرجع السابق ،ص 156-157

كانت خاضعة له مثل الصاو والتوبو سكان جبال التبستي وقبائل البولالا، وعجز السلطان كانم على التغلب على هذه القبائل، مما اضطرهم إلى الانتقال من بلد الكانم إلى ناحية البرنو الواقعة غرب بحيرة التشاد واستمر الصراع مع البولالا قرنًا من الزمن حتى تمكن إدريس كاتاكارامي من التغلب عليهم وإعادة سلطة الكانم من جديد في بداية القرن السادس عشر؛ وظلت سلطة البورنو قائمة إلى أن سيطرة عليها دول الهوسا في القرن التاسع عشر الميلادي.[1]

2- الأوضاع الاقتصادية :

عرفت المنطقة قبيل القرن السادس عشر ميلادي ازدهارا اقتصاديا بفضل كثرة النشاطات الاقتصادية خاصة التجارة، ففي عهد إمبراطورية مالي تنوعت النشاطات الاقتصادية، حيث استصلحت الأراضي الزراعية، و مما ساعد على النشاط الزراعي وقوعها في منطقة خصبة.[2]

كما ازدهرت الصناعة اليدوية في المدن الكبرى بوجود مناجم الذهب والمعادن الثمينة، حتى أن الكثير من المؤرخين يقولون على أرض مالي أنها وطن الذهب، ولهذا كان ذكر اسم السودان يسيل اللعاب.[3]

أما التجارة فقد عاشت ازدهارا كبيرًا بسبب تحكم الإمبراطورية في طريق القوافل.[4]

أما في عهد مملكة سنغاي فقد ازدهرت الحياة الاقتصادية بشكل مميز، فالأسقيون نظموا الحياة الاقتصادية بطريقة جيدة، حيث وفروا الأمن والاستقرار للتجار الأجانب، ونشطوا حركة التجارة حتى أصبحت تنبكت وجني وغاو من أهم المراكز التجارية؛ لكن الأحداث التي ألحقت

[1] - المرجع نفسه ، ص-ص 157-158.

[2] - محمود كعت : المصدر السابق، ص39.

[3] - عبد الرحمن ميغا : المرجع السابق، ص،ص 26 -27.

[4] - عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي ،المرجع السابق، ص117.

بالدولة بعد الهجوم المغربي انعكس على الحياة الاقتصادية، وقد ذكر ابن بطوطه أنه لاحظ الرخاء في بلاد الكانم على عهد السلطان إدريس دونامه 1353م-1376م بسبب نشاط التجارة مع مصر.[1]

وخلاصة القول أن بلاد السودان عرفت حياة اقتصادية مزدهرة قبيل القرن السادس عشر حتى ذاع صيت المنطقة وقصدها التجار والباحثين عن الثراء من كل مكان، حتى أن المغاربة يقولون في مثلهم :

إن جَرِب جَمَلُكَ فَعَليّك بالقطران وإنّ افْتَقرت فسَافِر إلى الْسُودَان.

وهذا يعني أن المنطقة كانت أسطورية الثروة تتمتع بالثراء والرفاهية في أغلب الفترات.[2]

[1]- حسين مؤنس : المرجع السابق، ص 257.

[2]- عبد الرحمن ميغا : المرجع السابق، ص28.

3- الأوضاع العلميـــة :

عرفت الثقافة الإسلامية ازدهارا واسعًا في وسط وغرب إفريقيا قبيل القرن السادس عشر ميلادي، حيث ظهر علماء وبرزت مدن كحواضر علمية، فنشط تعليم النشء في الكتاتيب والمساجد وبعض البيوت.[1]

وقد ذكر عبد الرحمان السعدي في ترجمته للفقيه مورمغ كنكي وصفًا أصيلاً عن أوقات الدراسة بجني أواسط القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، ومن الوصف يتجلّى الإقبال الكبير في السودان الغربي على التحصيل العلمي.[2]

كما أشار ابن بطوطه إلى الحياة الثقافية لبلدة زاغة والقريبة من جني، فيقول : " وأهل زاغة قدماء في الإسلام لهم ديانة وطلب للعلم ". [3]

إلى جانب جني كانت مدينة ولاتة تعد حاضرة علمية تعرف ازدهارا ثقافيًا، وهو ما تؤكده المصادر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، كما حفلت إمبراطورية مالي بعدد كبير من العلماء والفقهاء المحليين أو القادمين.[4]

---

[1]- نفسه ، ص 28.

[2]- عبد الرحمن السعدي : المصدر السابق، ص 16.

[3]- ابن بطوطة : **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار و عجائب الاسفار** ، المكتبة التجارية الكبيرة، مصر، ج2، 1958م ص196.

[4]- أحمد شكري : **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1220م-1430م)**، المجمع الثقافي أبو ظبي، ط1، 1999م، ص 218.

ويتجلّى ازدهار الحالة العلمية من خلال رواج تجارة الكتب وأسواقها، وهو ما شاهده ليون إفريقي في مطلع القرن العاشر الهجري حيث يقول : " تُباع أيضا بتنبكت مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحًا تفوق أرباح سائر البضائع ".[1] وبالضرورة أن هذا الازدهار كان حاصلاً قبل القرن العاشر الهجري .

وقد تضمنت ترجمة عبد العزيز التكروري في "نيل الابتهاج" أنه رحل للمشرق في زمن أبي القاسم النويري في أواسط المئة التاسعة وكان عالما، ويقال أنه عزى لأهل مصر جميع مسائل مختصر الخليل لأصولها إلا نحو ثلاثة، ويتضح من هذه الترجمة أن مختصر الخليل كان شائعًا بين فقهاء بلاد السودان وذلك منذ العقود الأولى للقرن التاسع للهجري الخامس عشر ميلادي، وهو زمن انتشاره في المغرب المريني تقريبًا.

وخلاصة القول أن الحركة العلمية ازدهرت في بلاد السودان قبيل القرن السادس عشر ميلادي سواءٌ من ناحية حركة العلماء والتدوين أو رواج سوق الكتب والمؤلفات.[2]

[1] –الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) : **وصف إفريقيا**، تر، محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983 ج2، ص 167.

[2] – أحمد شكري : المرجع السابق، ص،ص 219 –220.

الفصل الثانـــي

الطريقة القادرية؛ فروعها وعلاقتها بالتجانية في وسط وغرب افريقيا

المبحث الأول : التعريف بالطريقة القادرية

المبحث الثاني: فروع الطريقة القادرية بوسط وغرب افريقيا

المبحث الثالث : العلاقة بين القادرية والتجانية بالمنطقة

المبحث الأول : التعريف بالطريقة القادرية.

أولاً : التعريف بالطريقة القادرية.

تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح جنحي دوست، و كلمة الجيلاني نسبة الى بلادجيلان[1] والتي ولد بها سنة (471هـ/1078 م)[2].

1- نسبـــــــه :

ذكر الذهبي في كتابه "سير اعلام النبلاء" نسب الشيخ عبد القادر وقال: هو الإمام والعالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام عالم الأولياء محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد مولده بجيلان في سنة إحدى وسبعين وأربعمئة.[3]

---

[1]- هناك اختلاف في تاريخ ميلاد الشيخ فمنهم من يقول بسنة 470 هـ انظر عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **اضواء الطرق الصوفية في القارة الافريقية** ، مكتبة مدبولي ،1990 ،ص18 وكذلك حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص 38 اما عن مكان ميلاده فقيل ببشتير وهي موضع بجيلان ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ص 426، وهناك رأي آخر يقول أن جيلان قرية قرب المدائن جنوب بغداد وليس التي بأرض طابراستان، أنظر نور الدين ابي الحسن علي بن يوسف الشنطوفي : **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار** ، تح، جمال الدين فالح الكيلاني، الطبعة الماجستيرية، بغداد، 2010، ص 34.

اما عن نسبه فقد كان سجال بين مؤيد لنسبه الحسني وبين طاعن في هذا النسب ، على رغم من ان الشيخ لم يتكلم في نسبه في حياته انظر محمد الداه احمد : **القادرية في موريطانيا** ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ، اشراف عبد الشكور محمد امان العروسي ،قسم العقيدة ، كلية اصول الدين ، جامعة ام القرى ، مكة ، 1412هـ ،ص38

[2]- الحافظ بن كثير : **البداية والنهاية**، تح، محمد تامر وآخرون، دار البيان العربي، القاهرة، م6، 2006، ص، 635، وأنظر كذلك عبد القادر زبادية : **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، د م ج، الجزائر، 2010، ص، 229.

[3]- شمس الدين الذهبي : **سير أعلام النبلاء**،تح، شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، ج20، ص 439.

وعند البحث عن نسب الشيخ عبد القادر الجيلاني نجد أنه لم يكتب ترجمة عن نفسه، ولم يقوم بذلك لا أبناؤه ولا تلاميذه المعروفون بصحبته وملازمته، ولكن بعض المعاصرين أو المقربين من عصره ترجموا له تراجم متفاوتة في الدقة، وقد ذكر الشنطوفي في "بهجة الأسرار": أخبرنا الفقيه العالم أبو المعالي أحمد بن الشيخ المحقق أبي الحسن علي بن عبد الرزاق عيسى الهلالي البغدادي قال : أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر قال أخبرنا والدي عبد الرزاق قال سألت والدي الشيخ محي الدين عن نسبه قال (عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم).[1]

2- نشـــأتـــه وحياته :

نشأ الشيخ في بيت معروف بالعلم، فوالده من كبار علماء الجيلان، وأمه ابنة عبد الله الصومعي الزاهد، عُرف الشيخ بأنه نحيف البدن مربوع القامة عريض الصدر، وعريض اللحية، أسمر اللون، مقرون الحاجبين، ذا صوت جهوري وسمت،[2] بهي وقدر عالٍ، وعلم وفي.[3]

ظل الشيخ عبد القادر في بلدة جيلان حتى سن 18، تلقى فيها مبادئ العلوم الشرعية، و التي لم تشبع نهمه و لم ترض طموحه، و للاستزادة من العلم قصد بغداد سنة 488هـ/1095م، وهي السنة التي غادر فيها الإمام أبو حامد الغزالي المدينة.[4]

---

[1] – الشنطوفي : المصدر السابق ، ص 119.

[2] – **سمت** :حُسن الحديث وحُسن الجوار وقلة الأذية وإتباع الحق والهدى، ابي الفضل جمال الدين ابن منظور : لسان العرب، م2، دار صادر بيروت، دت، ص 46.

[3] – عبد القادر جيلاني : **سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار**، تح، خالد محمد عدنان الزرعي وآخرون، دار السنابل، ط2، 1993 ص 20.

[4] – محمد أحمد درنيقة : **الطريقة القادرية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2009، ص 17.

مكث في بغداد حتى وفاته، جلس إلى علمائها وأهل الرئاسة فيها، نهل من علومهم قرابة ثلاثين سنة حتى عقد أول مجلس له سنة 521هـ/1127م. يتفاوت المؤرخون في ذكر شيوخ الشيخ عبد القادر ومنهم من عدهم إلى ثلاثين شيخًا.[1]

ومن أهمهم أبو الوفاء بن عقيل، ومحمد بن الحسن الباقلاني[2]، والشيخ أبو الخير حماد بن مسلم الدباس (ت 525هـ/1130م) [3]، والقاضي المبارك بن علي بن حسين المكنى ابا سعيد المخرمي (ت 513هـ/1119م) وأجازه[4].

عُرف على الشيخ الجيلاني التسامح وحب الجار وإعفاء الترف في الغناء وملذات الحياة، من تسامحه الديني أنه كان يعبر عن حصرته لانحراف أهل الكتاب عن طريق النور، وكان لا ينعم بطعام دون جيرانه إذْ كان يوزع كل ما يرد إليه من هدايا وأموال ويدعوهم إلى مشاركته، وكان عزوفه عن الغناء سببًا في أن يعيش فقيرًا على الرغم من أن الملوك والسلاطين كانوا يتقربون إليه بالهدايا، ولكن كان يوزعها على الحاضرين والمريدين.[5]

---

[1] – محمد الداه احمد : المرجع السابق، ص 52.

[2] – **الباقلاني**: ابو غالب محمد بن الحسن بن احمد الباقلاني البغدادي ، روى عنه السمعاني ،وبن ناصر والسلفي ، اشتهر بكثرة بكائه خشية الله، توفى 500هـ/1106م، عاش ما يقارب 80سنة انظر الذهبي : المصر السابق ،ج19،ص395

[3] – **حماد بن مسلم الدباس** : انتهت اليه رياسة تربية المريدين انتمى اليه معظم مشايخ بغداد و صوفيتهم في وقته أنظر حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ،ص 383.

[4] –**أبو سعيد المخرومي** : ولد في 446هـ/1054م ،قال عنه ابن كثير سمع الحديث وتفقه فيه على مذهب احمد ، ناب في القضاء ،كان حسن السيرة ،جميل الطريقة سديد الاقضية توفى سنة 513هـ/1119م، ابن كثير ، المصدر السابق،م6، ص 573.

[5] – أحمد شلبي : المرجع السابق، ص 211.

و ما أن بلغ سن الخمسين سنة حتى صار من أشهر العلماء الحنابلة في بغداد، وطارت شهرته في مختلف الأرجاء وشدت إليه الرحال، بحيث تكلم في ثلاثة عشر علمًا، وكان يقرأ القرآن بالقراءات العشر، ويفتي على المذهب الحنبلي والشافعي.[1]

بنى مدرسة لنفسه سنة 528هـ/ 1133م، اشتهر بورعه وتقواه، لم يعتنق أي فكر صوفي، ولم ينظم أحد إلى طريقته طول حياته.[2]

جلس للوعظ في شوال 521هـ/1127م وكثر طلابه حتى ضاقت المدرسة بالناس فنقل مجلسه خارج بغداد عند المصلى، وقد عُد في بعض مجالسه أربع مئة (400) محبرة، كان يدرس التفسير والحديث والمذاهب والأصول وغيرها وقصد مجلسه كل الناس باختلاف أصنافهم من عامة وخلفاء ووزراء وعلماء.[3]

[1]- علي بدوي علي سلمان : **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريطانيا (1903-1960)**، رسالة الماجستير، إشراف عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 2003، ص 18، أنظر كذلك عبد العزيز بنعبد الله : **معلمة التصوف الإسلامي**، دار نشر المعرفة ، الرباط،ط1،2001 ،ج2، ص 214.

[2]- حوتية محمد الصالح : **توات والأزواد خلال القرنين 18-19م** دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1،ص 179، وانظر كذلك سبنسر ترمنجهام : **الفرق الصوفية في الإسلام**، تر، عبد القادر البحراوي: دار المعرفة الجامعية، مصر 1994، ص79.

[3]- عبد القادر الجيلاني : المصدر السابق، ص 21، وأنظر كذلك عيسى حسن عبد الظاهر : المرجع السابق، ص384.

تميز الشيخ عبد القادر بأنه صداعا بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، وينكر على من يولى الظلم كما فعل مع الخليفة المقتفي لأمر الله[1] عندما ولاّ القاضي يحي بن سعد المعروف بابن المزاحم، وكان مشهورًا بالظلم

فقد قال الشيخ على كرسي الوعظ مخاطبًا الخليفة : " وليت على المسلمين أظلم الظالمين فما جوابك غدًا عند رب العالمين أرحم الراحمين؟" فارتعد الخليفة وبكى وعزل القاضي المذكور.[2]

3- أقــوال العلمـــــاء فيه :

أثنى عليه علماء عصره إذْ يقول عنه العز بن عبد السلام: "بلغت إمامته القطع وكان عالما عابدًا متبعًا اتباعًا لا شائبة للهوى فيه، ومن أجل ذلك حازت طريقته القبول وقدره المفكرون قاطبه".[3]

وقال ابن رجب بوصفه لمكانة الشيخ العلمية وقبوله لدى الناس وجرأته في قول الحق: " ظهر الشيخ عبد القادر للناس وجلس للوعظ، وحصل القبول التام من الناس واعتقدوا ديانته وصلاحه، انتفعوا به وبكلامه و وعظه وكان في عصره معظمًا يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد وله مناقب وكرامات"، وقال ابن قدامه الفقيه الحنبلي: " ولا رأيت أحد يعظم من أجل الدين أكثر منه".[4]

[1] – المقتفي لأمر الله : امير المؤمنين ابو عبدالله محمد بن المستظهر بالله ، ولد في ربيع الاول من عام 489هـ /1096م، بويع بالإمامة في 16 ذي القعدة 530هـ،1135م كان عاقلا، لبيبا عاملا مهيبا ، محبا للعلم و الحديث، توفي 2 ربيع الاول 555هـ/1160م وعاش حوالي 66 سنة وقيل مات بعلة التراقي انظر الذهبي :المصدر السابق،ج20 ، ص-ص 399-412.

[2] – أحمد درنيقة : المرجع السابق ، ص-ص 23-28

[3] – علي بدوي علي سلمان : المرجع السابق، ص19.

[4] – محمد الداه أحمد : المرجع السابق، ص 67.

وقال ابن تيميه عن طريقته: " إنها الطريقة الشرعية".[1]

وقال ابن كثير: " ... كان له سمت حسن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،... وفيه زهدٌ كثير، وله أحوالٌ صالحة و مكاشفاتٍ أكثرها مغالاة وقد كان صالحًا ورعًا.." .[2]

4- آثـــــــاره :

توفي ببغداد وشيعه خلقٌ لا يحصون.[3] وما لبث أن تحول ضريحه إلى مزار يقصده عامة الناس، وفي العهد العثماني اهتم السلطان سليمان بالمقام، وكذلك المسجد الموجود بجانبه.[4]

ترك الشيخ عبد القادر من ذريته وتلاميذه علماء ناشطين في نشر العلم والتربية والسلوك؛ إذْ انتشروا في البلاد، و قاموا بإنشاء المدارس والأربطة، وعملوا على تنظيمها، ومن آثار الشيخ أنه ترك عددًا كبيرا من الأولاد وقد ذكر الذهبي في سير اعلام النبلاء، ان عبد الرزاق ابن الشيخ ان اباه وُلِدَ له تسعة وأربعون ولدا سبعة عشر ذكرا والباقي اناث [5].

عاش الكثير منهم، وأخذوا عنه العلم والسلوك، ودعوا إلى طريقته ونشروا أسانيده، ومن أبنائه الذين برعوا في التلقي عن أبيهم، ابنه عبد الوهاب (ت593هـ/1196م)، والذي رحل إلى بلاد العجم طالبًا العلم وقد ناب عن والده في التدريس بمدرسته في حياته وبعد مماته، أُعتبِرَ أميز أولاد الشيخ علمًا وذكاءً وسخاءً ومروءة.[6]

---

[1]- علي بدوي علي سلمان : المرجع السابق، ص 20.

[2]- ابن كثير: المصدر السابق ، ص635.

[3]- الذهبي : المصدر السابق، ج20، ص 450.

[4]- أحمد درنيقة : المرجع السابق، ص26، وأنظر كذلك عبد القادر زبادية : دراسة عن إفريقيا، المرجع السابق، ص230.

[5]- الذهبي :المصدر السابق،ج20، ص447.

[6]-محمد الداه أحمد : المرجع السابق، ص،ص 58-59.

إضافة إلى هذا الغراس النافع الذي خلفه الشيخ ترك مؤلفات كثيرة أشهرها الغنية لطلاب طريق الحق، الفتح الرباني والفيض الرحماني، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية .... وغيرها.[1]

5- طـريـــــــــقته :

بعد وفاته بدأ الناس يسيرون على نهجه، واستطاع أبناؤه نشر مذهبه الذي يتسم بالولاء والإخلاص والطاعة والتواضع ؛كما أخذ تلاميذه على عاتقهم نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي.[2]

وذكر الشيخ عبد القادر في كتابه الغنية سبعة أصول، قال إنها أساس الطريقة وهي : المجاهدة والتوكل، حسن الخلق والصدق والرضاء والصبر.[3]

واتحاد الظاهر والباطن (الإيمان والعبودية)، ومن المبادئ الأخلاقية الصدق، والكسب الحلال وترك الخصومة، والتعاون في أمر الدين والدنيا، وحسن العِشرة، أما ترتيبات الانتساب فتتمثل في أوراد وأذكار يلتزم بها المريد عند لقاء الشيخ أول مرة، وتشرع في صلاة ركعتين وقراءة الفاتحة والاستغفار والتوبة والطاعة والعهد وهو صيغة الالتزام ومبايعة بين المريد والشيخ.[4]

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق : المرجع السابق، ص 19، أنظر كذلك أحمد درنيقة : المرجع السابق، ص،ص27-28.

[2]- حوتية محمد الصالح : المرجع السابق، ص179.

[3]- عبد القادر الجيلاني : **الغنية لطالب طريق الحق**، تق، محمد خالد عمر، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1996، ج2 ص 468.

[4]- الطاهر بونابي : **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8هـ – 9هـ / 14– 15م**، أطروحة دكتورة في التاريخ التاريخ الاسلامي الوسيط ، إشراف عبد العزيز فيلالي ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ،2008-2009 ، هامش رقم 1 ، ص 543

وتضم الطريقة القادرية أذكارًا و أورادًا[1] يلتزم بها المريد، وتؤدى على طهارة واستقبال القبلة، و تتمثل هذه الأوراد في المقولات التالية :

الاستغفار : بقول المريد استغفر الله مئة مرة.

التسبيـــح : بذكر عبارة سبحان الله مئة مرة.

التصليـــة : الصلاة على النبي و آله وصحبه.

الهيللـــة : بقول لا إله إلا الله مئة مرة.[2]

وتختلف صيغة الذكر والأوراد بين المناطق، وإن كان محتواها في الأصل واحد وقد ذكر بول مارتي في كتابه كنتة الشرقيين أن للطريقة القادرية البكائية وردًا يتمثل في :

الحسبلة : وتتمثل في عبارة حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم أو عبارة حسبنا الله ونعم الوكيل (مئتي مرة).

الهيللة : لا إله إلا الله (مئتي مرة)

التصلية : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا (مئة مرة)

[1] – **الأوراد** :و مفردها ورد وهو اسم لوقت من اول ليل او نهار، يرد على العبد مكررا، فيقطعه الى الله قربة، وهو انواع منها الوظيفة و الحزب و الدعاء، انظر رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، مكتبة لبنان، بيروت،ط1، 1999، 1036.

[2] – عثمان برايما باري : **الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين، القاهرة، ط1، 2000، ص،ص، 228-229.

وتؤدى هذه الأذكار دُبُرَ كل صلاة مكتوبة.[1]

وإن الالتزام بهذه الأوراد عقب كل صلاة مكتوبة يكون للأولياء والشيوخ والأتقياء، أما عامة الناس لا يقرؤونها إلا بعد صلاة العشاء، ويستخدم في هذا الذكر السبحة العادية.[2]

ويتشكل الورد القادري من عدة ركعات، تُقرأ فيها الفاتحة مع سورة معينة، وبعد التسليم تُقرأ آيات معينة من القرآن الكريم، ثم الصلاة على النبي، ويدعو دعاء عام، يخصص في نهايته لمؤسس الطريقة القادرية.[3]

---

[1]-Louis Rinn : Marabouts et Khouan (étude l' islam on Algérie), Adolphe Jourdan libraire, éditeur, 1884, p 184. وكذلك

Paul Marty :études sur l'islam et les tribus du soudan ,T1, Edition Erneste Leroux .Paris , 1920, P 138.

وأنظر كذلك عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص230 ، وكذلك إدريس بن خويا : **واقع الطرق الصوفية بإقليم توات بين المرجعية المعرفية والممارسة العملية**، الملتقى الدولي (التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة)، جامعة أدرار، ع1، المطبعة العربية،2009، ج2، غرداية، ص 243.وكذلك.

Hamadou Boly : le soufisme ou Mali du 19 siècle à nos jours, thèse doctorat, dirigée par Geoffroy Eric, Ecole doctoral des humanités, Université de Strasbourg, 2013 p 47.

[2]- عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 230، وأنظر كذلك

Paul Marty : études, op. cit, p, 138.

[3].حوتيه محمد الصالح : آل كنتة، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2008، ص 242

أما طريقة أدائها، فإنهم يقرأون في الركعة الأولى سورة الكوثر ستة مرات، وفي الثانية سورة الكافرون ستة مرات، وفي الثالثة سورة الإخلاص ستة مرات، وفي الرابعة المعوذتين مرة واحدة، وفي الخامسة آية الكرسي مرة واحدة، وفي السادسة قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[1] مرة واحدة.[2]

وفي السجود يذكر قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾[3]، ثم يقولون اللهم أني أستودعك ديني وإيماني فأحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي.[4]

ويعتبر القادريون أن وردهم أجل الأوراد، وهذا ما يثبته محمد بلوا في كتابه إنفاق الميسور حيث يقول : إن ورد السلسلة القادرية أجل الأوراد لأنه يغني عن كل ورد، ولا يغني عنه ورد، ومن فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على أحسن حال ولو فعل ما فعل.[5]

[1] – **سورة الحشر** : الآية رقم 21

[2] – حوتيه محمد الصالح : **آل كنتة** ، المرجع السابق ، ص،ص 242 ، 243.

[3] – .**سورة طه** : الآية رقم 25

[4] –حوتيه محمد الصالح : **آل كنتة**، نفس المرجع، ص 243.

[5] – محمد بلو : المرجع السابق، ص222.

ثانيـــا : انتشار الطريقـــــة القادريـــة بوسط وغـرب إفـــريقيا.

عرفت الطريقة القادرية انتشارا واسعًا في أنحاء العالم الإسلامي، بفضل أبناء الشيخ عبد القادر وتلاميذه، وقد كان أول اتصال للطريقة القادرية ببلاد المغرب خاصة الأوسط منه وتونس على يد الشيخ أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي (ت594هـ/1197م)[1] خلال القرن 12م[2]، حيث تتلمذ على يد شيخها وأخذ عنه التصوف وألبسه الخِرْقَةَ في لقائهما في الحج[3]، ولما رجع إلى بلاد المغرب استقر ببجاية في النصف الثاني من القرن 12هـ

ونشر بها العلم والطريقة إذْ انتشرت الطريقة بكامل بلاد المغرب وذلك بواسطة عدة شيوخ، كعبد السلام بن مشيش[4] وغيره، لتنتقل إلى الصحراء والواحات، ومن توات ولجت الطريقة إلى بلاد

---

[1] – **أبو مدين شعيب الأنصاري** :شيخ الشايخ ،سيد العارفين و قدوتهم، الامام المشهور اندلسي المولد ،كان زاهدا فاضلا عارفا، من اعلام العلماء و حفاظ الحديث خصوصا جامع الترمذي ،سافر للمشرق واخذ عن علمائه تنعرف على الشيخ الجيلاني، سكن بجاية ودرس بها ،مات سنة594هـ/1197م، ودفن بالعباد ضواحي تلمسان. انظر يوسف بن يحي التادلي : **التشوف الى رجال التصوف**، تح، احمد التوفيق ،منشورات كلية الآداب ، الرباط 1997،ص-ص319-325،وكذلك احمد بابا التنبكتي :**نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تق عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ،طرابلس ،ط1 1989م،ص-ص193-198، وكذلك عبد القادر التليدي : **المطرب بمشاهير اولياء المغرب** ،دار الامان ،الرباط، ط2003،4،ص-ص92-99 .

[2] –الطاهر بونابي : المرجع السابق ،ص 543، وأنظر كذلك آدم عبد الله الآلوري : **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني**، الدار العربية، بيروت ، ط2، 1971، ص 43.

[3] – الخليل النحوي : **شنقيط الرباط والمنارة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 121، أنظر كذلك خنقوف إسماعيل: **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس**، 1844-1931، بحث مقدم للماجستير، إشراف صالح فركوس ،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة باتنة، ، السنة الجامعية ،2010،2011، ص 36.

[4] –**عبد السلام بن مشيش** :اختلف المؤرخون في سنة ميلاده، منهم من قال سنة 559هـ/1163م ، ومنهم من رجح 563هـ، ولد بقرية الحصين، من قبيلة بني عروسي، وهي قبيلة جبلية، قرب ساحل المحيط، حفظ القرأن وهو في سن 12 ، من اشهر مشايخه الولي الصالح الحاج احمد القطران، له صلاة تسمى بالمشيشية ، توفى سنة 625هـ/1227م، انظر التليدي : المرجع السابق ،ص-ص92-99.

السودان الغربي عن طريق الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1503م)[1] الذي نشر الطريقة القادرية بمنطقة توات وأسس بها زاوية بقصر بوعلي سنة 889هـ/ إذْ كان لها إشعاعًا كبيرًا بمنطقة توات وغرب إفريقيا.[2]

فقد قام الشيخ المغيلي برحلة طويلة إلى منطقة السودان الغربي، حيث زار عدة مناطق وظل فيها مشتغلا بالوعظ والدعوة والنصح للحكام، ومن هذه المناطق كانو، وكاتسينا، وكاغاو، و تيقدا، وآهير، وبلاد الهوسا ثم بلاد التكرور، وبعد ذلك التحق بغاو عاصمة مملكة سنغاي والتقى بالأمير الأسقيا محمد الكبير[3] الذي حكم سنة 1493م[4]، ولذلك اعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أو من نشر الطريقة القادرية بالسودان الغربي.[5]

---

[1] – **المغبلي** : محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، نسبنه الي قبيلة مغيلة، فبيلة من البربر ، نشأ بتلمسان ، مفسر و متكلم وله نظم، ناوأ اليهود بتوات، وكانت له معهم مشاحنات، نازع السيوطي في المنطق، زار بلاد السودان، وكنب رسائل لحكامها في امور السلطة، نوفي بتوات ،ومن اثاره البدر المنير، وعلوم التفسير، مصباح الارواح في اصول الفلاح ، احكام اهل الذمة ...الخ .

[2] – زهرة مسعودي : **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م–20م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد الكريم بو الصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 2009–2010، ص 52 انظر التنبكتي: المصدر السابق، ص576.

[3] – **الأسقيا محمد الكبير** : الحاكم الاول لمملكة السنغاي في عهد الأسقيين(1493م–1528م)،عمل على تقوية الدولة من خلال القيام بخلق مؤسسات ،و تحرير الجيش وفتحه لكل ابناء القبائل ،وتنظيم الاداري للبلاد بتقسيمها لمقاطعات، قرب اليه الفقهاء و العلماء، شهدت مملكة سنغاي في عهده اكبر اتساع جغرافي، وتعداد بشري .وتنظيم حضاري. انظر عبد القادر زباديه :مملكة سنغاي، المرجع السابق،ص31 ومابعدها

[4] –عبد العلي الودغيري : **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2010، ص–ص 77–79، وأنظر كذلك يحي بو عزيز : **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**،دار هومة، الجزائر، 2001، ص–ص 80–83.

[5] – آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص 43.

وفي عام 1553م بدأت أفكار جديدة تؤثر على الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا وجاءت هذه الأفكار من مصر وتركيا عبر شرق إفريقيا، حيث ظهرت أفكار الشيخ زروق[1]، والذي يعتبر من أهم رجال الطريقة بأغاديس، ومن هذه المدينة انتقلت أفكاره وآراؤه إلى الشيخ المختار الكبير.[2]

ونظرًا للارتباط التجاري بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، فقد كانت هناك هجرات من منطقة توات إلى غرب إفريقيا، ومن هذه الهجرات هجرة قبيلة كنتة والذين اتخذوا من ولاته مركزًا لهم؛ ولذلك عدّت هذه المدينة مركزًا حضاريًا للثقافة الإسلامية للسودان الغربي، وأول نقطة لنشر الطريقة القادرية لهذه المناطق، وبسبب ظروفٍ تحولت هذه القبيلة إلى تنبكت ونشروا من خلالها الفكر القادري، وبعد توطد أركان الطريقة القادرية بالمدينة أخذت طريقها إلى باقي أجزاء القارة.[3]

ولعل أبرز من جاء بعد المغيلي الشيخ أحمد البكاي[4] وأبنه سيدي عمر (ت 1552م).[5]

---

[1]- **الشيخ زروق:** هو احمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، الامام القطب المحدث الصوفي (846هـ/1442م-899هـ/1493م)، عاش يتيما ،حفظ القران وهو صغيرا، اشتغل بالتصوف، اخذ رسالة الطوسي عن عبد الرحمن المجدولي، من شيوخه التازي و المشدالي اما في المشرق منهم الحافظ السخاوي، وبن عقيه الحضرمي، ومن مؤلفاته شرح مختصر خليل، وكناب عدة المريد .انظر التنبكتي: المرجع السابق، ص 130

[2]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق، ص 37، وأنظر كذلك عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق، ج2، ص، 215.

[3]- توماس آرلوند : المرجع السابق، ص 365.

[4]- **البكاي** : سيدي احمد البكاي (ت920هـ/1514م)، عابد صالح قيل انه كثير البكاء، لان الصلاة في المسجد فاتته مرة ، فلقب البكاي، مر بولاته فرأى الناس من بركته ورغبوا اليه في البقاء معهم، فأقام بها، قبره بحبلها معروف اليوم ، انظر النحوي : المرجع السابق،ص515.

[5]- **سيدي عمر** : بن الشيخ سيدي احمد البكاي الكنتي(ت959هـ/1552م)، اخذ الطريقة على يد الشيخ المغيلي، حيث صاحبه 30 سنة، وقيل ان المغيلي اوصى تلاميذه بالذهاب اليه بعد موته : محمد الداه احمد: المرجع السابق،ص،ص149-150.

كما عمل السيد التأزاري على نشر القادرية في كل ما يسمى اليوم بغامبيا وغينيا بيساو وليبيريا وغانا.[1]

أبرز الوجوه الكنتية التي ساهمت مساهمة فعالة في إرساء القواعد القادرية وبناء سرحها إضفاء الطابع الإفريقي عليها بالمنطقة الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي (1730م-1811م) حيث حظي بمكانة دينية كبيرة بين القبائل الإفريقية و أعُترف له بالمشيخة وأصبح قطبًا للطريقة القادرية.[2]

وقد أنشأ المختار الكبير مدارس وزوايا جديدة لنشر الطريقة القادرية والإسلام في منطقة نهر النيجر والأجزاء الغربية وجنوب البورنو، وكاتسينا، ودانداي، والسينغال، وقد اكتسب تلاميذه الذين انتشروا في غرب إفريقيا احتراما وقبولاً من خلال سلوكهم وتعاملهم في تجارتهم مع الأفارقة، وقد سمح لهم هذا النشاط بالاختلاط مع المواطنين في المناطق الوثنية، كما عملوا على تأسيس المدارس بهاته المناطق لتحفيظ القرآن وتعليم ما يجب معرفته في أمور الدين.[3]

قد أُشِيرَ أن الإسلام – أن الإسلام بجهود قادة الطريقة القادرية — لم يعد دينًا لمجموعة قليلة من التجار أو من العلماء في المدن الرئيسية بل أصبح دينًا يعتنقه الملوك الوثنيون.[4]

[1] – محمد فاضل علي باري : المرجع السابق، ص 44، وأنظر كذلك أحمد شلبي : المرجع السابق، ص 212.

[2] – عبد الرزاق عبد الله إبراهيم : المرجع السابق، ص 38، وأنظر كذلك

Shamil Jeppie and Souleymane Bachir Diagne: The meaning of Tumbukto Published by HSRC Press, South Africa,fp2008, p, 199

[3] – أحمد إلياس حسين : **دور الصوفية في المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء (9–13هـ) (15–19م) السودان نموذجًا**، مقال منشور بمجلة الجامعة الأسمرية، ليبيا، السنة الثالثة ع أربعة، ص، 316.

[4] – أحمد إلياس حسين : المرجع نفسه، ص، 316.

وعلى هذا الأساس امتد نفوذ الشيخ المختار الكبير الكنتي في غرب إفريقيا، وتبعه أمراء وقبائل إفريقيا عدة، فقد بايعه أمراء سكوتو، فقد بايعه كالشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبد الله وأبنه محمد بلو، وأمراء بورنو وجميع القبائل الفولانية، البمبارا، و السنغاي، و الماندي، وجميع الأفارقة المتواجدين من الشمال والغرب وبحيرة تشاد في الشرق[1]، وظهر أثر الطريقة القادرية في بورنو في أوائل القرن 18م، إذْ نجح الشيخ محمد أمين الكانمي من تأسيس مدينة تجالا، وسعى إلى نشر الطريقة القادرية في المنطقة، كما ازداد اتساع رقعة الطريقة القادرية بعد تزعم عثمان بن فودي عملية الإحياء القادري.[2]

[1] – زهرة مسعودي : المرجع السابق، ص 71.

[2] – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق، ص 40.

المبحث الثاني: فروع الطريقة القادرية بوسط وغرب افريقيا

تفرعت الطريقة القادرية في افريقيا جنوب الصحراء الى عدة طرق فرعية منها البكائية (المختارية) ،الفاضلية، و المربدية .

أولاً : الطريقة القادرية البكائية (المختارية).

1- تأسيس الطريقـــــــة :

تنسب هذه الطريقة الى اثنين من أبرز شيوخها سيدي أحمد البكاي، والذي يعتبر ابنه سيدي عمر أول المجتهدين في نشرها، والشيخ سيدي المختار الكبير، وكان سيدي عمر بن الشيخ أحمد البكاي(ت1552م)، قد لازم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأخذ عليه الطريقة[1]. وانتشرت هذه الطريقة من مركزها الأول، والذي يحدده سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي بقوله : "إن الشيخ سيدي أحمد البكاي خرج من السافية الحمراء ، مع بعض تلاميذه حتى وصل إلى ولاته، وإن ابنه سيدي اعمر بعد وفاة شيخه المغيلي في توات ظل يعيش بطلابه و مريديه، بين الساقية الحمراء ووادي الشب شرقي توات".[2]

[1]-Paul Marty :Etude sur l'islam ,T1 , op.cit ,p129.

[2] - محمد الداه احمد: المرجع السابق، ص 153.

ويذكر الشيخ سيدي المختار الكنتي عددًا من الشيوخ العاملين على نشر القادرية من أجداده انطلاقا من المراكز المذكورة وابتداء من الشيخ أحمد البكاي المتوفي في ولاته 911هـ/1505م، وانتهاء بالشيخ الأمين الملقب بذي النقاب(ت1715م)، والذي بوفاته خرجت رئاسة مشيخة القادرية البكائية من البيت الكنتي، إلى أحد مريديهم، الشيخ سيدي علي بن نجيب بن محمد بن شعيب الشريف التكروري، والذي اخذها منه الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي ،كما ذكر أحمد بن سيدي محمد الرقاد، والذي بنى زاوية كنتة بتوات جنوب غرب الجزائر[1]

كما تعرف الطريقة بالمختارية نسبة للشيخ المختار الكبير الكنتي، اذْ قام بتأسيس زاوية بمنطقة المبروك، وقد كان للزاوية دورًا دينيا وتجاريا رائدًا ، وصار لها فروعا في كل من مكناس و مراكش بالمغرب الاقصى، وبمرور الزمن صارت الطريقة المختارية من أشهر الطرق بالصحراء الكبرى، و السودان الغربي، و المغرب الإسلامي، ومن أبرز المشايخ الذين ساهموا في نشرها بالمناطق المذكورة الفقيه بن دخ[2]، البربوشي ومحمد السوداني [3]و بوطربوش[4].

[1]- Paul Marty : Etude sur l'islam ,T1, op.cit ,pp 136-137.

[2]- **بن دخ** :محمد أحمد الازموري الدكالي، شيخا جليلا ،كبير القدر والجاه، محدثا صوفيا و محققا، نزل المدينة المنورة ودفن بها 1868م.انظر احمد الحمدي : **المختار الكبير الكونتي التصوف والعلم بأزواد افريقيا**، منشورات البيت ، الجزائر ،2009،هامش 871، ص 195.

[3]- **محمد السوداني**: محمد السوداني المراكشي، كان مجودا يحفظ السبع، وكان محققا جامعا بين العلم والعمل، توفي 1890 ودفن بروضة الامام السهيلي .انظر، حمد الحمدي: المرجع نفسه، هامش876،ص 196.

[4]- **بوطربوش** : محمد ين عبد الحفيظ الدباغ الحسني، من اهل الخصوصية والعرفان، و التصوف شهد له بذلك اهل وقته، توفي 1870 انظر، أحمد الحمدي: المرجع نفسه، هامش877، ص196

2- ورد الطريقة البكائيـــة :

يستظهر أتباع القادرية البكائية أذكار خاصة تؤلف فاتحتهم الخاصة والتي تختلف نوعًا ما عن أوراد الفروع القادرية الاخرى، ويقول بول مارتي : ذاك هو ورد سلسلة القادرية، وهو أشهرها يقوم مقام كل الأوراد الأخرى، ولا يمكن الاستعاضة عنه، بأي ورد آخر، ومن يحفظه لا يموت، إلا في أحسن الأحوال ويقوم على قراءة الأدعية التالية دبر كل صلاة.

-حسبنا الله ونعم الوكيل 200 مرة،

-أستغفر الله العظيم 200 مرة،

-صلى الله على محمد وعلى آله 100مرة.[1]

وبعد وفاة الشيخ المختار الكبير، انقسمت القادرية إلى ثلاث فرق: القادرية البكائية و مركزهم الزاوية المذكورة، وقد انتشروا إلى (تنبكت)، والثانية: القادرية الذين في أدرار، والثالثة: القادرية الذين في (ولاته)، وقد انتشروا إلى السودان الغربي ومن مراكزهم كانكاي، ونيمبو، من بلاد فوتاجالون، وبلاد الماندينغ، وامتدوا إلى الجهات المجاورة حتى وصلوا مقاطعة سيراليون.[2]

[1]- عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 230.

[2]- لوتروب ستودارب : **حاضر العالم الإسلامي**، تر، عجاج نويهض، تعليق، شكيب ارسلان، دار الفكر، ط4، 1973، مج1، ج 2،ص 395.

ثانيـــــا : الطريقـــــة الفاضليـــــة.

1- تأسيس الطريـقة :

تنسب هذه الطريقة إلى محمد فاضل بن مامين (محمد الأمين) (ت 1281هـ/1864م)، وكتب أحد موظفي مصلحة التجسس الفرنسيين حيث قال " الطريقة الفاضلية نشأت في قبائل إزناكمه، في منطقة الحوض، والذين عرفوا بأهل الطالب مختار، وقد نشأت في حجر الطريقة القادرية... ".[1]

ينتسب محمد الفاضل إلى نسب شريف يصل نسبه إلى الرسول (ص)، أخذ العلم على مجموعة من علماء الصحراء مثل : الشيخ محمد الخليفة الكنتي وغيرهم.[2]

وقد استند في تأسيس طريقته على أن كل الطرق التي حسب مفهوم الإسلام التي تقيم أسس الشريعة، وقد جعل طريقته كأنها مركز التقاء، وقطب جاذبية لكل هذه الطرق التي تعمل ضمن نطاق الشريعة الإسلامية، وتمكنت هذه الطريقة بواسطة هذه الفكرة أن تكسب أتباعًا على حساب بقية الطرق وخاصة أنها تُجَوز الانتساب لأكثر من طريقة في آن واحد.[3]

---

[1]- أحمد الداه : المرجع السابق، ص 196.

[2]- محمد الظريف : **الفاضلة ودورها في تعميق التواصل داخل إفريقيا، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية جانبي الصحراء**، تق، عبد الحميد عبد الله المراحة، منشورات كلية الدعوى الإسلامية، طرابلس، ط1، 1999 ص 356، وأنظر كذلك

Paul Marty : L' islam Maure, Ernest Leroux éditer, Paris, 1916, pp 115-117.

[3]- أحمد الداه: المرجع السابق،197.وأنظر كذلك

Paul Marty : L' islam , op, cit, p118.

2- مبـــــادئ الطريقـــــة الفاضليـــــة :

ورغم تبني الشيخ محمد فاضل وأبنائه الطريقة القادرية، وتفضيلهم لها على غيرها من الطرق الصوفية، بأنهم لم يقتصروا عليها وحدها من برامجهم التربوية، فكانوا يمنحون لأتباعهم كل ما يطلبون من اوراد، ويرغبون فيه عن اذكار ولا يلزمونهم إتباع طريقة محددة، ويتركز الفاضلية على مجموعة من المبادئ منها :

- عدم التفريق بين الطرق الصوفية، لأنها كلها ترجع إلى أمر واحد، وتسعى إلى نهاية واحدة، وهذه المبدأ ترجم في مجموعة من مؤلفاتهم منها : سيف المجادل لمحمد الفاضل، وكتاب مفيد الراوي على أني مخاوي للشيخ ماء العينين.

- عدم التشدد في الأوراد والأذكار، فكان الشيخ محمد فاضل لا يرى مانعًا في الذكر بأي صيغة وبأي وقت، ولم يكن الشيخ سعد بوه يرد من يطلب ورد التجانية أو القادرية أو غيرها.

- الجهر بالذكر : وتميل هذه الطائفة إلى الجهر بالذكر في قراءة ما تعتمده من أوراد وأذكار فيردد أتباعها الهيللة بصوت مرتفع، وتتعالى آهاتهم عند ذكرهم لاسم الجلالة، وتصدر عنهم ابتهالات وصيحات تؤدي بعضهم إلى الجذب.[1]

[1] - محمد الظريف : المرجع السابق، ص-ص 357-359.

3- شيوخ الطريقة الفاضليـــــة :

ومن أشهر شيوخ الفاضلية أبناء المؤسس الثلاثة، والذين توزعوا في البلاد الموريطانية (الشنقيط)، وهم الشيخ ماء العينين، والشيخ سعد بوه، والشيخ الحضرمي،[1] واختاروا أماكن إقامة تعتبر نقاط التقاء الطرق الكبرى التي تمر منها القوافل، وأماكن التبادل بين الرعاة والزراع.

كان نفوذ الشيخ سعد بوه[2] في الترارزه، والشيخ ماء العينين في أدرار والصحراء، بينما استقر الحضرمي وأخوه سيد الخير بمنطقة الحوض، وكان منه على صلة بالسودان.[3]

4- ورد الطريقة الفاضلية :

رغم عدم حجر الفاضلية على اتباعها الالتزام بورد معين إلا أن الشيخ ماء العينين وسعد بوه يقولان أن وردهم من أجل الأوراد، ويتمثل الورد في :

- حسبنا الله ونعم الوكيل 200 مرة.
- أستغفر الله العظيم لا إله إلا هو الملك الحق المبين 100 مرة.
- اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وسلم 100 مرة.[4]

---

[1]- محمد الداه أحمد : المرجع السابق، ص800.

[2]-**سعد بوه:** بن محمد فاضل القلقمي شيخ الفاضلية، توفي 1335هـ/1917م ،أحد مشايخ الطريقة الفاضلية وله اتباع كثيرون في السنغال وغرب افريقيا، أنظر الخليل النحوي : المرجع السابق،ص515.

[3]- الخليل النحوي : المرجع السابق، ص 122.

[4]- -le Chatelier A : L' islam dans l'Afrique occidentale, G, Steinhein, Editeur, paris, 1899 , pp 334-336.

وأنظر كذلك المختار ولد محمد : **الطريقة الصوفية في موريطانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف : بن يوسف التلمساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2،السنة الجامعية، 2010-2011 ص 66.

- ويزيدون بعد الصبح والمغرب عبارة لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين 7 مراتٍ.

- اللهم يا واحد يا أحد يا موجود يا جواد انفحني بنفحة خيرٍ تغنيني بها عمن سواك 7 مراتٍ.

- اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت 24مرة، ثم الدعاء لشيوخ السلسلة القادرية ولجميع المسلمين.

- ثم دعاء سيف الحكماء.[1]

ثالثـــــا : الطريقـــــــة المريديـــــــة.

1- مؤسس الطريقة وحياته :

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي في السينغال حركة سميت بالمريدية، ونسبت إلى أحمد بمبا، فمن هو أحمد بمبا؟ وماهي مبادئ المريدية؟ وهل تعد المريدية طريقة صوفية أو حركة تجديدية؟.

تأسست المريدية على يد أحمد بمبا، وهو أحمد بن محمد بن حبيب الله الملقب بخديم الرسولﷺ (1853م-1927م)، وعُرف عند العامة بسرين، ولد في امباكي بول عام 1853م وينحدر من أسرة عريقة في العلم والدين، في منطقة شهدت حركة علمية نشيطة، والده الشيخ محمد بن حبيب الله المشهور بـ : بمام مور أنتسل، رجل علم وقاضي كبير يحترمه ويجله العلماء، حيث شغل منصب مستشار للملك لتجور، وأمه جاره الله مريم[2]

[1]-le Chatelier A : op, cit, pp 334-336.

[2]- محمد الأمين شوب الدغاني : **إرواء النديم من عذب حب الخديم**، تح، محمد شقرون، مؤسسة الأزهر الإسلامية، السينغال، 2006، ص، ص 50-51.

بنت محمد بوصو، وينحدر من أسرة تكرورية عريقة، حيث نزح جده محمد الكبير الملقب بمرم، من إقليم فوتا إلى إقليم جولف.[1]

نشأ وتربى في حجر والده، فحفظ القرآن وأتقنه مبكرًا، وقد تعلم على يد جملة من الشيوخ، حيث أخذ القرآن على يد خاله محمد بن محمد بوصو، وأخذ الورد القادري على يد الشيخ صمبه تكلور وتعلم العربية والنحو والعروض على يد القاضي مجخت كل، والشيخ كمرا الذي علمه أصول الطريقة القادرية.[2]

كما تتلمذ على يد مشايخ موريطانيين من البيضان منهم محمد بن محمد الكريم الفاضلي الديماني الشاعر، وعبد الله التامكلاوي، وعند بلوغه عمر العشرين سنة كان قد ضرب في أكثر من متون العلم بسهم وافر، وقد اشتغل بالتدريس مع والده، وقام بتنظيم أشعار وكتابة رسائل، وصنف كتبا تسهيلاَ على الطلاب.[3]

كان الشيخ ورعا تقيا متواضعا لله، محبا للحق والعدل، مبغضا للظلم والجور، قوي الإرادة؛ والأهم من ذلك أنه كان لا يقبل من أمراء عصره وسلاطينه مدارتهم، وهذا ما ظهر في جنازة والده، فبعد الانتهاء من الدفن وكلمة الموعظة دعاه سرين طيب بمب مارسل –و الذي كان مستشارا

[1] – محمد الأمين شوب الدغاني : المصدر نفسه، ص 50–51.

[2] – عامر صمب : **الادب السنغالي العربي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979، ج،2، ص–ص 236–238.

[3] – سرين امباكي فال: **الخدمة عند الشيخ الخديم بين النظرية و التطبيق** ،دراسة لنيل شهادة المتريز، اشراف احمد تيجان جالو كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة شيخ انت جوب، العام الجامعي2009/2008، ص،ص29–30.

للأمير لتجور رفقة والده – للتوجه للأمير رفقة الجماعة لتعزية الأمير في مستشاره وتكليمه في شغل منصب والدك.[1]

فأجابه الشيخ: "أما ما قلت من التعزية و التوصية فحسن، فجزيتم خيرا ووقيتم ضيرا، وأما أمر الأمير، فأنا لا أذهب الى الأمراء ، ولا أرغب في دنياهم، ولا اطلب الكرامة إلامن الله رب الأرباب"، وفي ذلك نظم نونية شهيرة فقال فيها :

قَالُوا لِي ارْكنْ لِأَبْوَابِ السَّلاَطِـــــــين تَحُزْ جَوَائِزَ تُغْنِي كُلَمَا حِـــــين

فَقُلْتُ حَسْبِي رَبِّي واكْتفَيْتُ بِـــــــهِ وَلَسْتُ رَاضي غَيْرَ العِلْمِ وَ الدِّيــن

وَلَسْتُ أَرْجُو وَلاَ أَخْشَى سِوَى مَلِكِي لأَنَّهُ جَلَّ يُغْنِيني وَيُنــجِيـــــــنِي

أنّي أُفَوِضُ أَحْوَالِي لِمَنْ عَجَـــــــــزُوا عَنْ حَالِ أَنْفُسِهِمْ عَجْزَ الَمسَاكِيــنِ

إلى أن يقول:

يَامَنْ يَلُومُ فَلَا تُكْثِــرْ وَدَعْ عَـــــذَلِي إِذْ لَسْتُ مِنْ فَقْدَتِي الدُّنْيَا بِمَخْزُون

إِنْ كَانَ عَيْبِيَ زُهْــد فِي حُطَامِهِـــــــمُ فَــذَاكَ عَيْبُ نَفِيسُ لَيْسَ يُخْزِيـــنِ. [2]

[1] – عامر صمب : المرجع السابق، ص232.

[2] – سرين امباكي فال: المرجع السابق ،ص 20.

وعندما بلغ سن الثلاثين تضلع في فنون متعددة، وتبحر في العلوم الشرعية فقام بنظم أم البراهين في التوحيد للإمام السنوسي، وسماه مواهب القدوس، ثم قام بنظم مختصر أبي زيد عبد الرحمن الأخضري في الفقه المالكي، وسماه الجوهر النفيس في عقد نثر الأخضري الرئيس، وألف في التصوف في نظم مغالق النيران و مفتاح الجنان ،وملين الصدور أو مذكر القبور[1]، ومسالك الجنان الذي لخص فيه كتب التصوف، كإحياء علوم الدين للغزالي و الحكم لابن عطاء الله السكندري، وخاتمة التصوف للشيخ محمد اليدالي الديماني، وجنة المريد للشيخ سيدي المختار الكنتي القادري، وقام بنظم كتاب الأخلاق والآداب للإمام الدلحاجي، وسماه نهج قضاء الحاج، وقام بنظم المقدمة الاجرومية في النحو وسماه سعادة الطلاب وراحة لطالب الاعراب في مؤلف واحد.[2]

بدأ الشيخ حياته قادريا، حيث كانت عائلته تنتمي إلى الطريقة القادرية، وهذا ما عبر عنه في قصائده فيقول: فَالاتْبَاعُ مَذْهبَ الجِيلَان والابْتِدَاعُ مَسْلَكَ النِيرَانِ

[1] – محمد خالد ثابت: **من اقطاب الامة في القرن العشرين**، دار المقطم للنشر،القاهرة،ط2009،2،ص191 –192. انظر كذلك محمد غلاي انجاي : **المريدية و مؤسسها نبذة تاريخية** ، مقال ضمن كتاب دراسات حول المريدية ، تنسيق احمد بدوي أمباكي، منشورات روض الرياحين السنغال ،2010 ، ص،10.

[2] – عامر صمب : المرجع السابق، ص،244.

وعند خروجه إلى أرض البياضين[1] أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ سيديا بابا (ت1342هـ-1924م)[2] حفيد سيديا الكبير(ت1869م)،كما أخذ في هذه الرحلة الورد الشاذلي[3] والتجاني.[4]

وفي سنة 1886م أسس الشيخ أحمد بمبا الطريقة المريدية، وقد سميت كذلك تعبيرًا عن اختلافها عن الطرق الأخرى، حيث لم تتخذ تسمية هذه الطريقة اسم مؤسسها، كما جرت عليه العادة، إنما أطلق عليها تسمية عامة وجامعة مستهدفًا كل المريدين في الطرق الأخرى.[5]

وقد دفعت الظروف والأوضاع التي كانت سائدة في المجتمع السينغالي في تلك الفترة إلى ظهور هذه الطريقة، فقد كانت الأمة السينغالية تعاني من سيطرة الاستعمار الفرنسي وغزوه الثقافي، و انتشار الجهل وشيوع البدع، والتعصب الطرقي.

من هذا المنطلق كان مصطلح المريد استراتيجية صوفية حاول من خلالها الشيخ أحمد بمبا معالجة واقع كادت بسببه تفكك الأمة السينغالية، فدعا إلى كلمة سواء بينهم تمثل القاسم المشترك بين هذه الطرق بمختلف انتماءاتها.[6]

---

[1]-**أرض البياضين** : والمقصود بها بلاد شنقيط موريطانيا اليوم ،انظر الخليل النحوي ،المرجع السابق ،ص 24 .

[2]-**سيديا بابا** :بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا الكبير عالم جليل و فقيه، ومحدث واصولي ومؤرخ وشاعر ،له دور سياسي في أوائل القرن 20م، كان يميل للاجتهاد في الفقه، وله مصنفات منها ارشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين ، انظر الخليل النحوي المرجع نفسه،ص516

[3]-يصنف كثير من الدارسين الطريقة المريدية ،كفرع للتجانية،. انظر نعيم قداح :المرجع السابق، ص،122-123.

[4]- محمد الأمين جوب الدغاني : المصدر السابق، ص 32.انظر كذلك عبد الباقي مفتاح :**أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته** ، دار الهدى ، الجزائر،2008،ص401.

[5]- محمد ثابت : المرجع السابق، ص 249.

[6]- سيرين امباكي فال : المرجع السابق، ص29-30.

أسس مدينة طوبى، وجعل منها مركزا لطريقته، واشتد تعلق المريدين به، الذين راو فيه مخلصهم من الاقطاعيين والاستعمار ، فخاف الاستعمار منه فنفاه الى الغابون في سبتمبر 1895م، وتسمى هذه الحادثة عند المريدين بالغيبة البحرية، وظل في منفاه 7سنوات[1]. عاد بعدها إلى السنغال، لينف مرة ثانية لموريطانيا ، ومكث هناك الى غاية 1907.وبعد عودته ضُيق عليه الخناق، وبقي تحت الاقامة الاجبارية وكان تأثيره يزيد في المريدين الى أن توفي عام1927م ودفن بطوبى[2]

2– أسس ومبادئ المريدية :

تقوم المريدية على أسسٍ أوجزها مؤسسها في رده على أسئلة الحاكم العام الفرنسي في اندارا، حين سأله عن أسس دعوته، فقال: الايمان بالتوحيد، والإسلام بالفقه، و الإحسان بالتصوف، أي أنها طريقة الإيمان القائم على توحيد الله وعبادته، بلا كفر ولا إشراك، وذلك يتأتى بالمعرفة الكافية بعلم التوحيد وأصوله، ليكون المريد على بينة من أمره، فيما يؤمن وبمن يؤمن وكيف؟، ولماذا يؤمن؟، والإسلام بالفقه بتطلب معرفة بأحكام الشريعة و العبادات و المعاملات، و العمل بمقتضى هذه الأحكام، والإحسان بالتصوف؛ هو العمل المخلص لوجه الله و العبادة النزيهة، بأداء حسن، ونية صادقة على هدى علم التصوف واصوله، من التحلي بمكارم الاخلاق و الارتياض بالتغلب على الأهواء و النفس والدنيا و الشيطان[3].

[1]– عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق، ص 224 .

[2]– سيرين امباكي فال : المرجع السابق، ص 31.

[3]–محمد المرتضى امباكي شيخ فاط فال : **المريدية الحقيقة و الواقع و افاق المستقبل**، مؤسسة الازهر الاسلامية ، السنغال 2011 ،ص99.

قامت الطريقة المريدية ابتداء من سنة 1894م، على مبادئ يمكن ايجازها كالاتي : ترك التقليد والعودة الى الأصول(الكتاب / السنة، الله / الرسول، العبادة/الخدمة)

وهذا مضمون كلام الشيخ احمد بمبا في كتاب المنن بقوله: "رجوعه من الافتقار إلى المخلوق إلى الافتقار إلى الخالق، ومن التوسل بالأسباب إلى التوسل بخير سبب، وأوله سيد الوجود صلى الله عليه وسلم"[1] ، و مما سبق يتضح إنها تقوم على الجمع بين القديم الراسخ والجديد النافع؛ أي الاحتفاظ بالثوابت، وتجديد المتغيرات، فتبقى الغايات وتتغير الوسائل، وإن تلك المبادئ ،ماهي إلا توظيف فريد لعناصر تراثية، وهي العلم والعبادة والعمل المنتج وتزكية النفس[2].

ويسمى العلم والعبادة في فكر الخديم، بالخدمة لذلك يقول الشيخ " الخدمة هي العبادة وإنما العادات معينة عن العبادة "، والعبادة بمفهومها الشامل؛ كل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأفعال في الدين والدنيا، وفي حقيقتها فعل الأوامر أي كل ما يأمر به الله، وما يأمر به الله يحبه ويرضاه وترك النواهي في تجنب كل ما لا يحبه الله ولا يرضاه [3]، هذا المفهوم يقرره الشيخ في الأبيات التالية:

اِعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ شَطْرَانِ كَمَا نَصَّ بِهِ قَبْلِي بَعْضُ الْحُكَمَآ

فَأَوَّلُ تَرْكُ الْمَنَاهِي مُـــطْلَقَا دَعِ الْمَنَاهِي لِبَاقٍ أَطْلَـقا

وَالثَّانِ فِعْلُ كُلِّ شَيْءٍ أُمِرَا بِهِ وَمَنْ يُـدِمْهُ يُكَفَ الْأُمَرَآ.[4]

[1]–محمد غالاي انجاي : المريدية، المرجع السابق، ص 13 .

[2]– سرين امباكي فال: المرجع السابق،ص34 .انظر كذلك عامر صمب : المرجع السابق، ص 247.

[3]–سرين امباكي فال :المرجع السابق ،ص61.

[4]– سان بوسو عبد الرحمان : دراسات حول المريدية، المرجع السابق، ص 82.

والعبادة بهذا المفهوم هي الاصل في الوجود والغاية من الخلق لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، لذلك جاءت كل مبادئ المريدية لتحقيق هذا المبدأ، ومن ثم ركز الشيخ بمبا في دعوته على ملازمة العبادة والحرص عليها.[2]

ومن المفهوم السابق؛ فالدين اوامر ونواهي، فالأوامر تتمثل في الاتيان باركان الاسلام على أكمل وجه، والمنهيات بالابتعاد عن المحرمات و المكروهات، والمحافظة على جميع الأعضاء، واجتناب البدع والشبهات [3].

وقد ظهر الشيخ في بيئة اجتماعية، انتشر فيها تفشي الجهل، والفساد، والامية مما ساعد على انتشار الضلالات والخرافات، فدفع الشيخ مريديه للتركيز على العلم، بغية تغير الذهنيات فكان يرى أن العلم نور الهي، ومعيار الخيرية، وأداة ناجحة في ايصال السالك إلى ربه، ووسيلة فعالة في التجديد و الاصلاح، وخير وسليه لتحقيق السعادة في الدارين[4]،

وكان حرص الشيخ على أن يكون طلب العلم وفق ضوابط وهي: أن يكون العلم المطلوب نافعا في ذاته وغايته، وطريقة اكتسابه.

ووضع مقاصد للعلم التي تعطيه صفة النفعية وهي: الخروج من الضلال، ونفع خلق الله به، واحياء العلوم، والعمل به.[5]

---

[1]-سورة الذاريات الآية رقم 56

[2]- سرين امباكي فال: المرجع السابق، ص61.

[3] - محمد المرتضى امباكي شيخ فاط فال : المرجع السابق ، ص-ص134-136.

[4]- شعيب كيبي : أحمد بمب خديم الرسول والعلم، دراسات ، المرجع السابق ،ص63.

[5]- نفسه،ص68.

وقد نظم ذلك فقال في منظومة مغالق النيران :

فَلْتَقصدُوا أَرْبَعَـــةً لَدَى اِبتدَآ تَعَلُّمٍ لِكيْ تَفُوزُوا بِالْهُـــــدَى

أَوَّلُهَا الخُرُوجُ مِنْ ظَـــــــلَالِ وَالثَّانِ نَفْعُ خَلْقِ ذِي الْجَـلَالِ

ثَالِثُهَا الْإِحْيَـــاءُ لِلْعُلُـــومِ وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُـــــــومِ.[1]

أما مبدأ العمل المنتج، فهو أبرز ما يميزها عن مثيلاتها من الطرق الصوفية، وقرن الشيخ العمل بالعلم فقال فيه :

وَلْتَعْلَمَنَ بِأَنَّ عِلمًا وَعِمِلَّ هُمَا وسِيلَتَانِ لِسَعَـادة أَجَـلْ.

والعمل في فكر المريدية وسيلة كفيلة لمحاربة الكسل أصل الفساد دينًا ودنيا، كما أنه وسيلة للكسب الحلال الذي يعتبر واجبًا دينيًا، وفي هذا يقول الشيخ :

وَطَلَبُ الْحَلَالِ فَرْضُ يَنْتَمِي لِكُـلِّ مُسْـــلِمٍ بِغَيْرِ وَهَـــمِ

لاَ يَنْفَعُ الْعِلْمُ وَلا الْعِبَـــادَهْ بِالْأَكْلِ لِلْحَرَامِ عِنْدَ السَّادَهْ.[2]

إن أسس فلسفة العمل في الفكر المريدي تجعله يتجاوز الكسب المادي، وهي مستمدة من النصوص المختلفة في السنة النبوية، التي رغبت في العمل ، ونفرت من البطالة وسؤال الناس الحاجة وأول هذه الاسس أكل الحلال؛ والذي هو شرط لقبول الطاعة، والعمل يكسب صاحبه الاستقلال وحرية التصرف، وهو وسيلة لتربية الفرد وتكوينه تكوينا متكاملا يؤهله ليكون صالحا[3].

[1] – المرجع نفسه، ص69 .

[2] – سرين امباكي فال : المرجع السابق، ص، 35.

[3] – شيخنا امباكي عبد الودود: العمل والخدمة في المريدية ، دراسات حول المريدية ، المرجع السابق، ص91.

و للعمل مجالات عديدة، فهو يشمل كل وسيلة مشروعة للكسب، مهما كان شأنها، على شرط أن يكون العمل مباحا، ولا يتضمن بداخله أمرا ممنوعا، وأن لا يمنع عن داء واحب شرعي كالصلاة والتصرف في مردوده وفق الشرع.[1]

لقد اعتبرت المريدية العمل رياضة صوفية استغلت من خلاله عادات سابقة للولفين بقيمة العمل عندهم، إذْ يتعرض الصبيان لامتحان العمل في بدايات حياتهم الاجتماعية، وهو ما مكن أتباع المريدية من عدم التبعية الاقتصادية للاستعمار الفرنسي[2].

وتزكية النفس تعني عند المريدية التخلي عن العادات السيئة والتحلي بالآداب والأخلاق المحمودة والمعاملة الانسانية للفرد في ذاته وللفرد والمجتمع، كل مريد صالحا عليه الالتزام بالآداب الحسنة، وهو قسمان، أدب ظاهر يتمثل في قواعد المعاملات الاخلاقية بين الإنسان مع ذاته ومع الأخرين، وهو مطهر من الرذائل .[3]

وأدب باطن، يتمثل في المعاملات بين العبد وربه وفي هذا يقول الشيخ:

وَهُوَ قِسْمَانِ لَدَى الْدَّيْمَـانِي أَدَبُ ظَاهِرٍ مَعَ الْإِنْسَـــانِ

وَأَدَبُ الْبَاطِنِ مَعْ رَبِّ الْوَرَى وَيَتْبَعُ الْبَاطِنَ مَا قَـدْ ظَهَــرَا.[4]

[1] – نفسه، ص–ص 96–99.

[2] –محمد الامين جوب الدغاني : المصدر السابق ،ص19.

[3] – محمد المرتضى امباكي شيخ فاط فال : المرجع السابق ، ص،ص197–198.

[4] – سرين امباكي فال: المرجع السابق، ص 37.

3- ورد المريديـــــة:

وعلى الرغم من أن الشيخ الخديم لم يلزم أتباعه بإتباع وردًا خاصًا، كما ذكرنا سابقًا إلا أنه ترك وردًا خاصًا بالمريدية لمن شاء أن يأخذ به، وهو متكون من ترديد العبارات التالية صباحا ومساء:

- أعوذ بالله العظيم 300 مرة.

- لا إله إلا الله 300 مرة.

- سبحان الله 300 مرة

- اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم 100 مرة.[1]

وزد على هذا الورد البسيط، الشروط التي تجعل المرء مريدا حقا وتابعا صريحا للشيخ احمد بمبا، أربعة شروط حددها في الابيات التالية :

صِفَاتٌ صَادق الْمُرِيدِ بِاخْتِصَارِ أَرْبَعةُ نَظْمَّتُها خَوّفَ اغْتِرارْ

الْصِدْقُ فِي مَحَبــةِ الْشّيخ أَبَدْ ثُمَ امْتِثالُ امْــرِهْ حَيّثُ وَرَدْ

وَتَرّكُ الاعْتِراضِ مُطْلقًــا وَلَو بِباطِنْ عَلِيهِ فِيمَا قَدْ رَووا

وَمَعهُ سَلّبُ الاخْتِيارُ لِحُسنِ ضَنِهِ بِلاَ إِنْكـــارِ

فَكُلُّ مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْصِفاتِ مِنَ الْمُرِيدِينَ يُدْرِكُ الْثُقُّاتُ [2]

[1] – عبد الباقي مفتاح : المرجع السابق، ص، 402 . وكذلك

Paul Marty :Etude sur l'islam au Senegal, T2, Ernest Leroux éditer, Paris, 1917 p269.

[2] –محمد الأمين جوب الدغاني: المصدر السابق ،ص،69، وانظر كذلك عامر صمب: المرجع السابق،ص248.

المبحث الثالث : العلاقة بين القادرية والتجانية بالمنطقة.

إن الحديث عن نشاط الطريقة القادرية بوسط وغرب إفريقيا، يدفعنا إلى الحديث عن علاقتها بالطرق الصوفية الأخرى خاصة العلاقة بالطريقة التجانية، وإذا كانت الطريقة القادرية هي الأسبق في الوصول إلى المنطقة إلا أن دخول الطريقة التجانية للمنطقة في القرن 18م ولد تنافسًا بينهما. فكيف كانت هذه العلاقة ؟ .

أولا: التعريف بالطريقة التجانية :

تنسب التجانية إلى شيخها أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم، ويضاف إلى هذه التسمية لقب التجاني، ولد الشيخ أحمد التجاني ببلدة عين ماضي بالأغواط سنة 1150هـ/1737م، وتوفي بمدينة فاس بالمغرب في 1815م[1]، وتذهب مختلف المؤلفات التجانية إلى رفع نسب الشيخ إلى محمد الزكية بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وهو ما يؤكّده الشيخ علي حرازم أكبر تلاميذ الشيخ ومؤلف كتاب جوهر المعاني إذ قال : أن شيخه لم يدّع هذا النسب جوافًا، وأن الرسول ﷺ قد اجابه عن سؤاله اهو من الأبناء والأولاد من الال فأجابه رسول الله وقال له: أنت ابني ثلاث مرات.[2]

[1] – أحمد الأزمي: **الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي**، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المغرب، 2000م، ص-ص 45-47

[2] – علي حرازم الفاسي: **جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، المطبعة المحمودية، مصر ، ط1 ،1318هـ، ج1، ص22.

درس أحمد التجاني في البداية، في بلدته حيث أخذ ما تيسر له من مبادئ العلوم اللغوية والفقهية ،وحفظ القرآن الكريم، وفي عام 1171هـ/1753م،ثم انتقل الرجل إلى فاس الحاضرة العلمية آنذاك ،وواصل دراسته ثم عاد إلى البيض، حيث مكث بها خمس سنوات كان خلالها يُدرس ويَدرس ،ثم غادرها إلى تلمسان، وفي عام 1186هـ/1773م اتجه إلى مكة وبعدها، إلى القاهرة، وكان في كل هذه الرحلات يلتقي بالعلماء والفقهاء ويستمع منهم ويناقشهم.[1]

انتسب الشيخ إلى عدة طرق صوفية، قبل تأسيس طريقة خاصة به، إذ انتسب إلى الطريقة القادرية، وبعدها الطيبية ثم الناصرية، فالخلواتية، وربما هذا التنقل يفسر رغبة الشيخ في البحث عما يقنعه وهو ما ظهر في تأسيسه لطريقته.[2]

وبعد الترحال اعتزل الشيخ أحمد التجاني بقصر أبي سمغون في سنة 1782م، وبه حصل له الفتح الأكبر والولاية العظمى، وتقول المصادر التجانية أن الرسول أذن له، يقظة لا منامًا في تلقين الخلف على العموم والإطلاق، وعيّن له الورود الذي يلقنه، وأخبره الرسول، " فأنا واسطتك وممدك ... فأترك عنك جميع ما أخذت عن جميع الطرق... والزم هذه الطريقة عن غير خلوة و الاعتزال عن الناس حتى تصل معًا مقامًا كالذي وعدت به من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، واترك عنك جميع الأولياء ...".[3] ففعل الشيخ ثم عاد إلى فاس 1213هـ/1798م، ومن فاس انتشرت الطريقة التجانية في شمال إفريقيا، ومن ثم إلى بلاد شنقيط وإفريقيا الغربية.

[1] – عبد القادر زبادية : إفريقيا، المرجع السابق، ص 233.

[2] – عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق ،ص166.

[3] – أحمد الأزمي : المرجع السابق ،ج1، ص72-73.

ومن المبادئ التي تقوم عليها الطريقة التجانية ما يلي :

- إن إتباع ومريدي الطريقة التجانية كما أقرّها أحمد التجاني يسمون أنفسهم (الأحباب).

- لا يجوز لأي مريد في الطريقة التجانية الانخراط في أي طريقة أخرى.

- للطريقة التجانية ذكر خاص يتطلب من المريد قراءته في اليوم في أوقات معينة.

- يتحتم على المريد في الطريقة التجانية احترام وطاعة حاكم البلد الذي يكون فيه المريد.[1]

ثانيا: انتشار الطريقة التجانية في إفريقيا جنوب الصحراء.

بعد انتشار الطريقة التجانية في بلاد المغرب دخلت إلى بلاد شنقيط عن طريق محمد الحافظ بن المختار بن حبيب الشنقيطي (ت 1247هـ/1832م)، والذي التقى بشيخ الطريقة أثناء عودته من رحلة الحج فدرس عليه ،واخذ عنه الطريقة ، ولما عاد إلى شنقيط في 1805م،نشرها هناك ، وقام أتباعه لنشرها في إفريقيا، ووصلت الطريقة التجانية إلى الشيخ عمر الفوتي عن طريق مولود فال الذي أخذها بدوره عن الشيخ الحافظ.[2]

ومن بلاد شنقيط انتقلت التجانية إلى السنغال ومالي، وبعد قيام دولة عمر الفوتي أصبحت عاصمتها ومدنها الكبرى مثل سيجو و نيورو بمثابة المنافذ التي انتقلت من خلالها الطريقة إلى أماكن أخرى فمن نيورو قام الشيخ المختار بن أحمد بيللى سال (1860م-1930م)، بنقل الطريقة إلى

[1] - عبد الله سالم بازينة : المرجع السابق ،ص 207 وكذلك عبد القادر زبادية : إفريقيا المرجع السابق، ص، 336.
[2] - الخليل النحوي : المرجع السابق، ص، 123.

المناطق الساحلية من الغابون وغانا وتوغو وكوديفوار وسيراليون في غرب إفريقيا، وقام الشيخ أحمد باه (سامباييلي) بنشر الطريقة بمملكة كانو، حيث عمل على فتح العديد من الزوايا بالمدينة.[1]

ويعتبر الشيخ عمر الفوتي من أبرز الشخصيات التجانية التي ساهمت في نشر الطريقة في السودان الغربي، وقد أخذ الأوراد التجانية عن شيخٍ يدعى عبد الكريم بن أحمد، وعند انتقاله إلى موريطانيا التقى بالشيخ مولود فال، وجدد له العهد بتلك الأوراد، وأثناء رحلته إلى حج مر بماسينا وتنبكتو وسكوتو حيث التقى بأحمد البكاي وأحمد لوبو ومحمد بلو، وبعد انقضاء مناسك حج 1243هـ، التقى بالشيخ محمد الغالي ممثل الطريقة التجانية بمكة المكرمة، وظل في خدمته لمدة ثلاث سنوات، وبعد انقضائها عينه الشيخ محمد الغالي خليفة للشيخ التجاني بالسودان الغربي.[2]

[1] – عثمان بريما باري : المرجع السابق، ص،ص 239-238.

[2] –مهدي رزق الله أحمد :المرجع السابق ،ج2،ص559 وكذلك أحمد شلبي: المرجع السابق ،ص215.

ثالثا: التنافس القادري التجاني بالمنطقة.

كان النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي هو الفترة التي بدأ فيها الصراع بين القادرية والتجانية الحديثة بالمنطقة، على اعتبار أن الطريقة القادرية تواجدت بالمنطقة منذ قرون، فكان لها أتباع كثيرون مما أدى إلى ظهور خلافات بين الطريقتين، هذه الخلافات اتخذت أشكالاً مختلفة في صورة الجدل في البداية عن طريق الرسائل والأشعار لتتطور فيما بعد لتأخذ شكل نزاعً مسلحً.[1]

أ- التنافس السلمي :

عند ظهور الطريقة التجانية ببلاد شنقيط وغرب إفريقيا كان الشيخ سيدي المختار الكنتي أول المنتقدين للتجانية وسلوكها العام، حيث اعتبرها من الطوائف البدعية التي ظهرت في البلاد " ... منهم أصحاب الحضرات والرقص " ثم يضيف :" ومن ذلك ما ظهر في أقطار الأرض من دعاوى طوائف شهوانية غوغاء شيطانية... لو جاءهم إنسان فقال لهم أنه يتحدث مع الله ويأكل من ثمار الجنة، ويعانق الحور لصدّقوه لشدة جهلهم وغباوتهم، وعدم عنايتهم بأمر دينهم، فالتشديد على هؤلاء بالتنكيل الشديد والإبعاد والتطريد آكد منه على الكفار".[2]

وبعد وفاة الشيخ المختار الكنتي، تبعه ابنه سيدي محمد الكنتي، حيث شدد النكير على أصحاب الدعاوى الذين من أصولهم الجهر بالذكر، والاجتماع له والتعايش فيه بشطح وإظهار التهالك، والتساكر وبرأ من ذلك طريقته وحكم على ذلك كله أنه من البدع، وأن أصحابه تؤثر فيهم

[1] – عبد القادر زبادية : الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 93.

[2] – محمد الداه أحمد : المرجع السابق، ص 180.

الآيات المنشودة ولا تؤثر فيهم الآيات المنزلة، وأكد أنها حضرات مبتدعة، وأن ذكر أصحابها لا ينير القلب ولا ينشر الرحمة أي لا حجة لهم ولا دليل ولا برهان ولا تأويل.[1]

أما الشيخ سيديا بابا فقد قال فيهم أبيات نذكر منها :

آمِـــنْ أَخِي واسْتَقِمْ وَنَهْجَ أَحْمَد الْتَزِمْ

وَاجْتَنِبْ الْطُرِقَ لاَ تغررك أضْغَاثً الْحُلُمْ

لاَ خَيّرَ فِي دِينْ لَدَى خَيّرَ الْقُرُونِ مُنْعَدِمْ

أَحْدَثَهُ مَنْ لَمْ يَجِئ قَطَع بِأَنّهُ عُصِمْ

مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أُنْزِلَتْ << الْيَومَ أَكْمَلّتُ لَكُمْ >>.

وقال الشيخ محمد بن أبي الحسني في الطريقة التجانية :

غَيَر أَنَنِي وَالْحَمّدُ لله بِالْإِيمَانِ مُسْتَمْسِكُ وَذَاك أَمَانٌ

جَـــازِمٌ أَنّ الْأَنْبِيـــاءَ الْطَهــارَى مُسْتَحِيـــلُ عَلَيّهِـــمُ الْكِتْمَـانُ

بَلَـــغُوا كُلَ مَا بِـــــهِ أُمِرُوا مَـــا كَتَمُـــوه وَمضا نَسوا مَا خَانُوا

لَسْتُ أَحْجُو وِرْدًا وَإِنْ جَلَى عِنْدِي قَاصرًا عَـــنْ إِدْراكِـهِ الْقُرْآنُ.[2]

ومن الأبيات يتجلى موضوعًا مهمًا دار حوله النقاش بين الطرفين، وهو مسألة الكتمان: أي

[1] – محمد الداه أحمد: نفس المرجع، ص 81.

[2] – نفسه ، ص 181.

بمعنى أن الرسول ص لم يبلغ كل العلوم والأسرار قبل وفاته، وأن الأولياء يستمدون بعض الأسرار من النبي ﷺ وخصوصًا أحمد التجاني خاتم الأولياء وفق اعتقاد التجانيين، وهذا الاعتقاد رفضه أدييج[1] وعبر عن موقفه بخصوص ابتداع التجانيين بقصيدة منها الأبيات التالية:

وَنِسْبَـــتُ الْكِتْمانِ لِلنَبِي نَفْـــذٌ مِنْ مَناكِر الْبِدْعِي

فَوِرْدَهُ صَيّنٌ عَنْ الْصَحَابَةِ فِيمَا ادْعَى وَخَصّ بِالإِصَابَةِ

وَذَلِك يَنْافِي مَا عَلى الْرَسُولِ إلاَ الْبَـــلاَغَ مُحْكَمًا الْنُزُولِ

وَالْيَومِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ وَالْمُكَمَلُ دِينُ الْمُخاطَبِينَ أَو مَنْ يُرْسَلُ [2].

وقد وجه الشيخ أحمد البكاي رسالة عام 1270هـ/1854م، إلى أهل مراكش يحثهم فيها على التمسك بالطريقة القادرية ويحذرهم فيها من الاختلاف ومن الطريقة التجانية، موضحًا لهم تناقضها وابتداعها في الدين، وما قامت به من الغلو والمغالطات ورفع مكانة شيخها، ومعقبًا على أن دعاة التجانية يرون أن من أخذ من وردهم يحصل له المال والغناء ويكون يوم القيامة في عليين. دون أن ينسى توجيه تحياته لأحمد أكنسوس ودعوته لإتباع الطريقة القادرية.[3]

ويُعتقد أن الشيخ أحمد البكاي قد أرسل رسالة خاصة لمحمد أكنسوس، قد وصلته في 1874م أي بعد وفاة الشيخ أحمد البكاي، وهذه الرسائل المتبادلة دفعت محمد أكنسوس إلى وضع

[1] – **أدييج** : هو أدييج بن عبد الله الكمليلي (ت1270هـ/1854م) عالم كبير ولغوي شهير ،اشتهر بالنحو والعروض والفقه ،وشاعرًا مجيدًا دخل في مساجلات شعرية حول مسائل الفقه والتصوف. أنظر أحمد بن أمين الشنقيطي : **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مطبعة المدني، القاهرة، ط4، 1984م، ص368.

[2] – أحمد الأزمي : المرجع السابق، ج2، ص، 186.

[3] – محمد الصالح حوتية : آل كنته، المرجع السابق، ص،ص، 249، 250.

تصنيف سماه الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا تثبت ،"وقد ضم هذا التصنيف الرد على الشيخ البكاي في النقاط التالية :

- البرهنة على أن استبدال شيخ بآخر وطريقته بأخرى أمر غير جائز في التصوف.
- البرهنة على أن سيدي أحمد التجاني شيخ كامل، وتوضيح مسألة مقام ختمية الشيخ.
- البرهنة على جواز السماع والرقص في الطريقة التجانية.
- مناقشة مسألة المفاضلة بين الشيخين التجاني والجيلاني.
- توضيح موقف التجانية من مسألة زيارة الأضرحة.
- توضيح سبب أخذه هذه الطريقة.[1]

وقد رد عليه الشيخ أحمد البكاي بكتاب تحت اسم:" الفتح القدوس في الجواب على أبي عبد الله آكنسوس"، كما ظهرت مؤلفات أخرى في هذا الجدل الصوفي مثل ما ألفه الشيخ الخضر بن مايابى مشتهى الخارق الجاني في رد مؤلفات التجاني الجاني، ومؤلف الفقيه سيدي بن عبد الجليل الملقب بسيدي بن حين سماه :رسالة في تضليل التجانية ومن شالكها.[2]

كما وقع سجال بين علماء الطرفين، حول عدة مسائل صوفية، من ذلك ما وقع بين محمد بن محمد الصغير بن أنبوح المنتمي للطريقة التجانية و أدييج بن عبد الله كمليلي (ت 1270هـ/1854م)، في مسألة رؤيا النبي يقظه حيث نفاها أدييج في قوله :

وَمَا ادْعُوا مِنْ أَخْذِ هَذَا الْوِرْدِ عَنْ الْرَسُولِ يَقَظَه لاَ يُجْدِي

إِذَا لَمْ تُحَقِقْ فِي الْلِقَاءِ الْدَعّوَى لَمْ تَنَلْ كَرَامَـــةٍ بِطَغْـــوة

[1] - أحمد الأزمي : المرجع السابق، ج2، ص-ص، 144-149.

[2] - محمد الداه أحمد : المرجع السابق، ص، 183.

وَلَمْ يَرِدْ عَلَى النَّبِي الْمُصْطَفى لُقْيَاه يَقَضَه بِنُورِ مَا انْطَفَئ.

فيرد عليه ابن أنبوج في كتابه "الجيش الكبير في الرد على جموع النكير" أن أمكانية الرؤيا ممكنة وتحدث عنها الكثير من العلماء. ومن المسائل التي أنكرها أدييج على التجانيين وابتداعهم فيها اعتقادهم حضور روح النبي وأرواح الخلفاء عندما يكون جمع التجانيين بصدد قراءة جوهرة الكمال، وفي ذلك يقول في أبيات نذكر منها :

وَإِنْهُ يَزُورُ أَهْلَ الْجَوْهَرَة بِرُوحِهِ إِذَ هِي دِينُ أَظْهَرَه

وَأَنَهُ يَحْضَرُ فِي رِجَالٍ عِنْدَ ابْتِداءِ جَوْهَرة الْجَبَالِ.[1]

كما نظم محمد أنبوج منظومة طويلة يرد فيها على أدييج فاقت أربعمائة بيت منها :

وَهلْ تَرَونَ يَا عِبادِ الله فِي الْجَوِّ نَاعقًا كَهذَا الْلاَهِي

إِذْ قَام يُنْكِرُ عَلى مَنْ لَمْ يَرهْ وَلَمْ يُحَقِقْ عَنْ ثُقَاتٍ خَبرهْ

لَكِنْ بَنَى جَمِيعَ مَا تَقولَهْ عَلى الْتَسامُع الْذِي لاَ أَصَّلَ لَهْ

ثم أَهْوَ إِنْ كَانَ على طريقِ فقهٍ فَمَبْناهُ عَلى الْتَحْقِيقِ.

إلى أن يقول : وَحقُّ مَنْ لَيسَ لَهُ عِلْمٌ يَقِيهِ سُكُوتَهٌ وَلاَ كَلاَمِ الْسَفِيهْ

فَالْصَّمْتُ جُنَّةُ لِكُلِّ جَاهِلِ بَلْ هُوَّ زِينَةُ لِكُلِّ فَاضلِ.[2]

[1] – للاطلاع على المزيد بخصوص هذا السجال حول نقاط الاختلاف بين التجانية والقادرية راجع أحمد الأزمي المرجع السابق، ج2 ص-ص 168-204.

[2] – أحمد بن أمين الشنقيطي : المرجع السابق، ص،ص 89-90.

ب– التنافس المسلح :

بعد أن ازداد أنصار ومؤيدي الشيخ عمر الفوتي ، وبعد عودته إلى فوتاتورو[1] قام بتوجيه رسائل إلى أعيان البلاد من العلماء والأمراء يدعوهم فيها إلى تأييده ونصرته في الجهاد الذي يعتزم إعلانه ضد الوثنيين، واعتمد عمر الفوتي على الشباب المتحمس، وأخذ في شراء الأسلحة النارية من الأوروبيين الذين ينزلون سواحل غرب إفريقيا، وفي يوم الاثنين 20 ذي القعدة 1368هـ/1852م، استدعى الشيخ، أتباعه وأخبرهم بأن الله قد أذن لهم بالجهاد، وذلك من خلال رؤيا رآها في منامه.[2]

وبعد إعلان الجهاد توسع على حساب أراضي البمبارا الوثنيين، ولما احتل مملكة سيجو في 1856م، فر مالكهم فارما على موتزوتيلا، واحتمى بملك ماسينا أحمد مو أحمد، ولما طلب الحاج عمر الفوتي من ملك ماسينا تسليمه خصمه، رفض ملك ماسينا هذا الطلب بعد أن استفتى العلماء وأفتوه بعد جواز تسليم خصم استجار بإنسان مسلم، ولهذا السبب أعلن عمر الفوتي الجهاد على مملكة ماسينا واحتلها سنة 1862م.[3]،

وقد ارتكز عمر الفوتي في تبريره لشن الحرب على مملكة ماسينا والشيخ أحمد البكاي بتنبكتو بأنهم تحالفوا مع الوثنيين من ملك سيجو، وأن هذه الأراضي هي مملكة البمبارا وهم قوم وثنيون، وأن

[1] – **فوتاتورو**: منطقة بشمال السنغال، وهي تقع في الاودية الوسطى لنهر السنغال فيما بين موريطانيا ومنطقة السغامبيا ،وهي منبسطة ،كثيرة المحاصيل والثروة الحيوانية انظر عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص185.

[2] – شوقي عطاالله الجمل: **الازهر ودور السياسي و الحضاري في إفريقيا** ،الهيئة المصرية للكتاب ، مصر1988،ص123.

[3] – عثمان برايما باري : نفس المرجع، ص 178.

أميرها لم يكن تحت طاعة الماسينين، ولذلك اعتبر عمر الفوتي أن أحمد مو أحمد يعد كافرًا لتحالفه مع الوثنيين ضد المسلمين.[1]

ولم يكتف الحاج عمر الفوتي باحتلال ماسينا، بل توجه بعد ذلك تنبكتو ودخلها سنة 1863م، غير أن الشيخ أحمد البكاي استطاع استنفار الطوارق وأنصاره، وأخرجوا جيش عمر الفوتي مهزومًا سنة 1864م ، وهي الهزيمة التي توفي فيها الحاج عمر الفوتي.[2]

ومن جراء تلك المعارك انقسم السودان الغربي إلى قادري وتجاني ولم تنته المعارك إلا حوالي 1877م، وقد كانت النتائج مأساوية على الممالك الإسلامية بالمنطقة حيث قتل الفوتي وأحمد البكاي بعد فترة قصيرة وملك ماسينا أحمد مو أحمد و انهارت الدولة الفوتية التجانية بعد فترة وجيزة ،واستغل تلك الظروف الاستعمار الفرنسي لبسط سيطرته على المنطقة.[3]

[1] – أحمد الأزمي : المرجع السابق، ج3، ص-ص 487-550.

[2] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 167.

[3] – عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 200.

وخلاصة القول إن هذه الفتنة التي جرت بين دولتين إسلاميتين قامتا على أساس راية الجهاد الإسلامي، تعتبر مأساة حقيقية توضح الخلاف العميق الذي كان بين الطريقتين بالمنطقة، على الرغم من احتماء كل طرف بالكتاب والسنة بغية تبرير موقفه السياسي والعسكري ،غير أن هذا لا يمنع من تحميل الطرفين مسؤولية ما حدث إما بسبب مبالغتهما في التأويل إلى حدود المغامرة، أو بسبب حب السلطة والرئاسة، أو من جراء هذه الأسباب مجتمعة.[1]

[1] – أحمد الأزمي : المرجع السابق، ج3، ص 492.

الفصـل الثالث

المساهمة الحضارية للطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا

المبحث الأول : المساهمة السياسية للطريقة القادرية

المبحث الثاني : المساهمة الاقتصادية والاجتماعية

المبحث الثالث : المساهمة الثقافية

المبحث الأول : المساهمة السياسية للطريقة القادرية .

كان للطريقة القادرية تأثير كبير في تبلور الفكر السياسي في إفريقيا جنوب الصحراء من خلال آراء واجتهادات العلماء كالمغيلي، وظهور دول إسلامية أسسها شخصيات محلية كدولة الفلان ودولة ماسينا.

أولا : تأثير آراء الشيخ المغيلي في الحياة السياسية.

تحدثنا فيما سبق عن رحلة المغيلي إلى بلاد السودان ودوره الإصلاحي والتعليمي فيها، وأثناء هذه الزيارة كان قد تقلد القضاء والاستشارة لدى بعض الملوك، ففي كانو التقى المغيلي بحاكمها محمد بن يعقوب رنفا ، الذي عينه كمستشار له ، وطلب منه أن يكتب له فيما يخص أمور السلطنة فكتب له ما يحضه على اتباع الشرع والأمر بالمعروف النهي عن المنكر، وقرر لهم احكام الشرع وقواعده، على منوال الاحكام السلطانية للموردي[1].

1- رسالة و وصية المغيلي لأمير كانو :

قد رتب المغيلي رسالة أمير كانو في ثمانية أبواب حسب الموضوعات التي طرحها :

الباب الأول : يجب على الأمير حسن النية في الإمارة، وإن على كل ذي عقل الابتعاد عنها إلا إذا لم يكن له بدٌّ منها، فتوكل على الله فيها واستعين به وليكن عملك كله خالصا لوجه الله ...[2]

---

[1] – التمبكتي : المصدر السابق ، ص 577 ، وأنظر كذلك مبروك مقدم: **الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2006،ص33

[2] – نفسه،88.

الباب الثاني : يجب على الأمير تحسين الهيئة في مجلسه، وإظهار حب الخير وأهله، وبغض الشر وأهله ويعتدل في لباسه....، غير مبذر لبيت المال....، ويقرب إليه الأخيار والعلماء والأتقياء والصلحاء.[1]

الباب الثالث : فيما يجب عليه من ترتيب مملكته على ما يتمكن من صلاحها، لأنه راعٍ على جميعهم، ولا يمكن أداء ذلك إلا بنواب، كالوزراء والإمامة والقضاة والأمناء ....

الباب الرابع : التزام الحذر في الحضر والسغر بإظهار القوة والجَلد عن تغيير الأحوال.... وإظهار الزهد في الصاحبة والولد لئلا يمنعه ذلك عن العدل قال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾.[2] وحب الخروج للجهاد وبغض المقام، في الديار..... وأن يكتم سره.

الباب الخامس : فيما يجب كشفه عن الأمور التي يجهل في رعيته، بالعدول والأمناء،.... وكأمور الأعداء بالجساس والأمناء .

الباب السادس : فيما يجب عليه من العدل والإحسان، فالعدل أن يوفي كل ذي حقٍ حقه،.... أما الإحسان فهو أن يتفضل من نفسه، أي يزيد لكل من أراد أن يحسن عليه زيادة على صفة مما كان من نصيبه، لا ما كان من نصيب غيره..... ومن العدل أن يساوي بين الخصمين في جميع أمورهما

[1] –ابوبكر ميغا: **دعوة الامام المغيلي العلمية و الاصلاحية في السودان الغربي اواخر القرن التاسع واوائل القرن العاشر الهجريين واثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية بالمنطقة** ، مقال منشور بمجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ع 7، اكتوبر 1992،ص209

[2] – سورة التغابن : الآية رقم 14.

وأن لا يقبل من الشهود إلا من كان عدلا رضى فيما لا تهمة له فيه، فإذا تعذرت العدالة فعليه أن يراعي أمثالهم.[1]

الباب السابع : فيما يجب عليه من جني الأموال من وجوه الحلال، وملاك السلطنة هو الكف عن أموال الناس بأن لا يطلب منهم شيئًا لم يكلفهم الله به، والطمع في أموالهم خراب للمملكة، فمن الأموال التي حللها الله للأمراء قبضها وصرفها هي: زكاة العين والحرث والماشية وزكاة الفطر والمعدن وخمس الغنيمة والركاز وأموال الحرابة والصلح، وما يؤخذ من تجار أهلها وتركة لا وارث لها، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلا حرب... وعن الأموال المحرمة؛ أموال الظلم، كأخذ أموال التولية على القضاء، والرشاء لسلطان وقاضٍ وعامل.. ، وقبول الهدية، حيث إذا دخلت الهدية على ذي سلطان خرج عنه العدل والأمان وصار صاحبه بالخيان .[2]

الباب الثامن : وفي مصارف أموال الله؛ فيجب على الأمير صرف أموال الله بالكرم لا بالبخل، والتبذير والكرم بذل ما يحتاج له عند الحاجة المستحقة بقدر الطاقة، .....فمن خرج عن هذا الحد فقد تعد وظلم، وهو إما بخيلُ أو مبذر في أرزاق بيت المال، وفي كليهما خراب المملكة.

فمال الله قسمان : قسم زكاة مصارفه الأصناف الثمانية التي في القرآن، والقسم الثاني الفيء كالخمس والركاز ...والتي ذكرت سابقًا حصر فيها حكمه إلى الإمام تصرفه في المصالح بالتقوى لا بالهواء.[3]

---

[1] – آدم عبد الله الألوري : المرجع السابق، ص-ص 78-80

[2] – مبروك مقدم : المرجع السابق ،ص-ص 117-119 وكذلك آدم عبد الله الألوري : المرجع السابق، ص80.

[3] – نفسه،ص81.

كما كتب الشيخ المغيلي وصية لملك كانو بعد أن سأله عما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، وهي الرسالة التي يتّضح من مضمونها الحركة الاصلاحية النشيطة التي قام بها المغيلي في بلاد جنوب الصحراء، ويمكن إيجاز التوصية فيما يلي :

لا بد من ردع المفاسد الدينية والدنياوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية، فلكل دواءٍ داء ولكل مقامٍ مقالٌ وفِعَالٌ بحسب ما يظهر في الأحوال، وأمنع جميع أهل البلاد عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر، وغير ذلك من المحرمات، وأمنع الكفار من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل لئلا يفعل ذلك ضعاف العقول من العامة والنسوان والصبيان، ومع عدم فعل بالمفّسِد ما هو أشد في ردعه قد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله "تَحدُث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"، إن الناس في حكم الله ورسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالمِا ولا عابدَا ولا أميرًا فأقم حق الله على جميع عباده بالتقوى لا بالهواء.[1]

من خلال الوثيقتين، يتضح أن المغيلي أعطى تصورًا واضحًا للمفاهيم الإسلامية التي يجب أن يلتزم بها الحاكم والمحكوم، من وجوب استشعار أن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ووجوب إحسان النية فيها، وما يجب عن الأمير في خاصة نفسه ومجلسه وبطانته، وترتيب مملكته وحسن اختيار أعوانه وعماله، ووجوب التزام الحذر في الحضر والسفر، وشدة مراقبة العمال ومدى التزامهم بالعدل.[2]

[1] – يحي بوعزيز : المرجع السابق ،ص–ص 95–97 وكذلك آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص–ص 83–85.
[2] – أبو بكر ميغا : المرجع السابق، ص 207.

وما يجب عليه وعليهم من جني الأموال من وجوه الحلال، وصرفها في مصارفها الشرعية ومنع أهل البلاد عن جميع أنواع الشرك والمحرمات، ومنع كفار البلاد من فعل ذلك، وأنّ الناس سواء في حكم الله ورسوله.[1]

2- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي :

بعد كانو رحل الشيخ المغيلي إلى سنغاي، ووصل إلى كاغو واتصل بالأسقيا محمد الأول سنة 1502م، وكان أجوبة المغيلي لأسئلة اشتغل بها السلطان، وقد تعلقت بانشغالاته السياسية وقضايا تنظيم الإمارة وأحوال الرعية.[2]

ومن مضمون الإجابات يمكن قراءة تأكيد المغيلي على المسائل السياسية التالية :

- السلطان راعٍ لا مالك، إذ أن الملك لله وهو الذي يحفظ ويعين الطائع، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته. وأوصى الأمير بالعدل والابتعاد عن أهل الشر وتقريب أهل الخير.

- على السلطان إبعاد علماء السوء ولأن شرهم مستطير وهم أضر على المسلمين من جميع المفسدين، وعدم تركهم يتكلمون في أمور الدين.

- تقريب أهل الذكر واستشارتهم والاستماع إلى نصائحهم، مع وجوب أن يكون الأمير كيّس فطن له منزلة من العلم والعمل[3].

---

[1]- نفسه ، ص208

[2]- محمد بن عبد الكريم المغيلي : **أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي**، تح، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر للتوزيع الجزائر 1974م، ص، 6.

[3]- عبد الله مقلاتي و رموم محفوظ : **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، دار الشروق، 2009م، ط1،ص، 126

– وجوب معرفة من تجب مجاهدتهم، وعلى الأمير أن يكون عارفًا أوجه الجهاد فلا يجاهد المسلمين؛ والكفار أصناف ثلاثة : الكفر الصريح، وكفر المسلم المرتد، وكفر المسلم الذي يحكم بكفره، والبلاد ثلاثة : السائبة يجوز الجهاد فيها، والثانية البلاد التي لها أميرٌ يسوس الناس في دينهم ودنياهم لا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته، والثالثة أميرها ظالم فإن تيسّر خلعه فجائز...[1]

– اتخاذ المحتسب وبيت المال، وعمال على الأموال في جبايتها من وجهها الشرعي، وإنفاقها في وجه الخير وشروط المسؤول على مال المسلمين التقوى والعدل.

– وجوب محاربة العصاة بأحكام الله من خلال حفظ حدود الشرع في الميراث والمال.

– محاربة المفسدين ومدعي السحر، لأن فسادهم في البلاد كبير، وعلى الإمام إرجاعهم إلى الصواب، ومنع المناكر والمحرمات.[2]

وعلى ضوء هذه الأجوبة يتجلى بوضوح اجتهاد الشيخ المغيلي في بحث المسائل الشرعية، وأن فتاواه كانت بمثابة قانون شرعي جمع المسائل التي تنظم الدولة وأحوال المجتمع.[3]

[1] – عبد الله مقلاتي و رموم محفوظ: المرجع السابق ،ص 126.

[2] – نفسه، ص128.

[3] – أبو بكر ميغا : المرجع السابق، ص، 250، وأنظر كذلك، الطيب الوزاني : **مقومات التفاعل الحضاري بين دول إفريقيا والمغرب الأقصى معالجة في التركيب**، ندوة التواصل، ص، 489.

وقد امتد تأثير الشيخ المغيلي إلى عصر عثمان بن فودي، حيث اعتبرت الدولة الفلانية قائمة على الأسس التي وضع أصولها المغيلي، لأن الشيخ عثمان بن فودي يعده مرجعًا مهمًا؛ كما أن كل من معه يتمسكون برسائله وفتاواه.[1]

ثانيا : الدول القـادرية بوسط وغرب افريقيا.

1– دولة الفلاني (سكوتو):

عاشت ولايات الهوسا بعد سقوط مملكة سنغاي عهدا فوضويا اتسمى بالحروب والنزاعات المستمرة بين ولايات الهوسة السبعة، وكان ذلك تمهيد لظهور قوة الفلانيين بقيادة الشيخ عثمان بن فودي.[2]

أ – مولده ونشأته :

ولد الشيخ عثمان بأرض غوير حوالي 1169هـ / 1754م ونشأ في حجر والديه الصالحين، كان أبوه من أهل الفتية فنشأ عثمان نشأة صالحة في هذه البيئة الدينية، فأخذ مبادئ العلم عن والده وحفظ القرآن وهو صغير؛ ومن شيوخ عبد الرحمن بن حمدا والذي أخذ عليه علوم اللغة، وعن الفقيه محمد تنب بن الشيخ عبد الله الفقه ورحل في سن العشرين إلى بلاد الطوارق لمدينة آغاديس الحاضرة العلمية، حيث تعلم على يد الشيخ جبريل بن عمر القادري ونهل من علمه حتى أجازه.[3]

---

[1] – محمد مسعود جبران : **التفاعل العقدي والحضاري بين الغرب الإسلامي والسودان الأوسط والغربي**، مقال مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد 22، 2005م، ص 97.

[2] – آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص94.

[3] – نفسه، ص94.

وقد كان لهذا العالم الأثر الفعال في تكوين شخصية عثمان علميًا وفكريًا، ثم انتقل الشيخ لدرس علم التفسير على أحمد بن محمد الأمين وهاشم الزنفري، ثم درس علوم الحديث على يد خاله بن مود بوعال، وبعد هذه الرحلة الطويلة الحافلة بالنشاط والاجتهاد في تحصيل العلم بلغ بن فودي مرحلة متميزة من النضج بفضل ما اكتسبه من خبرة في معالجة المسائل الدينية والقضايا الاجتماعية، ومما أهله ليكون داعيًا ومصلحًا في بيئة تفشت فيها الخرافات والبدع والمفاسد الأخلاقية، ونسي الناس أصول الدين الإسلامي، في هذا الجو أخذ الشيخ عثمان على عاتقه رسالة إصلاح المجتمع والدين والسياسة، وإحياء الكتاب والسنة النبوية، وبناء دولة إسلامية.[1]

ب– حركة عثمان بن فودي وتأسيس الدولة :

لخص الدارسون حركة عثمان بن فودي في ثلاث مراحل :

– الدور الأول : انطلاق الدعوة ومنجازاتها (1198هـ –1780م/1218هـ–1800م)

في هذه المرحلة مارس الشيخ الوعظ والإرشاد ودعوة الناس إلى تصحيح عقيدتهم الإسلامية ونبذ البدع والخرافات، وإتباع السنة والتفقه في الدين، ومن أجل ذلك قام بعدة سفريات في بلاد الهوسا[2]

[1] – أحمد بو عتروس : المرجع السابق، ص–ص 134–135.

[2] – يحي بو عزيز : المرجع السابق، ص 142.

سعى من خلالها لإقناع الناس بدعوته الإصلاحية الجديدة، ودرس الوعظ وابتعد عن شؤون السياسة حتى لا يصطدم بالحكام والأمراء، ورفض الاتصال بهم والتعاون معهم حتى يكون حرًا في دعوته مركزًا على بث التربية الدينية والخلقية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتخذ الشيخ من بلدة الدغل مقرًا لدعوته الجديدة يعود إليها كل ما انتقل إلى جهة من الجهات كما اعتمد على تلاميذه كأعوان له منهم أخوه عبد الله الذي لازمه ما يقارب نصف قرن، وقال عنه: " قمنا مع الشيخ عثمان نعينه على تبليغ الدين، يسير لذلك شرقًا وغربًا يدعو الناس إلى دين الله بوعظه وقصائد أعجمية، ويهدم العوائد المخالفة للشرع"[1].

وقد زار الشيخ عثمان إقليم زامفاور الخاضع لإمارة جوبير، وأقام بها خمسة سنوات يدعو الناس للإسلام نساءً ورجالاً فأثار حفيظة بعض العلماء مثل الشيخ مصطفى القوني الذي أنكر عليه النساء والرجال في حلقاته الدراسية و الوعظية[2]. فألف الشيخ كتابًا للرد على هذه الاتهامات وسماه تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان وكلف أخوه عبدالله بالرد شعرًا على ذلك.[3]

وركز الشيخ عثمان في وعظه وإرشاده على أسس قامت عليها دعوته، فقد وضح عقيدته الإسلامية والمذهب المالكي الذي ينتمي إليه، كما اهتم بشرح العبادات وإرشاد الناس كل مايهم أمور دينهم وتأدية عبادتهم على الوجه الصحيح، مستخدمًا في ذلك جميع الوسائل الفكرية والعلمية للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مركزًا على الدعوة إلى التوحيد الخالص والبعد عن الشرك والحظ

[1] – يحي بوعزيز : نفس المرجع، ص 142.

[2] – أنظر القصيدة للرد في تعليم النسوان ، زبادية: إفريقيا، المرجع السابق،ص-ص78 -84.

[3] –آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص 106.

على الالتزام بسنة رسول الله وترك البدع والأهواء، وجعل حقيقة التصوف تعود لصدق التوجه إلى الله الاقتداء بسنة رسوله.[1]

وبفضل نجاحه حسده بعض علماء زمانه وسعوا به لدى الأمراء والحكام، مما أثار حفيظة أمراء إمارة جوبير وقلقهم من حركة الشيخ، فحاول السلطان ناوا إرضاء الشيخ بهدية فرفضها طالبًا منه عوضًا عنها النقاط التالية :

- السماح للشيخ وجماعته بدعوة الناس في سلطنته إلى دين الإسلام.
- عدم اعتراض أو منع أي شخص يعتزم التجاوب مع تلك الدعوة واعتناق الإسلام طوعًا.
- احترام السلطان وحاشيته لجماعة الشيخ.
- إطلاق سراح جميع الذين اعتقلوا من قبل السلطان بحكم انتمائهم للجماعة.
- تخفيف عبء الضرائب المقررة على أهالي السلطنة.[2]

ويعد وفاة السلطان ناوا 1794م خلفه نافاتا وواصل عداءه للمسلمين والتضييق على جماعة الشيخ، ونظم مؤامرة لقتله لكنه مات قبل ذلك ليخلفه إبنه يونافا، وسار على نفس النهج وقتل كثيرًا من أتباع الشيخ؛ وعندئذٍ قرر الشيخ أن ينتقل بحركته من الوعظ والإرشاد إلى إعلان الجهاد.[3]

---

[1] – نورة بنت معجب الحامد : **دعوة الشيخ عثمان بن فودي بنيجيريا 1202هـ/1788م وتأثرها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية**، كلية الآداب جامعة الملك سعود، السعودية، 2007م، ص، 10، كذلك يحي بوعزيز، المرجع السابق ص 143.

[2] – عثمان بيرما باري : المرجع السابق، ص،ص 105–106.

[3] – يحي بوعزيز المرجع السابق، ص 145.

- الدور الثاني : (1800م-1810م)

أصدر في بدايته وثيقة لأهل السودان عام 1802م دعى فيها إلى إعلان الجهاد ضد أمراء جوبير ومحاربة الطغاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهجرة من أرض الكفرة والكفر إلى أرض الإسلام وصارت هذه الوثيقة إعلانًا رسميًا للجهاد، حيث حدد فيها الشيخ الأسس التي بنى عليها جهاده، كوجوب الهجرة إلى من بلاد الكفر ووجوب الجهاد وموالاة المؤمنين، وتعيين القضاة وتأمير الأمراء واتباع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارها أهم مصادر التشريع الإسلامي وتنفيذ أحكام الشرع.[1]

وبعد أن أصدر الشيخ هذه الوثيقة راسل جميع الأمراء في بلاد الهوسا طالبًا منهم الدخول تحت طاعته على أساس الإسلام، فرفضوا دعوته ماعدا أمير زازايا، مما جعله يدخل بأنصاره وتلاميذه في حركة جهادية.[2]

وبعد الانتصارات المحققة على جميع الأمراء في بلاد الهوسا المترامية أسس دولته الإسلامية واتخذ من سكوتو عاصمة لها.[3]

- الدور الثالث : (1225هـ-1810م/1233هـ-1817م)

ويتميز هذا الدور بتوطيد دعائم هذه الدولة الإسلامية الجديدة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية، والتي ضمت أقاليم شاسعة في غرب إفريقيا في كل من بلاد الهوسا

[1] - أحمد بو عتروس : المرجع السابق، ص 153.

[2] - عبد القادر زبادية : إفريقيا، المرجع السايق، ص 80.

[3] - لمعرفة المعارك وتواريخها أنظر بوعتروس : المرجع السابق، ص-ص 152-153.

والمناطق المجاورة في بورنو والكانم والمناطق الجنوبية في كيبي والنورين، أي المناطق الممتدة من بحيرة التشاد شرقًا حتى منحنى النيجر غربًا، ومن الغابات الاستوائية حتى الصحراء شمالاً.[1]

إن هذا النجاح تولدت عنه أعباء جديدة ومسؤوليات جسيمة، فكان على الشيخ أن يقوم بإصلاح إداري مكثف وتنظيم الشؤون السياسية والمالية والاجتماعية والثقافية والدينية، وتوحيد كل إمارات بلاد الهوسا، ففي جانب التسيير اتبع النظام الفلاني مجلسين في تسيير شؤون الدولة

– مجلس استشاري يضم أبرز أعوان الخليفة وأصفياءه ومساعديه في تأدية المهام المنوطة به

– مجلس تنفيذي يسهر على وضع مراسيم وتعليمات وأوامر الخليفة ونواهيه موضع التنفيذ، يضم هذا الأخير الوزير والقاضي والمحتسب.[2]

أما الخليفة فقد تحددت مهامه واختصاصاته في المجالات التالية :

– الإشراف على حقوق الرعية والمحافظة عليها داخل المجتمع وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية.

– السهر على حماية حدود الدولة الإقليمية وممتلكاتها، وتحصين المدن وتسويرها بصد هجومات الأعداء.[3]

وقد اتضح تأثير التاريخ الإسلامي في فكر عثمان بن فودي من خلال تنظيم الدولة، فقد عمل على تثبيت نظام الشورى واتخاذ لقب أمير المؤمنين، كما اتخذ مجلس استشاري للأمير يتكون

[1] – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا**، المرجع السابق، ص 149.
[2] – أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص-ص 157-159.
[3] – نفسه، ص 159.

من الوزير وولي العهد والقضاة وممثل للقبائل الرئيسية، أمير كوني، أمير سيلياوا، وأمير كابي ويتمتع الأمير فيه بالكلمة النهائية.[1]

- نظام الوزارة والوزراء :

ركز الشيخ على نظام المجلسين واعتمد على معيار الدين والعلم والكفاءة في تولية مناصب الوزراء والقضاة، ودعم هذه المناصب بمناصب أخرى كالأمناء والقادة والمستشارين والولاة والشرطة والسعاة، أما الجيش وضع له نظاما وحمل فيه القائد اسم أمير الجيش.[2]

وبما أن الدولة المنشأة كانت مترامية الأطراف، فكان من الصعب التحكم فيها مركزيًا، لذلك اعتمد على المساعدين، حيث قسمت الدولة إلى عدة إمارات، كما اتبع نظام الدواوين وسماه الولايات فأنشأ عشرين ولاية لإدارة الدولة أهمها الخلافة العامة، والوزارة، والقضاء، ورد المظالم، والجهاد، وقسم للغنيمة، وقسم للفيء والكتابة، وقسم وضع الجزية، وقسم للصلاة، وقسم للصدقة وقسم للحج وغيرها . وحدد لكل ولاية اختصاصاتها وأسلوب عملها.[3]

وقد قسم البلاد إلى مقاطعتين، مقاطعة شرقية عهد بها إلى إبنه محمد بلو، والقسم الغربي عهد به إلى أخيه عبد الله؛ وتشمل المقاطعة الشرقية كلاً من: زنفارا، كاتسينا، كانو، ويوشي وسكوتو

[1] - مصطفاوي سعاد : **الطريقة القادرية في غرب إفريقيا بين القرنين 14م و 18م** ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في دراسات إفريقيا، إشراف بن يوسف تلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر، 2010م، ص25 .

[2] - مهدي رزق الله : المرجع السابق، ص 255.

[3] - نفسه، ص 255.

المركز الرئيسي؛ أما القسم الغربي فيشمل نوب ودانداي، وبورجو، وإلورين، والمركز الرئيسي جواندو في إقليم كابي.[1]

وتفرغ الشيخ بعد ذلك للتدريس والتأليف حتى توفي عام 1817م في مدينة سفاوا، وحمل إلى سكوتو ودفن فيها؛ وقد عمل خلفه على الحفاظ على الدولة وردع المتمردين. وقد مر على حكم دولة سكوتو منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها على يد الإنجليز 1903م أحد عشر خليفة.[2]

ويمكن القول في الأخير أن الدولة الإسلامية في سكوتو كانت قد أقامت نظامًا فريدًا من نوعه في إفريقيا جنوب الصحراء، وصارت نموذجًا لكل الحركات الجهادية في المنطقة مثل حركة أحمد لوبو الماسيني، وعمر الفوتي، وأحمد الأمين الكانمي .[3]

2- حركة أحمد لوبو الماسيني ودولته (ت 1260هـ/1844م) :

إن تأثير دعوة بن فودي لم تبق حبيسة مكان انطلاقها بل تعدت حدود بلاد الهوسا واتجهت غربًا وضربت بجذورها في عمق المنطقة، فساهمت في بروز حركات إصلاحية وجهادية أخرى منها :

[1] - إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق، ص 44.

[2] - علي يعقوب : **الخلافة العثمانية في سكت ودورها في غرب إفريقيا، في مجلة قراءات إفريقية**، ع 11، جانفي مارس 2012، ص 7.

[3] - عبد الرحمان عمر الماحي : **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا الواقع والمستقبل**، د م ج الجزائر 1992م، ص 144.

حركة أحمدو لوبو بإقليم ماسينا.[1] على ضفة نهر النيجر، وشملت هذه الحركة رقعة واسعة ضمت شمال شرق جمهورية مالي الحالية.[2]

أ- المولد والنشأة :

ولد أحمدو لوبو باري في قرية يوغو ماسيرو سنة 1189هـ/1775م[3]، وقد أُخْتُلِفَ في مكان وسنة ميلاده، فمنهم من أرجع سنة ميلاده إلى1773م ومنهم من قال في1776م، ومنهم من قال أنه ولد في مالانفال و بامغال[4]

نشأ الشيخ أحمد يتيمًا إذ فقد والديه وهو في سن الطفولة، فكفله أخواله، حيث حفظ القرآن الكريم وهو في سن الصبا كما هي عادة أبناء القبائل المسلمة في المنطقة، واستمر في تحصيل الفقه وقواعد اللغة العربية مع أبناء أخواله، ودرس على يد بعض مشايخ منطقته كشيخ حما، والشيخ سمبا حمدي باما، وبعدها انتقل إلى حاضرة جني والتي كانت في تلك الفترة من المراكز الإسلامية الكبرى في غرب إفريقيا، حيث درس التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ الإسلامي.[5]

---

[1] -**ماسينا** : تقع في الشمال الغربي لمنطقة السودان الغربي في منعطف نهر النيجر وهي في جمهورية مالي الحالية، لاسمها عدة تفسيرات والمرجح أنها تعني باللغة الفلانية موسي كناية عن خصوبة الأرض الصالحة للزراعة والرعي وأنظر عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 158.

[2] – عبد القادر زبادية : الحضارة العربية، المرجع السابق، ص، 92.

[3] – Maurice Delafosse : op. cité، p 231.

[4] – عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 167، وكذلك Hamadou Boly, op.cité, p59.

[5] – عمر الماحي : المرجع السابق، ص 153.

عرف الشيخ أحمدو الطريقة القادرية بواسطة الشيخ كبرا فارما.[1] ولما أكمل دراسته عاد إلى بلدته، حيث استقر وأخذ يعظ الناس ويدرس الناشئة، ومن المرجح أن أحمدو لوبو الذي أصبح يعرف بالإمام الشيخ قد تأثر بالتيارات الفكرية السائدة بالمنطقة، خاصة فكر الشيخ عثمان بن فودي مؤسس دولة الفلاني، ويعتقد الكثير أنه سافر إلى بلاد الهوسا عام 1805م، وشارك في الجهاد الذي أعلنه الشيخ عثمان بالمنطقة.[2]

ولقد كانت الأوضاع في ماسينا يسودها العداء والتناحر بين القبائل التي تسكنها، المسلمة وغير المسلمة، كما كان الأرما؛ وهي بقايا الجيش المغربي بعد الهجوم على سنغاي قد عادت إلى الواجهة بعد سقوط سنغاي سنة 1591م، وضاق هؤلاء بالشيخ فتحالفوا مع حاكم سيجو الوثني ضد الشيخ أحمدو الذي اعتبر هذا التحالف موجبًا للجهاد، حيث أرسل رسولين لأخذ الإذن من الشيخ بن فودي وقبل أن يصله الرد أعلن الجهاد على دولة ماسينا وحقق انتصارات باهرة وأخضعها لنفوذه في سنة 1225هـ/1810م، لقيت هذه الانتصارات صدى في نفوس المسلمين في السودان الغربي، وارتاح لها الشيخ عثمان ونصبه أميرًا على ماسينا ومنحه لقب الشيخ.[3]

---

[1] – Hamadou Boly, op.cité, p60.

[2] – عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص168.

[3] – أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص202.

أسس الشيخ مدينة جديدة سماها حمد الله في 1815م ،لتكون حاضرة لدولته الاسلامية ، التي كانت تضم منطقة مالي وبوركينافاسو، وقد اختار لها مكان مناسبا من نهر النيجر ومرتفعة قليلا ، وفي مأمن من أخطار الفيضان [1].

ب– تأسيس دولة ماسينا وتنظيمها:

– تأسيس الدولة :

لما انتهى الشيخ من بناء عاصمته ،جمع علماء البلاد لاستشارتهم في كيفية تنظيم الدولة وادارتها ، وقال لهم: "لا أريد أن أحكم البلاد لوحدي، ولا بد من مساعدة الآخرين، ولا بد من اجتماع الكل واتحادهم لتكون دولة منظمة؛ وطلب منهم أن يقدموا له مشروع الحكم، وبعد أشهر حضر له العلماء المشروع ويتكون من مجلس للشورى يسمى بالفلانية باتوماودو؛ أي مجلس الكبار متكونًا من أربعين عالمًا، ونظم الشيخ أحمد دولته تنظيمًا جيدًا حتى أصبحت من أرقى الدول في زمانه.[2]

[1] – علي يعقوب :**حياة الشيخ احمد حمدي لبو ودولته الاسلامية في ماسينا**، مقال في مجلة قراءات ، ع ،8 ،افريل جوان ،2011 ،ص7، وأنظر كذلك عمر الماحي : المرجع السابق، ص 153.

[2] – Hamadou Boly، op.cité, p61.

– تنظيم الدولة :

من حيث التنظيم الإداري قسم أحمدو لوبو دولته إلى خمس مقاطعات وهي : إمارة دنيري وإماراة فكلا كناري، إمارة هيري سينو، إمارة نيدوبي، إمارة ماسينا، ويرأس كل إمارة أمير يعاونه أحد الأمراء الأكفاء، ويتمتع الأمير بكامل السلطات العسكرية والقضائية.[1]

قسم العاصمة إلى سبعة أحياء يشرف على كل حي قاضٍ خاص، وعين قاضي القضاة على هؤلاء، وجعل للمدينة أربعة أبواب وأحاطها بسور ضخم، وبنى وسطها مسجدًا وجعل لكل حي من أحياءها سوقًا مع السوق المركزي، وجعل لكل سوق مشرفًا .[2]

– تأسيس المجالس :

لقد اعتمد الشيخ أحمدو في تنظيم دولته ثلاثة مجالس بعد أخذه بالرأي الاستشاري وهي :

مجلس الكبار : ويتكون من أربعين فردًا من كبار وعقلاء وعلماء البلاد، وأوكل رئاسته لأحد أكبر وأشهر العلماء فيها.

– مجلس المحكمين :

ويتكون من ستين شيخًا من قدماء الشيوخ المجاهدين، ويترأسه الشيخ أحمدو نفسه بمعية اثنين من الأعضاء.[3] وفي حالة اختلاف في الآراء بين المجلسين المذكورين آنفًا يختار أربعين عضوًا بالقرعة من المحكمين الستين لاتخاذ قرار نهائي في المسألة محل الخلاف، ولا يمكن الطعن و الاستئناف في هذا

---

[1] – عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص171. انظر كذلك علي يعقوب، المرجع السابق، ع 8، ص7.

[2] – علي يعقوب : نفس المرجع، ع 8، ص 7.

[3] – Hamadou Boly, op.cité, p61.

القرار، ويمكن للأمير تفويض بعض من سلطاته لأعضاء المجلس، والجدير بالذكر أن أعضاء هذه المجالس يشترط فيهم ألا يقل سن العضو منهم عن الأربعين سنة.[1]

وكان للقضاء في دولة أحمدو لوبو أهمية خاصة، لاعتباره صمام الأمان لحفظ الحقوق وإرساء العدل، فكان القضاة يستمدون احكامهم من الكتاب والسنة ، ويتمتعون باستقلالية تامة عن الإدارة ،حتى أن القاضي يمكنه مقاضاة الأمراء أمام المجلس الاستشاري، إذا ما ثبت اتهامهم أو تورطهم في قضايا كالإخلال بالمهام الموكلة إليهم، أو عدم قيامهم بواجباتهم على الوجه الكامل، وكان كل قاض يتولى إدارة شؤون القضاء، وينظر في الخصومات و النزاعات، ويصدر الأحكام القضائية، وعلى رأس القضاة قاضي القضاة الذي يعد بمثابة وزير العدل، ومن اجل تسيير إجراءات المحاكمة وعرض السجناء على القاضي جعل محكمة العاصمة بجوار السجن [2].

-تنظيم الجيش:

أنشأ الشيخ أحمدو لوبو جيشا قويا، ونظمه تنظيما دقيقا للدفاع عن البلاد، وجعل في كل مدينة قوات من الجيش، وعين في كل منطقة قائدا عسكريا، وعين بن عمه بالبوبكر بولو، قائدا عاما للجيش، وقد سهر الشيخ احمدو على تفقد الجيش ومراقبته باستمرار؛ كما جهزه بأسلحة حديثة، كان يقتنيها من التجار الاوربيين، وأدخل الأساليب الحديثة في تدريباته، اما التجنيد فكان الزاميا ،اذْ يجب على كل أسرة أن تبلغ عن إبنها اذا ما بلغ عشرين سنة، ولقائد الجيش تجنيده أو تسريحه

[1] - أحمد بو عتروس : المرجع السابق، ص280.

[2] - Maurice Delafosse : op. cité, p 231.

حسب الحاجة وصلاحية المجند، لذلك كان انتقاء المجندين من بين ذوي البنية الجسدية السليمة، المتميزة بالقدرة والحيوية والنشاط.[1]

ولم يتوقف الشيخ أحمدو في نشاطه الدعوي والجهادي بتنظيم الدولة وحضور مجالس الدرس إلى أن وافته المنية عام 1260هـ-1844م،ثم استخلفه ابنه أحمد بن أحمدو لوبو الذي استعاد هيبة الدولة بعد التمرد من بعض السكان، وسار على نهج والده في الحكم، وبعد وفاته 1852م خلفه ابنه أحمد بن أحمد بن أحمدو لوبو (أحمد الثالث) الذي قتل في حروبه مع الحاج عمر الفوتي 1862م.[2]

[1] – علي يعقوب : المرجع السابق، ع 8، ص8.

[2] – أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص215.

المبحث الثاني : المساهمة الاقتصادية والاجتماعية :

كان لانتشار الإسلام في إقليم وسط وغرب إفريقيا تأثير كبير على الحياة العامة للناس، وكما كان للطرق الصوفية دورًا هامًا في نشر الإسلام، وكان لها في الوقت ذاته دورًا كبيرًا في التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة، ومن ذلك ما تجلى في آراء وأفكار أهل القادرية، فلو نعود إلى رسائل المغيلي الموجهة إلى أمير كانو، أو أجوبته على أسئلة الأسقيا، نجد ما يوحي بتأثير أفكاره بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة.

أولا : الناحية الاقتصادية :

إن الدارس لوصية المغيلي لأمير كانو وأجوبته للأسقيا يجد أنها قد تضمنت تنظيمًا لحياة السوق.

فنجد في النقطة السابعة عن أسئلة الأسقيا "...منهم من يطفف المكيال والميزان بالزيادة والنقصان ومنهم من يغش الذهب

والفضة بالنحاس، أو يأبى أن ينزق التبر من التراب، أو ينفخ في اللحم أو يخلط اللبن بالماء، وغير ذلك من الغش إذا اشترى السلعة حازها وذهب بها، قبل أن يدفع لربها ثمنها، فإذا ندم أو لم يبعها بربح طلب منه ربها الثمن قال له : خذ سلعتك أو اصبر حتى نبيعها...".[1]

فأجابه الشيخ أن التطفيف حرام بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، وواجب على الأمير أن يجعل أميرًا على الأسواق وحفظ الأرزاق، فيصلح موازين كل بلد على بنية واحدة بتقويم الميزان والوزن وتسوية الصنوج، وكذلك يجب إصلاح المكاييل كبارها وصغارها حتى تكون كلها على نية

[1] – محمد بن عبد الكريم المغيلي : المصدر السابق، ص62.

واحدة ولا بد من عرض الموازين و المكاييل على التغيير في كل حين، فمن ظهرت عليه الخيانة في شيء من الوزن أو الكيل فعاقبوه وأخرجوه من أسواق المسلمين.[1]

والبيع لازم بالقول ولازم بالمعطاة، فواجب على المشتري أن يعطي ما عليه من الثمن، فإذا أخذها منه كرهًا، وإن لم يوجد غير سلعة غريمه أخذها الحاكم وباعها على ذمته، ثم قضى لغريمه ثمن سلعته، فإن فضل شيء فهو له، وإن بقى عليه شيء اتبعه الغريم، وليس له ردها على بائعها إلا برضاه أو بعيب قديم.[2]

كما احتوت الرسالة الموجهة لأمير كانو وأسئلة الأسقيا كيفية تمويل بيت المال من الكسب الحلال، فنجد في الباب السابع فيما يجب على الأمير من جني الأموال من وجوه الحلال، منها زكاة العين والماشية، والفطر، والمعادن، وخمس الغنيمة، والركاز[3]، وأموال الصلح، والجزية، وما يؤخذ عن تجار أهلها، وتركة لا وارث لها، وأموال الفيء، وأن يصرفها في أوجهها بالكرم و العدل، لا بالبخل والتبذير.[4]

ومن خلال أجوبة المغيلي للأسقيا، يتجلى الدور الذي لعبته الطريقة القادرية في رسم التنظيم الاقتصادي للمنطقة، ومن ذلك محاربة الآفات التي تنتشر في الأسواق، والتي تخل بالحياة الاقتصادية وتضيع الحقوق المالية للناس، والتي تؤدي في النهاية إلى زعزعة الاستقرار العام.[5]

---

[1] – أبو بكر ميغا : المرجع السابق، ص244.

[2] – محمد بن عبد الكريم المغيلي : المصدر السابق، ص 66.

[3] –الركاز: قطع من ذهب وفضة يخرج من الارض أو المعدن ، انظر ابن منظور: المرجع السابق ،مج 5،ص365

[4] – آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص–ص80–81.

[5] – أبو بكر ميغا : المرجع السابق، ص215.

أما في عهد عثمان بن فودي، فنجد أن رسائل المغيلي لأمراء السودان الغربي، قد استأثرت أكثر من غيرها بأحكامه، فكتابه "سيراج الإخوان في رجم ما يحتاج إليه في هذا الزمان" اعتمد في أكثر فصوله على أجوبة المغيلي للأسقيا، وعليه فإن تنظيم الدولة الفلانية بالضرورة قد اعتمد على أفكار وأراء الشيخ المغيلي في الحياة الاقتصادية في الدولة.[1]

أما في دولة ماسينا، فقد قام أحمدو لوبو بإنشاء بيت المال، وكانت تضم أموال الدولة التي تجمع من الزكوات ومن الجزية والخراج والغنائم والمكوس والغرامات.[2]

أما بخصوص الضرائب، فقد وضع ضريبة على الفلاحين والرعاة وصيادي الأسماك والتجار، باعتبارها حرف مُدرة للثروة، واعف أصحاب الحرف، لأنها لا تدر ربحًا على أصحابها، كما فرض ضريبة إضافية على أصحاب الثروات وضريبة على توريد الملح قُدرت بواحد على أربعين، وضريبة على السلع الموردة، والتي تباع في أسواق المملكة بقيمة واحد على عشرة، وكان خمس هذه الضرائب يذهب إلى بيت المال، والباقي للمقاطعات، من أجل توزيعها، وبناء المساجد، وتجهيز الجيش.[3]

وعملت الطريقة المريدية على ترسيخ شعارها من يعمل يأكل، فوجهت مريديها لممارسة الزراعة في الأراضي الشاسعة الخصبة ذات المياه الكثيرة، التي تنتشر في سهول السينغال الداخلية، وقد أوجد تنظيم الطريقة الاقتصادي نوعا من التعاون بين الفلاحين على شكل منظمات، مهمتها استصلاح الأراضي غير المزروعة، واستثمار الأراضي المزروعة، والقاعدة الأساسية في هذا التخطيط

[1] – عبد العلي الودغري : المرجع السابق، ص، 82.

[2] – أحمد بوعتروس : المرجع السابق، ص، 210.

[3] – Maurice Delafosse : op. cité, p231

الاقتصادي، قيام المكلفين من قبل شيخ الطريقة بتوزيع القوت الضروري على جميع العاملين بالتساوي، ويحدد ربع المنتوج المقدم من طرف الأتباع لشراء الاراضي الجديدة لزراعة الفستق، وبناء المساجد والمدارس، وإطعام الفقراء.

وكان لهذا النظام أثر اقتصادي كبير، حيث ظهرت مجموعة من القرى على طول الخط الحديدي الممتد من دكار الى تمباكوندا، وقد اضطرت السلطات الفرنسية إلى شق الطرق لنقل المحاصيل ، ومن ثم أقامت المريدية المخازن و المحلات التجارية لخزن وبيع المحصول ، وقد عمل في هذه المؤسسات أتباع الطريقة [1]

ثانيا : الناحية الاجتماعية :

ساهم انتشار الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء في تحويل كثير من القبائل الإفريقية من حياة الوثنية الى حياة الاسلام ، وتغيرت حياة الافريقي في ذلك يقول توماس ارلوند:" إن اقبح الرذائل و أكْل لحوم البشر وتقديم الانسان قربانا ووأد الاطفال احياء –تلك الرذائل التي نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما منتشرة في كل افريقيا، ولا يزال في بقاع كثيرة منها حتى تلك الجهات التي لا تبعد عن ساحل الذهب وعن موطننا– قد اختفت فجأة والى الابد، ولا الساكنون الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدأوا يرتدون الملابس بل يتألقون في ملابسهم، والساكنون الذين لا يغتسلون قط من قبل بدأوا يغتسلون بل يكثرون في الاغتسال لأن الشريعة المقدسة تأمر بالطهارة،[2] وهو فرض لا ينطوي على تاثير قوي جدا في غرائزهم التي جبلوا عليها، ويميل النظام القبلي إلى فسح

[1] – نعيم قداح المرجع السابق،ص124.

[2] – توماس ارنولد: المرجع السابق، ص397

المجال لأساس اوسع نطاق، او بعبارة اخرى الى اندماج القبائل بعضها ببعض لتصيرا معا وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الأمم امبراطوريات...."[1]

من خلال الفقرة السابقة، نستنتج كيف أن الاسلام حول حياة الافريقي من حياة الرذيلة إلى الحياة النبيلة، وغيرَ من نمط معيشته، وأصبح الافريقي المسلم يتميز بالنشاط والقوة، والاعتماد على النفس واحترام الذات، وهذه كلها صفات نادرا جدا ان نجدها في مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين [2] وهو ما تجلى في التنظيمات الاجتماعية للمالك في السودان الأوسط والغربي، فقد ظهر تأثير رسائل المغيلي في إمارة كانو ومملكة سنغاي، حيث قام الأسقيا محمد على إرغام الناس على اتباع قواعد الإسلام في ناحية الزي والاختلاط، كما حكم بحرية ابن الرجل الحر من زوجة رقيقة، وكان الناس في عهده أحياء شرفاء، و القضاة عدولا، ولا أثر للرشوة في مملكته، وساد الأمن حتى أن الطفل يذهب إلى السوق فلا يغشه ولا يسرقه أحد، كما أن العادات الاجتماعية كالمثابرة على الصلاة واستعمال الثياب الأبيض والمنافسة في حفظ القرآن الكريم وثيقة الصلة بالإسلام، والتحول عنها عسير، وهي مرتبطة أكثر بالدين وآدابه[3].

وفي دولة عثمان بن فودي في بلاد الهوسا، كان الاسلام أساس أنظمة المجتمع، حيث تمتع العلماء وطلاب العلم بمكانة اجتماعية عالية، وتولوا مناصب التدريس والقضاء وغيرها من المناصب ذات الصلة بالثقافة الإسلامية، وألّف الاسلام بين فئات الشعب المختلفة، واختفت مظاهر التناحر

[1] – نفسه، ص397.

[2] –مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص186

[3] –احمد شلبي: المرجع السابق، ص277.

بين جماعات الفلاني وجماعات الهوسا، وغيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى، وحلت قيم الاسلام محل العادات والتقاليد الجاهلية التي كانت سائدة في مجتمع الهوسا قبل قيام الشيخ عثمان بن فودي بحركته الإصلاحية، والتي أشار إليها في كتابه: "الفرق بين ولاية أهل الإسلام واهل الكفر" مثل وضع التراب على الرؤوس عند التحية وضرب الطبول، وشرب الخمر، وتعظيم النار، واختفت الأعياد الجاهلية لتحل محلها الاعياد الدينية، وسادت التقاليد الإسلامية في الزواج والطلاق والميراث والمآتم.[1]

ودافع عثمان بن فودي عن ضرورة توعية النساء بأمور الدين وتعاليمه فقال: إن تركهن في الجهل بما يجب عليهن معرفته في دينهن ودنياهن اكثر ضررا من اختلاطهن بالرجال مع ضمان والتعليم والوعي[2].

وقد ألف الشيخ عثمان بن فودي في معالجة الشؤون الاجتماعية مؤلفات كثيرة متعلقة بمحاربة البدع وحقوق المرأة وضرورة تربيتها دينيا وثقافيا، ومن ذلك كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة ، تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس من أجل تعليم النساء الفرائض الدينية[3].

أما في دولة ماسينا، فقد نظم الشيخ أحمدو لوبو الحياة الاجتماعية في دولته تنظيمًا دقيقًا، فكان أول قرار اتّخذه لذلك، هو توطين البدو الرحل لإخراجهم من حالة البداوة الى حالة الاستقرار والتمدن ، وأمر كل جماعة أن تنشئ بعد استقرارها مسجدا وسوقا في يوم محدد من الأسبوع[4].

[1] – مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص-ص258-259.
[2] – عثمان برايما باري: المرجع السابق ،ص102
[3] – عبد القادر زبادية: افريقيا المرجع السابق ، ص79.
[4] –حسين مؤنس: المرجع السابق، ص145.

ومن تنظيماته في العاصمة منع خروج الأشخاص من بيوتهم بعد صلاة العشاء بساعة، ومنع الفرسان من النظر في البيوت أثناء سيرهم، كما منع الرقص والغناء، وأولى اهتماما بالجانب الصحي للمدينة، ومن ذلك منع التبول في الطرقات العامة، وخصّص لذلك أماكن خاصة، كما عيّن، أماكن لذبح الحيوانات ومنع ذبحها في الشوارع، ومنع من استخدام الكلاب في المدينة إلا للضرورة كالصيد أو الزراعة، و الزم كل بالغ حضور صلاة الجماعة إلا بعذر.[1]

[1] -علي يعقوب: المرجع السابق، ع8، ص9.

المبحث الثالث : المساهمة الثقافية.

لقد ساهم انتشار الإسلام في مناطق السودان الغربي والأوسط في تأثّر هذه المناطق بالحضارة الإسلامية ومبادئ الدين الاسلامي، وكما كان هذا التأثير في الجوانب السياسية والاقتصادية كان له أثر في الحياة الثقافية والعلمية، وقد ارتبط ازدهار الثقافة الإسلامية العربية في وسط و غرب افريقيا بانتشار الطرق الصوفية، من خلال نشر الثقافة والمؤلفات.[1]

أولا : مراكز الإشعاع الديني والثقافي.

وتعتبر الطريقة القادرية من أبرز الطرق التي أخذت على عاتقها توعية المجتمع الإفريقي فحاولت التصدي لجميع المظاهر السلبية في هذه المجتمعات بانتهاج ،أسلوب يتلاءم وهذه الظروف وتركيز جهدها وتوجيهه إلى نوع من التعليم الديني العام للقضاء على الجهل، وإلى نشر قواعد الدين الصحيح، و تعليم اللغة العربية قراءة وكتابة[2] عبر مجموعة من الوسائل منها :

1- نشاط المساجد:

أدت المساجد منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام أدوارًا طلائعية في ميادين شتى، سواء دينية أو مجتمعية أو ثقافية أو اقتصادية، وتعتبر بمثابة أول معهد في تاريخ التعليم الإسلامي، وقد استمرت المساجد في أداء رسالتها التعليمية، واخذت تعمل على تخرج عناصر قامت بتطوير العلوم وخدمة الانسانية.[3]

---

[1] – عبد الله عبد الرزاق ابراهيم وآخر: تاريخ المسلمين ، المرجع السابق، ص-ص115-116.

[2] – عباس محمد جلال: **التعليم الاسلامي في افريقيا**، مقال في مجلة الازهر ، ج7، السنة 37،القاهرة،1385هـ،ص422.

[3] – عبد الرحمن ميغا: المرجع السابق،ص148

وتعد المساجد من أهم المراكز التي تولت نشر الإسلام وثقافته العربية في وسط وغرب إفريقيا منذ ظهور الإسلام في المنطقة[1]

ويشير البكري إلى أن دولة غانا يوجد فيها 12 مسجد في المدينة الاسلامية يرتادها الفقهاء وحملة العلم ومسجدا واحدا في المدينة الوثنية يصلي فيه وفود الملك من المسلمين[2].

ومن اشهر المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز مساجد تنبكتو وبلاد الهوسا والبورنو؛ ومنها

أ- المسجد الجامع الكبير:

ويطلق عليه جين كيري بيري، أي المسجد الكبير بناه منسا موسى في 1723م، وهو أول مسجد بتنبكتو، أجريت عليه عدة توسيعات، منها ما قام به العاقب بن القاضي محمود في 1765م، ثم وسعه السلطان أسقيا داود[3] وتعاقب على المسجد عدد من الائمة، منهم: عبد الله البلبالي وهو أول البيضان من صلى بالناس في ذلك المسجد، وأبو القاسم التواتي، ثم تولى بعده الإمام منصور الفزاني ثم ابراهيم الزلفي[4].

ب- مسجد سنكري:

يعد هذا المسجد من اعظم المساجد والمعاهد التي نهضت بدور التعليم في مدينة تنبكتو، وقد أورد السعدي أن الذي قام ببنائه سيدة ثرية، وجدد بناءه القاضي العاقب في 1578م، وقد ازدادت

---

[1] - نغسه،ص148

[2] - أبي عبيد البكري : المصدر السابق، ص 115.

[3] -الهادي المبروك الدالي: **التاريخ الحضاري لإفريقيا في ما وراء الصحراء في نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر**، أكاديمية الفكر الجماهيري ، بنغازي ، 2010، ص153.

[4] - السعدي: المصدر السابق، ص57.

أهميته في عهد الأسقيا محمد، وتعاقب عليه عدد من الائمة، منهم الفقيه محمد بن عمر محمد اقيت، وكان يقدم تعليما في مستوى عال.

ج- مسجد سيدي يحيي التادلسي:

يعتبر من أقدم مساجد مدينة تنبكتو وأكبرها، له اثر كبير في نشر الثقافة الإسلامية العربية، تولى إمامته مجموعة من الأئمة منهم: محمد بغيغ، والإمام محمد بن محمد الونكري[1] .

وإلى جانب هذه المساجد هناك مساجد أخرى في جني وغاو، ومساجد حمد الله التي كانت قبلة لطلاب العلم في عهد دولة ماسينا والفلان.

وقد قامت هذه المساجد وغيرها بدور هام في تنشيط الحركة العلمية، وأدت بذلك رسالتها كمراكز للعبادة ومنابر للعلماء الذين يلقون دروسهم وخطبهم

2- الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أهم المراكز التي تقوم بتربية الأطفال وتعليمهم، حيث يتعلمون فيها المبادئ الأساسية من قراءة، وكتابة، وحفظ للقرآن على ظهر قلب، الى جانب معرفة الفروض الدينية من عقائد وعبادات، وقد اختلفت تسميتها في المنطقة باختلاف قبائلها، فقبائل الولف تطلق عليها اسم دارا، وقبائل موريطانيا تسميها المحضرة، والماندينج تسميها كارة، والتكرور يدعونها باسم دبالجانتي[2].

[1] - عبد الرحمن ميغا: المرجع السابق، ص-ص 149-151

[2] - الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 163.

وعلى اعتبار أهمية تعليم الأطفال في صغرهم اهتم مجتمع السودان الأوسط والغربي بالكتاتيب، ففي تنبكت وصلت عدد الكتاتيب خلال القرن العاشر الهجري ما يقارب 150 أو 180 كتابًا على ما ذكره محمود كعت فيقول:" وفيها مدارس تعليم الصبيان يقرأون القرآن 150 أو 180 مكتبا على ما ذكره الشيخ محمد أحمد..."[1]

وإلى جانب مدينة تنبكت عرفت مدينة جني المدارس القرآنية والكتاتيب، وازدهرت فيها ازدهارا كبيرا خاصة في عهد الماسنيين، حيث كانت بالمئات ، إذ وصل عددها في عاصمة الدولة 60 كتابا، حيث اهتم بتنظيم هذه الكتاتيب، إذ عين مشرفًا عامًا لها، وهو الذي له صلاحية الترخيص بفتح المدارس الجديدة كما ألزم كل طفلٍ بلغ السابعة أن يلتحق بالمدرسة القرآنية، وكل وليّ تخلف على ذلك يعرض على مجلس تأديب مخصص لذلك.[2]

اما في عهد الدولة السكتية[3]، فقد اهتم الشيخ عثمان بن فودي وخلفاؤه بالتعليم وأبرزوا اهميته في جل كتاباتهم، إذ قاموا بنشر المدارس القرآنية وإرسال الأطفال اليها من البنين والبنات، فيتعلمون قسطا من القرآن والمبادئ الإسلامية ليكمل الطلاب في ما بعد هذه المرحلة بالدروس في حلقات العلم، فيقول الشيخ في كتابه إحياء السنة وإخماد البدعة: "يجب أن يكون في كل مسجد ومحلة في البلد فقيها يعلم الناس دينهم..."[4]

---

[1] – محمود كعت: المصدر السابق، ص 180.

[2] – علي يعقوب : المرجع السابق، ع 8، ص 7.

[3] – والمقصود بها، دولة التي أسسها عثمان بن فودي ، وتسمى بالدولة السكتية نسبة لعاصمتها مدينة سكت أو سوكتو ، وهي مدينة تقع شمال نيجيريا ،أنظر محمد سعيد القشاط : **صحراء العرب الكبرى** ، دار الرواد، ليبيا، ط1، 1994 ،ص28

[4] – علي يعقوب : المرجع السابق، ع 11، ص 8.

أما في الكانم والبورنو بالسودان الأوسط اهتم السلاطين بالمساجد والكتاتيب والحرص على نشر التعلم بين أفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك ما قام به العاهل الكانوي أبو بكر بن رنفا (973هـ-980هـ/1565م-1572م) من بناء مجموعة من الكتاتيب بالمنطقة.

وفي الأخير يمكن القول أن كثرة الكتاتيب والمدارس القرآنية في مجتمع وسط وغرب إفريقيا دلالة على الاهتمام بتربية الأطفال والتمسك بالدين الإسلامي، إلى جانب ذلك الدور الإيجابي الذي قامت به في سبيل تطوير الحركة العلمية.

3- المحاضر :

تعد المحاضر من المراكز التي ساهمت في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في السودان الغربي وقد عرفها الخليل النحوي في كتابه "بلاد شنقيط المنارة والرباط" : " أنها جامعة شعبية بدوية متنقلة تلقينية فردية التعليم طواعية الممارسة"[1]، وهي مؤسسة تعليمية تقليدية جامعة لشتات المعارف، قد تسع دلالتها لتشمل كتاتيب تحفيظ القرآن، ولكنها تنصرف غالبًا في الاصطلاح، كالمدارس التي يتلقى فيها الطلبة مختلف المعارف الأخرى وتتدرج من المستوى الابتدائي وصولاً إلى لمستوى الجامعي بالمفهوم الحديث؛ وقد كانت المحضرة توفر لطلبة العلم جميع ما يحتاجونه من معارف عصرية من العلوم الدينية الشرعية إلى علوم اللغة، والتاريخ، والحساب، والجغرافيا، والفلك.[2]

[1] - للمزيد عن تعريف المحضرة ونشأتها راجع خليل النحوي : المرجع السابق، ص 53.

[2] - نفسه، ص 190.

وكانت الدراسة في المحاضر المتنقلة فعالة وجيدة إذ غالبًا ما نجد من يتخرج منها له مستوى معرفي رفيع، ولا يتعلق التخرج منها بسنوات معينة أو محددة، بل هي مرهونة بقدرة الطالب على تحصيله العلمي واستيعابه لأمهات المراجع في فروع العلوم التي يدرسها، فإذا هضم الطالب هذه المراجع وسمعها على العلماء أو المشرف على المحضرة مرات عديدة أعطيت له إجازة علمية تؤهله للتدريس أو الإفتاء أو الإمامة أو القضاء.[1]

ورغم أن المحاضر كانت أغلبها متنقلة بين البوادي نظرًا لحاجة القبائل البدوية للماء والكلاء فإن هذه الصفة لم تحد من عزائم هذه القبائل في سبيل انتشار المحاضر ونشر الإسلام والثقافة الإسلامية؛ ولذلك يقول العلامة المختار ولد الجنكي (ت 1220هـ):

وَنَحْنُ رَكبٌ مِنَ الْأَشْرَافِ مُنْتَظِمٌ

أَجَلُّ ذَا الْعَصرِ قَدرًا دُونَ أَدْنَانا

قَدْ اتْخَذّنَا ظُهُورَ الْعِيسِ مَدْرَسةً

بِهَـا نُـبَيِنُ دِيـنَ الله تِبْيَـانَا

نَتْلُو كِتابَ إِلَهِ الْعَرّشِ كُلَّ مَسَا

وَكُـلَّ صُبْحٍ فَمَـنْ نَلْقَى تَوَقَّانا.[2]

---

[1] – عبد الرحمن ميغا : المرجع السابق،، ص، 163.

[2] – محمد عبد الرحمن : **المحاضر الموريطانية قلاع العالم الصامدة في أعماق الصحراء**، مقال مجلة الراية النسخة الإلكترونية ،تاريخ الانشاء 10-09-2010، تاريخ الاطلاع 18-09-2015، www.raya.com، للعودة إلى المقال http://www.raya.com/Home/GetPage/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/ed1637bd-8f8c-417f-8f25-32dd9cfe74a5

وقد درس مجموعة من علماء بلاد السودان الأوسط والغربي من هذا النوع من المراكز سواءٌ بالحضور فيها أو التعلم على يد خريجيها، حيث كانت المحاضر مراكز إشعاع ثقافي وروحي شمل تأثيرها مناطق واسعة في إفريقيا، إذ كان العلماء والدعاة الشناقطة يجوبون المنطقة فيستقطبون من يلقون بالقيم والأخلاق الفاضلة والشعائر التي يؤدونها بأحاديثهم للناس وتعليمهم ووعظهم.[1]

ومن العلماء الذين ساهموا في نشر العلم في أنحاء السودان الأوسط والغربي الحارث بن محنض الشقراوي الذي نشر العلم في فوتاجالون، وأخذ عنه عدد من علماء المنطقة، منهم الحاج أحمد مختار صافو ومحمد بابا بن الصديق تله، وأخذ الشيخ أحمد بمبا القادرية عن الشيخ سيديا بابا وتلقى العلم أثناء ترحاله بين محاضر شنقيط.

كما ساهمت كنتة والفاضلية وآل الشيخ سيديا في تطوير التربية والتعليم في وسط وغرب إفريقيا، إذ كان الشيخ عثمان بن فودي في السودان الأوسط يتبادل المراسلات مع الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه الشيخ محمد ،كما كان للشيخ سيدي المختار على صلة طيبة بأحمدو لوبو مؤسس دولة ماسينا، كما شارك أحمد البكاي حفيد الشيخ الكنتي في صراعه مع عمر الفوتي.[2]

وخلاصة القول أن المحاضر التي أنشأها شيوخ القادرية في بلاد شنقيط كان لها حضور قوي بالتأثير الديني والثقافي في السودان الأوسط والغربي من خلال نشر القادرية والثقافة الإسلامية.

[1] – الخليل النحوي : المرجع السابق، ص 259.

[2] – نفسه، ص،ص260-267.

4- الزوايـــا :

تعتبر الزوايا من أهم المراكز العلمية التي أسهمت في انتشار العلوم الإسلامية بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء، ومن أهم الزوايا التي لعبت هذا الدور في شمال مالي زاوية كنتة والتي أسسها سيدي المختار الكنتي (ت 1811م) بمنطقة الأزواد[1]، وقد ترك الشيخ أثرًا كبيرًا في منطقة تنبكتو ومنطقة أزواد، وعملت الزاوية على تلقين المبادئ الصوفية ونشر الورد القادري والتعلم وتدريس جميع الوافدين إليها من مختلف الجهات، تدريسًا يتلاءم مع مستواهم الفكري والثقافي، وقد ازداد تأثير الزاوية بالمنطقة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وعندما كثرت الاضطرابات في الحواضر السودانية وجد الناس في هذه الزوايا أمنًا وطمئنانًا واستقرارًا، وتشبعوا بأفكارهم الروحية والثقافية فاعتزلوا فيها واعتكفوا على دراسة العلوم والأوراد القادرية. وشكلت هذه الزاوية مرجعًا روحيًا لجماعة كنتة ومن تأثر بهم ، ومنها تخرجت مجموعة من عمالقة السودان الكنتيين الذين لهم قدم راسخ في مختلف العلوم الإسلامية خاصة فيما بين القرنين 11هـ و12هـ/ 17م و19م، منهم سيدي المختار الكنتي، ومحمد الكنتي، وأحمد البكاي، وسيدي المختار الصغير[2].

[1] – **منطقة الازواد**: بزي مضخمة بين الضاد والزي، وهي أرض كبيرة بعد أروان، كانت بها إقامة سيدي المختار الكنتي ،أنظر أحمد الأمين الشنقيطي : المرجع السابق،ص458،وتعني بلغة الطوارق المسقى الدائري من خشب يستعمل كإناء لشرب الحليب ،أنظر محمد الصالح حوتية: توات والأزواد ،المرجع السابق ،هامش 3 ص38

[2] – عبد الرحمن ميغا : المرجع السابق، ص،ص 164 – 165

ومحصلة القول أن أماكن التدريس في السودان الأوسط والغربي تعددت وتنوعت منها المساجد والكتاتيب والمحاضر والزوايا، وحتى بعض قصور الحكام، فهذه الأماكن كانت وسائل مهمة استغلها شيوخ القادرية بالمنطقة لتوسيع رقعة الإسلام ومحاربة البدع والوثنية ونشر الثقافة العربية الإسلامية.[1]

ثانيا : آثار الحركة العلمية والثقافية.

ازدهرت الحركة العلمية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بكثرة علمائها و فقهائها واحتفظت بمكانتها العلمية والثقافية – على الرغم من الضعف السياسي– كمراكز كبرى للثقافة، وعاش فيها العلماء عيشة رغيدة، هذه الظروف ساعدت على ظهور لفيف من العلماء ساهموا في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، ومن بينهم أعلام القادرية الذين كان لهم دور كبير في ميدان التأليف.[2]

ويقسم بعض الدارسين حركة التأليف في وسط وغرب إفريقيا إلى مرحلتين :

أ – مرحلة عصر التكوين : وتمتد من القرن 10هـ/16م إلى القرن 11هـ/17م.[3]

إن المرحلة الأولى كانت تتجلى في العلوم التي كان يدرسها أحمد بن أحمد والد الشيخ أحمد بابا (ت 991هـ/1583م) والتي كانت تدور حول علوم العربية نحوًا وبيانًا، والفقه وأصوله والحديث، وعلم المنطق، فأسمع الصحيحين ما يناهز العشرين سنة، وألف عدة مؤلفات منها تعليقه

[1] – نفسه ،ص 165.

[2] – الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 181.

[3] – عز الدين عمر موسى : **دراسات إسلامية غرب إفريقيا**، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ع 2، مارس 1993، ص 120.

على الصغرى للسنوسي، وشرح مخمسات العشرينيات، الفزازية لابن مهيب وشرح منظومة المغيلي، وعلق على موضع من خليل وعلى شرحه، وأشهر من أخذ عليه الفقيهان محمد وأحمد بغيغ.[1]

أما محمد بغيغ أستاذ أحمد بابا فقد برع في علوم العربية وعلوم الفقه والدين وعلوم القرآن وتفسيره، وله تعاليق أوضح فيها هفوات لشرح الخليل وغيره، كما أفتى عدة فتاوى.[2]

ومن أشهر علماء تنبكت الشيخ أحمد بابا(ت1036هـ/1626م)، ذلك العالم الموسوعي حيث كان مؤرخا وعالما بالشريعة، من المتبحرين في اللغة العربية، وذكر مترجموه أنه ألف ما يزيد عن أربعين كتابًا منها : نيل الابتهاج بتطريز الدباج، وهو وتذييل لكتاب ابن فرحون المالكي، وله شرح على مختصر خليل، وكفاية المحتاج، معراج الصعود وغيرها.[3]

الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمي الأغدسي (ت 950هـ/1543م) اشتغل بالعلم، ومن إنتاجاته: الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمود، وله أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير، وقد أجاب فيها عن أسئلة السلطان الأسقيا محمد.

كما ظهرت تأليفات التاريخ ككتاب "تاريخ الفتاش" للشيخ محمود كعت، وتاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي، وتصنيفات ابن فرتوه عن بورنو خاصة حاكمها ماي إدريس ألوما، وقد كان الشيخ أحمد فرتوه حافظ سره وإمامه في الصلاة كتب في التصنيفات حروب السلطان إدريس وسيرته

[1] – السعدي : المصدر السابق، ص،ص 42–43، وأنظر كذلك التنبكتي : المرجع السابق، ص،ص 141–142.

[2] – السعدي : المصدر السابق، ص 45.

[3] – البرتلي : المصدر السابق، ص 359– 360.

وله أيضا كتاب عن تاريخ البرنو، وهما مصدران مهمان عن إمبراطورية كانو وبرنو في القرن السادس عشر ميلادي وقد ترجم إلى الإنجليزية ونشر عام 1926م.[1]

وما يميز هذه المرحلة بداية ظهور بعض المؤلفات باللغات المحلية المكتوبة بالأحرف العربية، حيث أورد السيوطي نازلتين في الحاوي حول جواز مدح النبي ﷺ بالعجمي، كما عثر على نسخة من القرآن الكريم كتبت في القرن 17 م وعليها شرح للمعاني بالكانوري.[2]

ومن أبرز علماء كنتة الذين ساهموا في إحياء وتطوير الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء وحوض نهر النيجر هم : الشيخ سيدي المختار الكبير، الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار، الشيخ سيدي أحمد البكاي.[3]

– الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي (ت1811م) :

وهو الشيخ الفقيه القطب الرباني والغوث الحمداني والولي الصالح سيدي المختار الكبير بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي، كان عابدًا زاهدًا يقصده المريدون من كل مكان، وأصبح المرجع الأعلى للطريقة القادرية للمنطقة، له مؤلفات شتى في فنون مختلفة قدرها بعضهم ثلاثمائة وأربعة عشرة مؤلفا، نذكر منها: "هداية الطلاب في الفقه"، "فتح الوهاب على هداية الطلاب"، وهو شرح للكتاب الأول، "الرشاد على الفقه"، "كتاب المنّة في اعتقاد أهل السنة"، "كشف النقاب عن فاتحة الكتاب" "الشموس المحمدية في التوحيد"، "نفح الطيب في الصلاة على الحبيب"، "الكوكب الوقاد في

[1] – علي يعقوب : **جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الاسلامية والعربية غرب افريقيا نموذجا**، مقال في مجلة قراءات إفريقية ع، 3، المنتدى الاسلامي ديسمبر2008، ص 13

[2] – عزالدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 125.

[3] – محمد حوتية : آل كنته، المرجع السابق، ص229.

فضل التسابيح والأوراد"، فاتح إفريقيا وقبائلها وملوكها"، ا"لألباب في الأنساب"، بالإضافة إلى مئات الفتاوى والقصائد النظمية.[1]

– الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير (ت 1242هـ/1826م) :

وهو الشيخ العا لم الفقيه القطب سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير، وكان رحمة الله عليه عالما فقيهًا، مجتهدًا، ورعًا، زاهدًا، متصوفًا أديبًا، وشاعرًا ،كثير التأليف، تولى الزعامة الدينية لقبيلة كنته بعد وفاة والده، ومن مساهماته العلمية "شرح فقه المودود"، وترجمان المقال، ورافع الإشكال لرفع الأفعال .أما في الدراسات الدينية فقد وضع مصنف علم اليقين وسنن المتقين، إجازة الأوراد القادرية وقد اشتهر بجمع مخطوط الطرائف والتلائد، وتكمن أهميته في محتواها العالي الذي تناول عدة مواضيع تخص منطقة أزواد وبلاد الساحل وحوض النيجر وتوات، وله كذلك الوسيلة الكبرى في إصلاح الدين والدنيا الأخرى، أوثق عوراء الاعتصام للأمراء والوزاراء والحكام، وغيرها من المؤلفات.[2]

ب – مرحلة عصر الازدهار من القرن 12هـ–18م وخلال النصف الأول من القرن 19م :

وقد بلغت حركة التأليف في هذه المرحلة الذروة في شتى مناطق وسط وغرب إفريقيا مع الشيخ أحمد البكاي والفلانيين في أرض الهوسا ،وأحمدو لوبو في ماسينا والكانمي في البورنو، وسنتطرق لنماذج من العلماء ومؤلفاتهم من المنطقة في هذه المرحلة :

[1] – البرتلي : المصدر السابق، ص،ص 152–153، أنظر كذلك عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص،ص 297–298.
[2] – محمد حوتيه : آل كنته، المرجع السابق، ص 233، كذلك عبد الرحمان ميغا ، المرجع السابق، ص،ص292 –293.

– محمد الكشناوي (ت 1154هـ/ 1742م) :

وهو محمد بن محمد الفلاني الكشناوي السوداني، كان إماما متقنا متفننا، له همة واسعة في تحصيل الكتب، حيث قال: "لم اقرأ قط من كتاب مستعار"، وله باع واسع في جميع العلوم، قام بزيارة بيت الله للحج سنة 1142هـ/1730م[1]

ومن مؤلفاته: "بهجة الأفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف والأوقاف" وله منظومة في علم المنطق سماها "منح القدوس"، وفي علم النحو له كتاب "بلوغ الأرب من كلام العرب" وله غير ذلك.[2]

– الشيخ سيدي أحمد البكاي (ت 1865م) :

ولد الشيخ بتنبكت سنة 1218هـ/1803م،نشا وترعرع في بيت علم وورع، حيث درس على يد جده سيدي المختار الكبير، تولى الزعامة الدينية لقبيلة كنته وصار المعلم الأكبر لمريدي الطريقة القادرية، تبوأ مكانةً علمية وسياسية[3]، ومن أشهر مؤلفاته: فتح الفردوس في جواب أبي عبد الله أكنسوس، وهو كتاب يرد فيه على الطريقة التجانية، وكتاب بغية الإلف في جواب ابن يركه، وله عدة رسائل مع أمراء ماسينا، وكرس جهوده للتدريس وخدمة الطريقة القادرية.[4]

---

[1] –عبد الرحمن بن حسن الجبرتي :**عجائب الآثار فب التراجم والأخبار** ،تح عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن دار الكتب المصرية،القاهرة،1997، ج1،ص271–272.

[2] – نفسه، ص273 وأنظر كذلك علي يعقوب : المرجع السابق، ع3 ، ص19.

[3] –حوتية محمد : توات المرجع السابق،ج 1،ص293.

[4] – عبد القادر زبادية : إفريقيا، المرجع السابق، ص 98، وكذلك عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص 262.

– عثمان بن فودي (ت 1817م) :

وفي القرن التاسع عشر ميلادي بلغ تأليف الأفارقة ذروته فالشيخ عثمان بن فودي قد تصل مؤلفاته إلى مئة مؤلف، بين كتاب ومقال منها أصول الولاية، سوق الصادقين، علوم المعاملة، كف الطالبين، مرآة الطلاب، نصائح الأمة، نور الأولياء، تنبيه الإخوان على أحوال السودان، وكتاب تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان، إضافة إلى كثير من المقالات التي تعالج مواضيع شتى: تنبيه الغافلين، قواعد الصلاة، سوق الأمة لإتباع السنة. أما المقالات الخاصة بالطريقة القادرية: السلاسل القادرية للأمة المحمدية، تبشير الأمة المحمدية لبيان بعض مناقب القادرية، تطييب قلوب الأمة المحمدية بذكر بعض القصائد القادرية[1].

– عبد الله بن فودي (ت1246هـ–1830م) :

ولد الشيخ عبد الله بن فودي سنة1180هـ/1766م، نشأ وتربى في أسرة علمية ،حفظ القرآن على يد والده ،ثم تعلم على يد اخيه الشيخ عثمان بن فودي، تبحر في علوم شتى ونبغ فيها، تولى مهام عسكرية وسياسية في دولة الفلان، كان له إنتاجًا ثقافيًا غزيرًا ومن مؤلفاته: ألفية الأصول، والبحر المحيط في النحو، ضياء التأويل في التفسير، ضياء السياسة، مفتاح التفسير، مفتاح الأصول، تزيين الورقات.[2]

[1] –عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **التراث الحضاري لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر**، مقال في مجلة عالم الفكر ، وزارة الأعلام الكويت، ع 4، ، أفريل جوان 1993م، ص–ص 244–250.

[2] – آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص،ص64.

– الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي (ت1253هـ– 1837م) :

ألف العديد من الكتب مثل: إنفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور، ومفتاح السواد في اقسام اهل هذه البلاد.[1]، كما عالج كثيرا من مشكلات المجتمع في العادات والتقاليد المنافية لإسلام ومن مؤلفاته في ذلك: تنبيه اهل الفهوم على وجوب اجتناب الشعوذة والنجوم، وله مؤلفات طبية منها: تنبيه الإخوان على أدوية الديدان، الطب مختصر الهين[2].

أما في ماسينا فقد عرفت حركة التأليف إنتاجًا غزيرًا، حيث انتعشت حركة تأليف الشعر والتاريخ باللغة المحلية الفلانية المكتوبة بالحرف العربي، وقد قدرت بعض المصادر التاريخية أن عدد العلماء والفقهاء المشهورين في ماسينا ما يقارب الثلاثمائة عالم، لكن معظم إنتاجهم الأدبي والعلمي اندثر بفعل الحرب التي دارت بين أحمدو لوبو والشيخ عمر الفوتي.[3]

وتجدر الإشارة أن في هذه المرحلة ازداد عدد الملفات باللغة المحلية، حيث قام الشيخ عثمان بن فودي بترجمة مختصر الأخضري في العبادات إلى اللغة الفلانية، ونظم قصائد كثيرة في الفقه والتصوف والسيرة والأخلاق باللغة المحلية وهو نفس الذي الشيء قام به أخوه عبد الله حين ترجم مقامات الحريري وعدة أجزاء من كتابه ضياء التأويل إلى اللغة الفلانية.[4]

---

[1] – آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص،ص65.

[2] –حسن عيسى عبد الظاهر: المرجع السابق، ص– ص366–368

[3] – علي يعقوب : المرجع السابق، ع 8، ص 8.

[4] – علي كلطغ ديالو : **الثقافة الإسلامية في إفريقيا**، مقال في مجلة دعوة الحق ، ع 266، وزارة الأوقاف، المغرب ، أوت 1987م ص29.

أما في السينغال فساهم الشيخ أحمد بمبا شيخ الطريقة المريدية، مساهمةً كبيرةً في اثراء حركة التأليف بمؤلفات عده، قسمها دارسوا الطريقة المريدية وحياة شيخها إلى نوعين من التأليفات أولها: الفكرية التعليمية وثانيهما الشعرية، كما صنفت مؤلفات الشيخ حسب مراحل حياته الفكرية والعرفانية، ففي المرحلة الأولى، ما قبل التهجير (الغيبة البحرية)، وتمتد من 1872م إلى 1883م؛ ومن مؤلفاته التعليمية: مواهب القدوس في نظم شيخنا السنوسي، والجوهر النفيس في عقد نثر الأخضري الرئيس، أما المرحلة الثانية وهي مرحلة نشأة المريدية وتمتد من 1883م إلى 1893م أصدر فيها الشيخ بعض المؤلفات العرفانية والمناجاة مثل مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني، مقدمة الخدمة في الصلاة على نبي الرحمة (مفتاح السعادة في الصلاة على خير السادة)، ومطلب الفوزين.[1]

ومما سبق كله يتضح الدور الفعال، و المساهمة الكبرى للطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا في الجوانب الحضارية والثقافية.

ففي الجانب الحضاري برزت شخصيات دينية وسياسية ساهمت في تطوير دول، وتأسيس أخرى، وعملت على تطوير تنظيماتها السياسية والاجتماعية و الاقتصادية لخدمة المجتمعات المحلية، من خلال التقسيمات الادارية، ونشر التعليم بفتح المؤسسات التعليمية ، وتنظيم الاسواق وتنشيطها

[1] – الغيبة البحرية وهي المرحلة التي تم فيها تهجير الشيخ خارج السنغال انظر سرين امباكي فال: المرجع السابق ص،ص 21-22

أما في الجانب الثقافي فقد عمل رجال الطريقة القادرية بالمنطقة على تنشيط حركة التأليف والنشر و المساهمة في انتقال بالثقافة المحلية من ثقافة شفاهية إلى ثقافة مكتوبة، وبرزت شخصيات محلية اثرت بمؤلفاتها في مختلف العلوم الحياة الثقافية ليس فقط بالمنطقة بل في العالم الاسلامي

خاتمـــــة

بعد دراسة موضوع الطريقة القادرية ودورها الحضاري والثقافي في وسط وغرب إفريقيا ما بين القرنين السادس عشر و التاسع عشر الميلاد، خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات أوجزها في الآتي :

– إن منطقة وسط وغرب إفريقيا (السودان الأوسط والغربي) تزخر بإمكانات طبيعية كبيرة ،من حيث شبكة المياه فهي تتوفر على أنهار كبرى ، كنهر النيجر والسنغال وغامبيا والكونغو، أو من حيث المعادن كالذهب والملح، أو من حيث السهول والأراضي الخصبة، كل ذلك ساهم في تنشيط الزراعة وحركة التجارة والهجرة إلى المنطقة، وولد الاحتكاك الحضاري، وهذا ما أدى الى ظهور كيانات سياسية .

– إن تحديد منطقة السودان الغربي والأوسط جغرافيا من الصعب بمكان، وهو ما خلف جدلا بين الجغرافيين ودارسي المنطقة .

– لم تكن الصحراء الكبرى الفاصلة بين شمال القارة ووسطها وغربها يوما عائقا على التبادل التجاري والتفاعل الحضاري بين المنطقتين، وإن هذا التواصل كان منذ العصور القديمة، ليزداد كثافة في العصور الوسطى والحديثة.

– كان للطرق الصوفية دورٌ بارزٌ، في الحياة الحضارية للمنطقة، وقامت الطريقة القادرية بفضل نشاط العلماء والدعاة والمخلصين، برفع المستوى الحضاري و الاجتماعي لمجتمع وسط وغرب إفريقيا، ومن هؤلاء نذكر الشيخ المغيلي، والشيخ جبريل بن عمر ، وآل فودي، وعلماء كنتة.....الخ

– بروز قبائل حملت على عاتقها نشر الطريقة القادرية ، وتوسيع رقعة الإسلام، كآل كنتة ، وآل فودي والفلان و آل قيت، و السيفيين في البرنو. والتي كان لها شرف المساهمة في ترقية المستوى الفكري واخراج المجتمعات من حياة الرذيلة الى حياة الفضيلة.

– تغيرت حياة الأفارقة بدخولهم الاسلام، فتحسن مستوى تفكيرهم، وتطور التعليم، وبرزت مراكز حضارية هامة كتنبكت، وجني، وطوبى، وحمد الله وغيرها، وبرز عدّة علماء من أبناء المنطقة ، حيث امتد اشعاعهم الى كل مناطق العالم الاسلامي كأحمد بابا التنبكتي، وسيدي المختار الكنتي و الشيخ عثمان بن فودي.

– ساهم أبناء المنطقة في نشر العلوم الدينية من خلال طرق فرعية تولدت عن الطريقة الأم –القادرية– كالبكائية (المختارية)، و الفاضلية، والمريدية

– إن تأثير الطريقة القادرية، بمختلف فروعها و علمائها، بالمنطقة كان جليا، في مختلف نواحي الحياة السياسية كإصلاح المجتمع، ومحاربة البدع، وقيام حركات اصلاحية، من ذلك رسائل المغيلي لأمراء المنطقة، وجهود سيدي المختار الكنتيالكبير، أو سيديا بابا لتبرز اكثر في القرن التاسع عشر ميلادي مع ظهور دولة سكتو وماسينا ، ودولة أحمد الكانمي، وازدهار انظمتها السياسية المعتمدة على انظمة قوية تعليميا واجتماعيا.

– إن الاستقرار والتطور الذي عاشته المنطقة في الجوانب التجارية والثقافية، أدخلها في دائرة الطامعين في الثراء و الباحثين عن العلوم.

– ساهم انتشار التعليم عبر مختلف المراكز كالكتاتيب و المحاضر و الزوايا في تطور حركة التدوين عند شعوب المنطقة، وحولت ثقافتها من ثقافة شفاهية إلى ثقافة مكتوبة، وتدخلت اللغة العربية في إثراء اللغات المحلية كالهوساوية و الفلانية ...

– ظهور الطريقة التجانية في القرن الثامن عشر، وولوجها للمنطقة، جعلها تعيش صراعًا بين الطريقة القادرية والطريقة التجانية، والذي اتخذ شكل نقاشات وتبادل للرسائل، كالتي دارت بين أحمد البكاي ومحمد أكنسوس، أو في شكل سِجَالات شعرية، ليتحول فيما بعد إلى صراع مسلح، فقد خلاله الإسلام بالمنطقة، خيرة رجاله ، وتحول الجهاد من محاربة الوثنية إلى تقاتل المسلمين بين بعضهم البعض، ليصبح الولاء للطريقة أقوى من الولاء للدين، وعلى الرغم من ذلك كان الفضل للطرق الصوفية في مقاومة الإستعمار الأوربي للمنطقة.

و في الأخير يمكن القول إنني قد حاولت الالمام بالموضوع من كل جوانبه، وإن كان هناك تقصير فمرده لنقص التجربة، كما أن ما توصلت إليه من استنتاجات ليست احكاما نهائية حول دور الطريقة القادرية بوسط و غرب إفريقيا، وانما يحتاج لدراسات أكثر تخصصا وعمقا .

الملاحق

الملحق رقم01: خريطة إقليم وسط إفريقيا

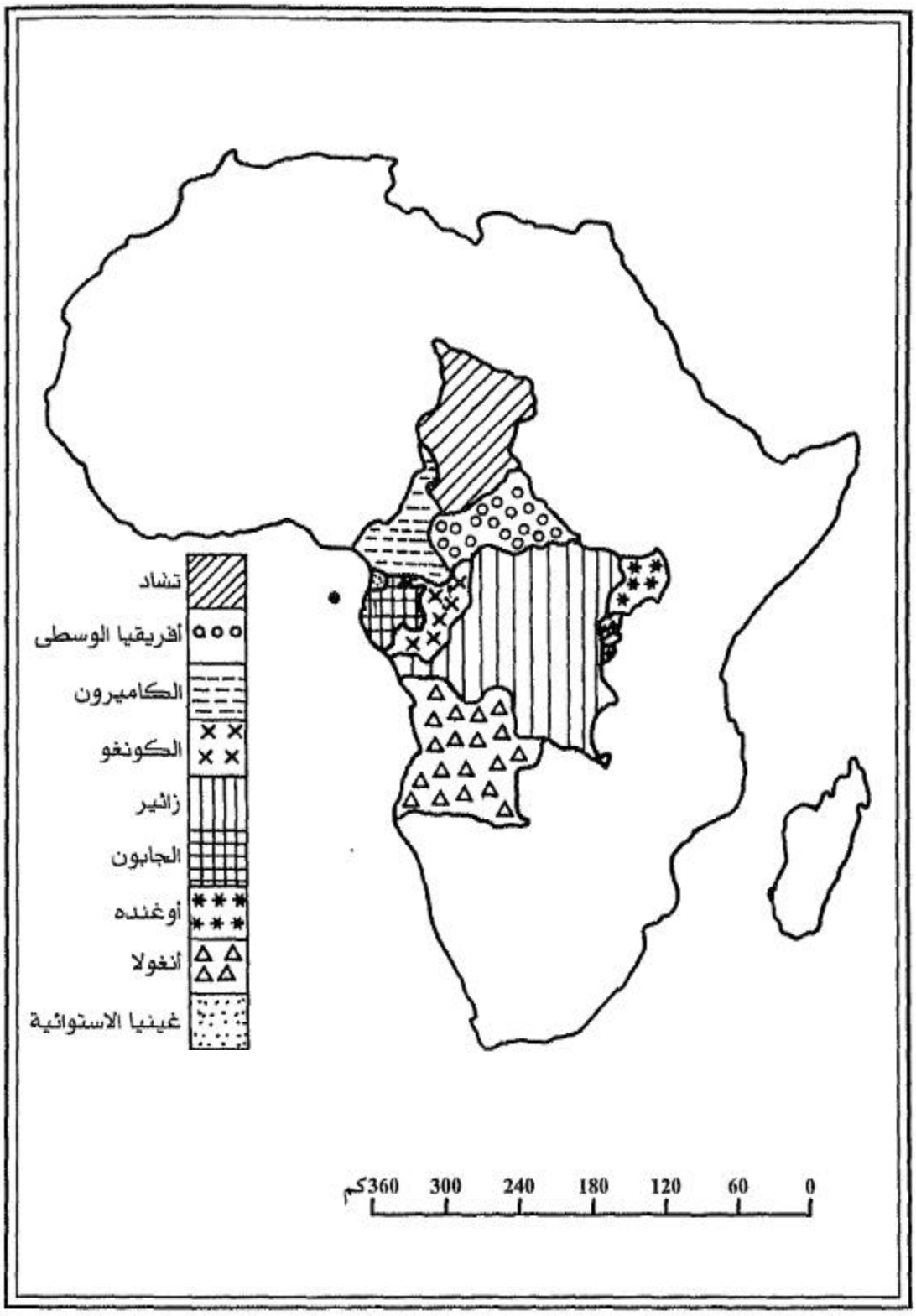

المرجع: عبد القادر المحيشي : المرجع السابق،184

الملحق رقم 02: خريطة إقليم غرب إفريقيا

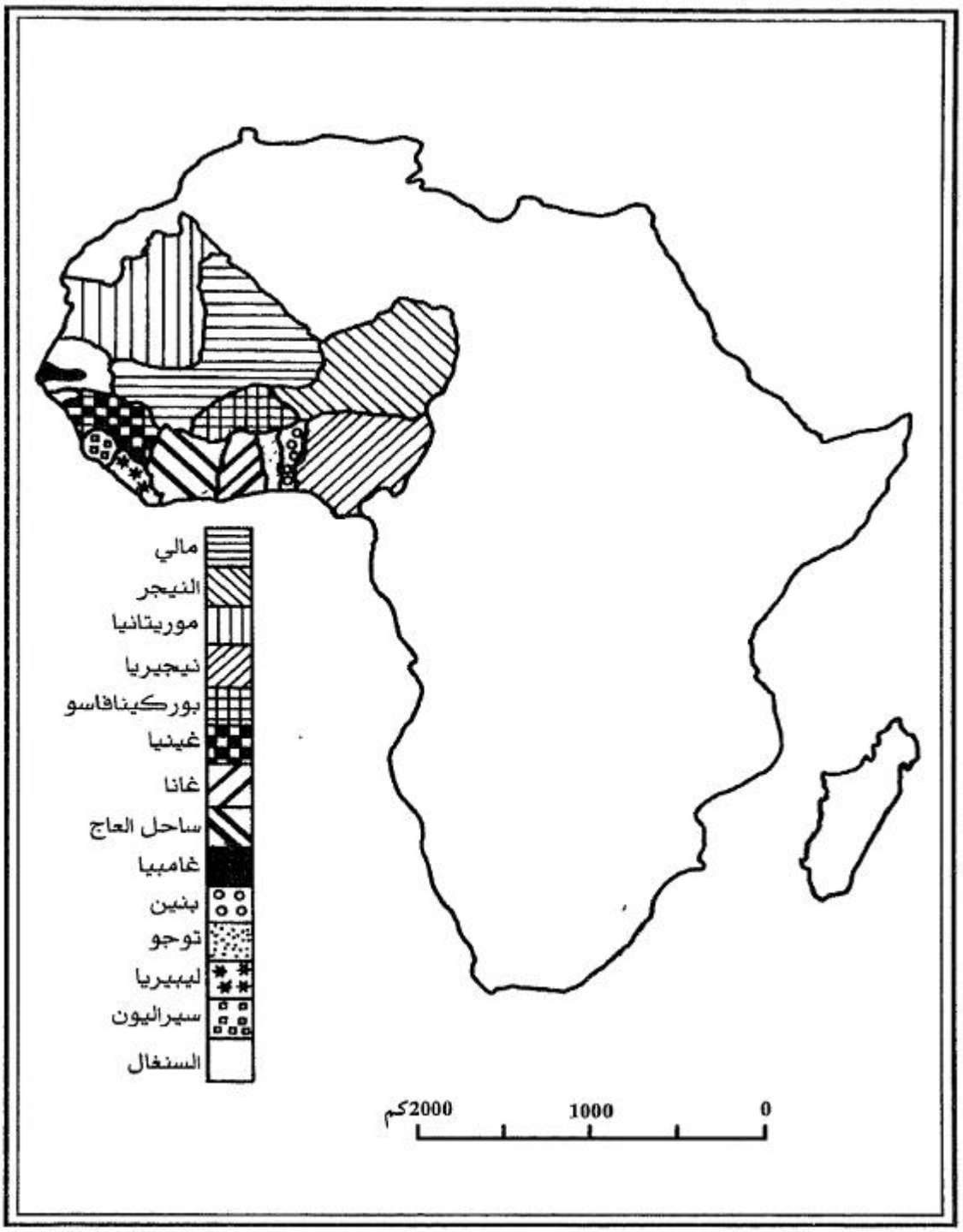

المرجع :عبد القادر المحيشي: المرجع السابق،ص166

الملحق رقم 03:تحديد منطقة السودان الغربي

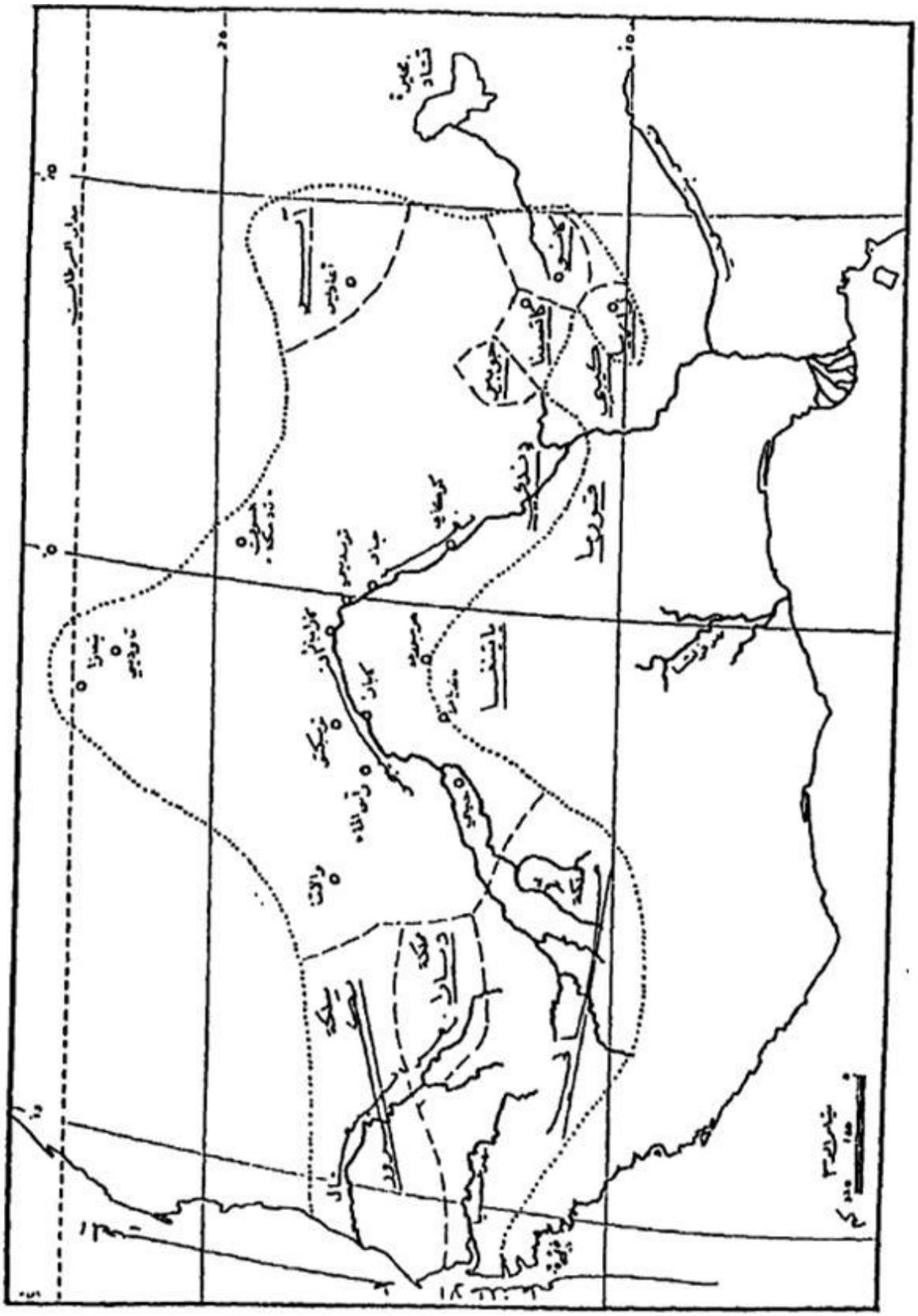

المرجع: الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي: المرجع السابق،ص361.

الملحق رقم:04 خريطة دولة الفلان–سوكوتو–

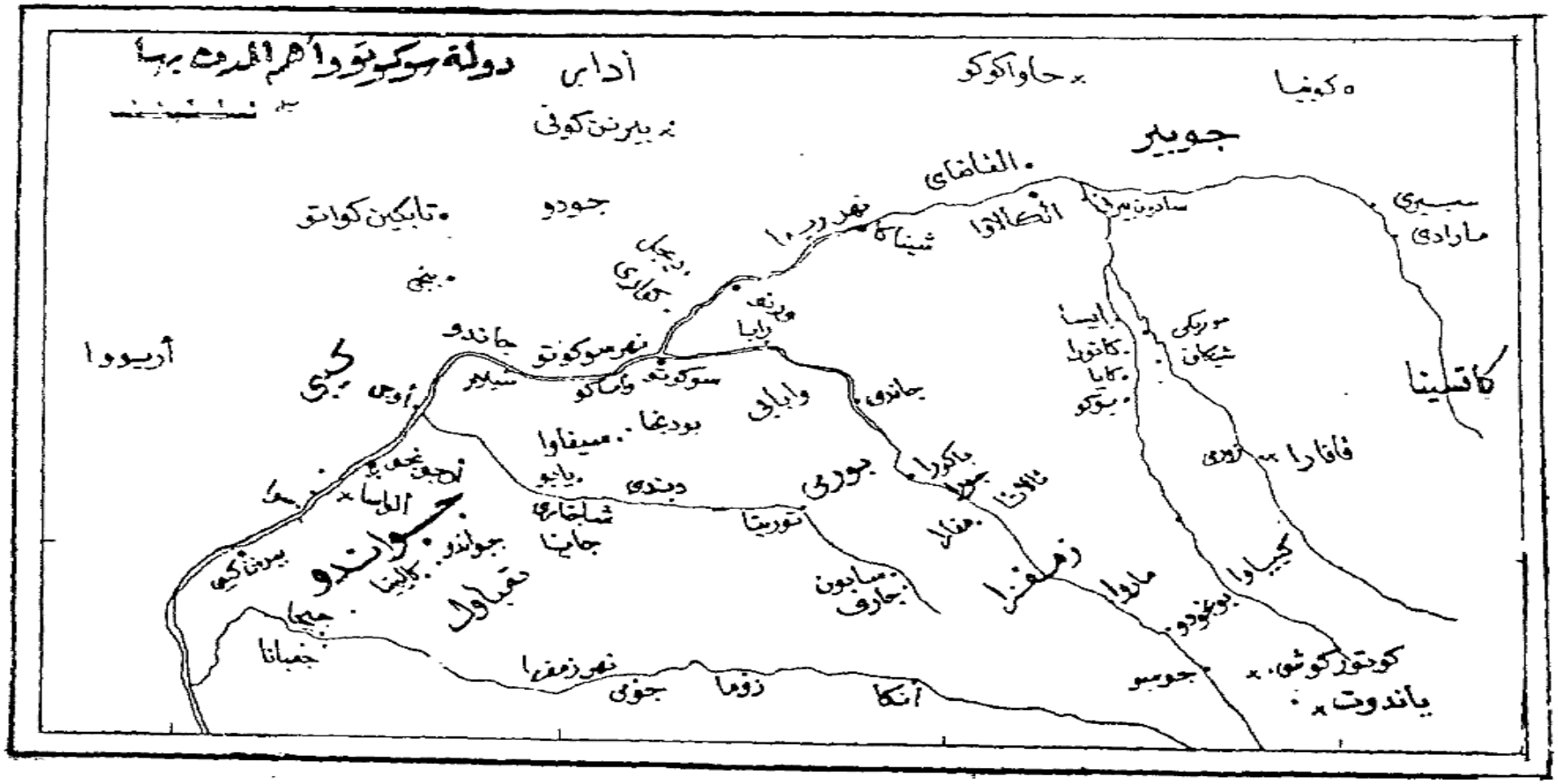

المرجع،الطيب عبد الرحيم:الفلاته في إفريقيا،دار الكتاب الحدبث،ط1994،1،ص 336

الملحق رقم05: جهاد الشيخ عثمان بن فودي.

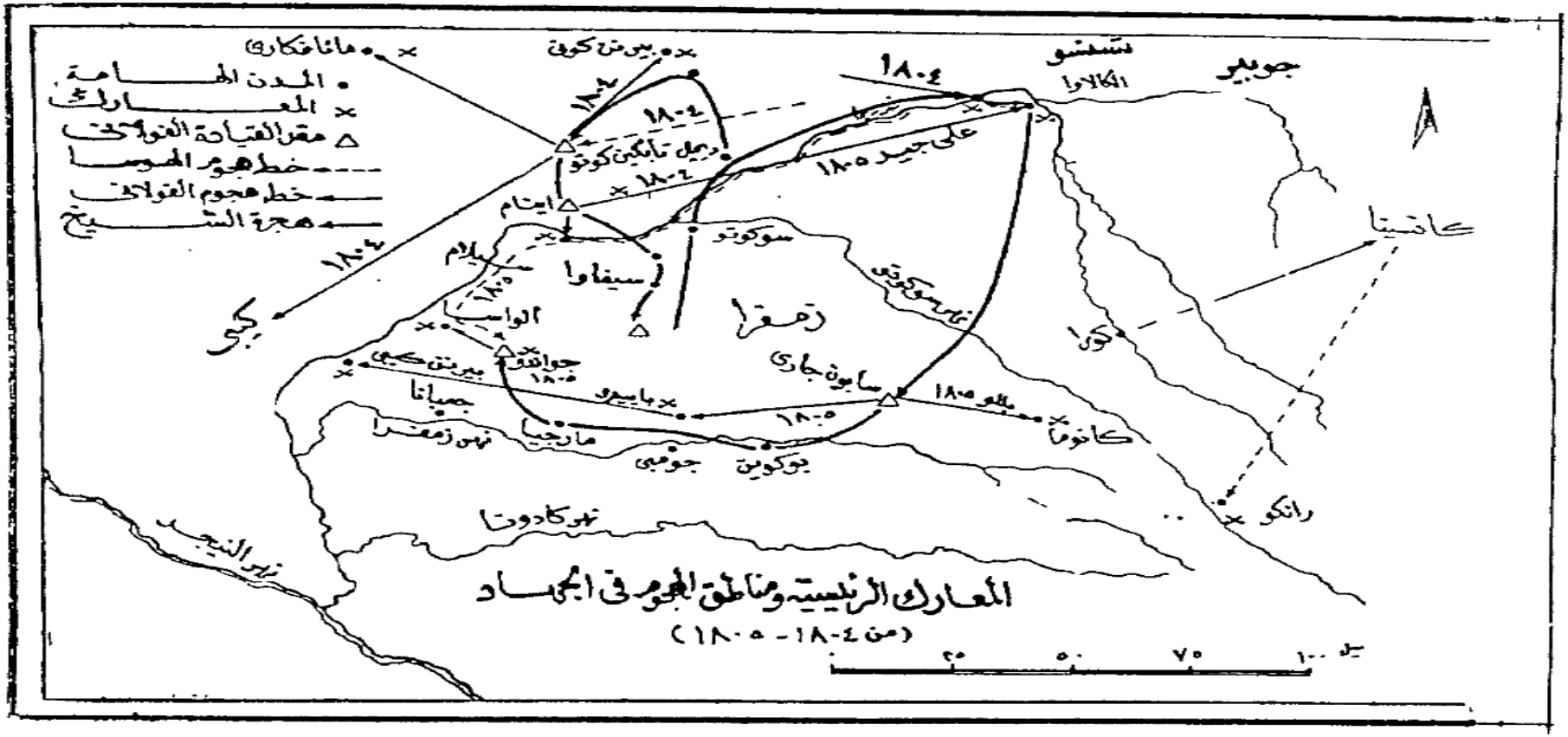

المصدر، الطيب عبد الرحيم، نفس المرجع،ص327.

الملحق رقم 06: سلسلة شيوخ القادرية في افريقيا جنوب الصحراء

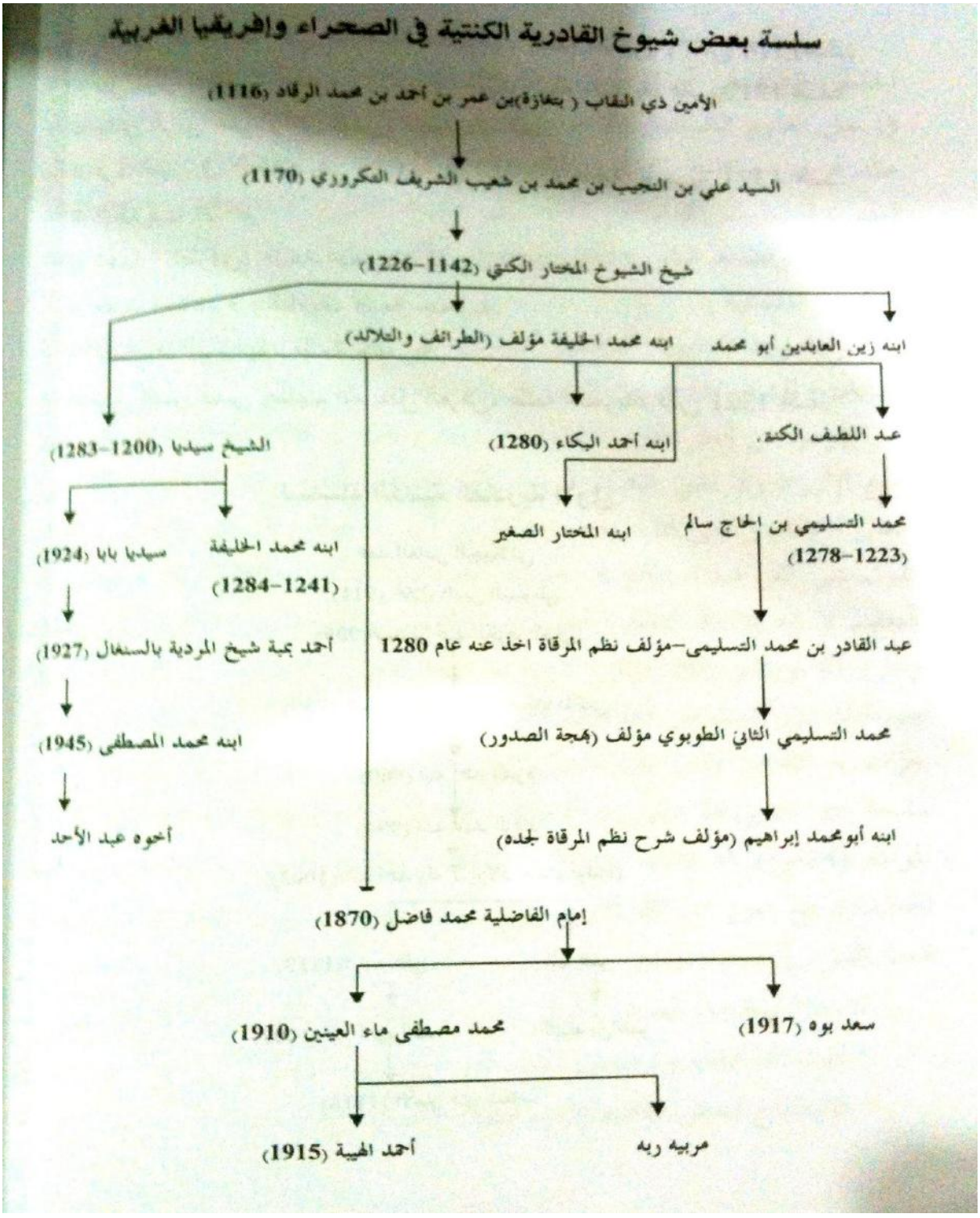

. عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق،ص408.

الملحق رقم07 : السلسلة القادرية للشيخ البكاي .

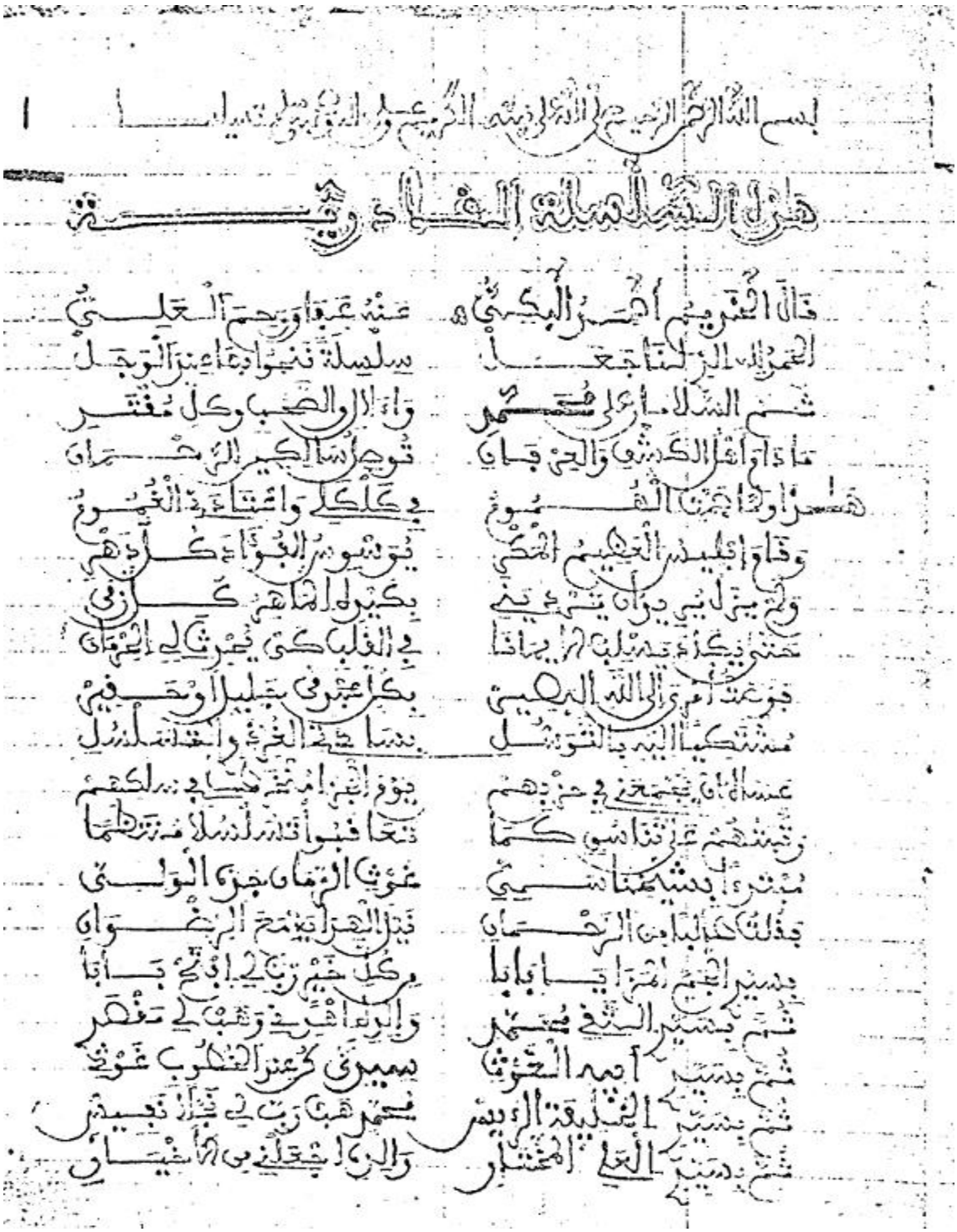

Abdal Aziz Abdallah Batran:Sidi Al-Mokhtar al kunti and the recrudescence of Islam in the Western Sahara and middle Niger 1750-1811 ,thesis subtted to University of Birmingham 1971,p421.

الملحق رقم1/07: السلسلة القادرية للشيخ البكاي .

Abdal Aziz Abdallah Batran ,ibid, p 422

الملحق رقم 2/07: السلسلة القادرية للشيخ البكاي .

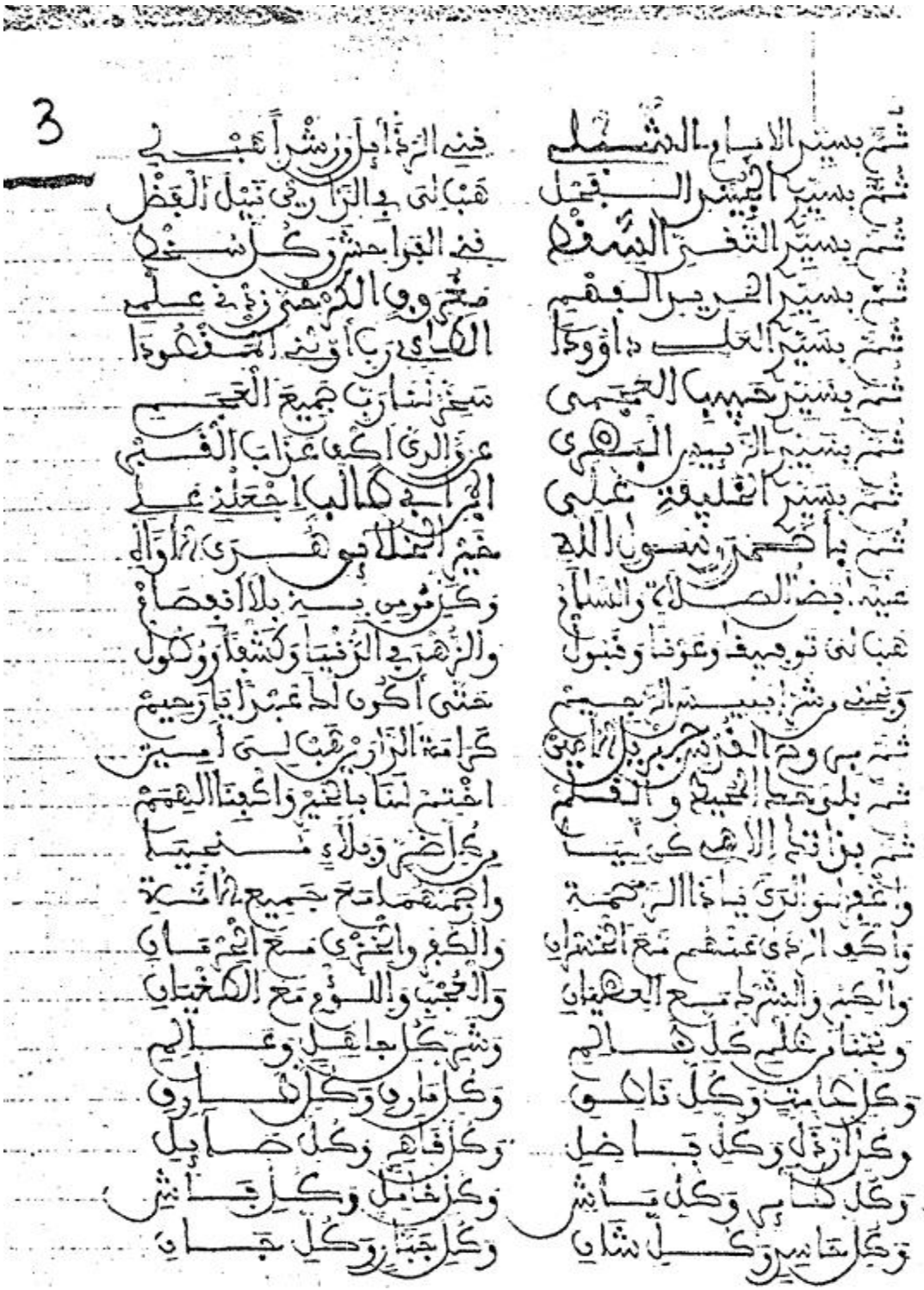

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p423

الملحق رقم3/07: السلسلة القادرية للشيخ البكاي .

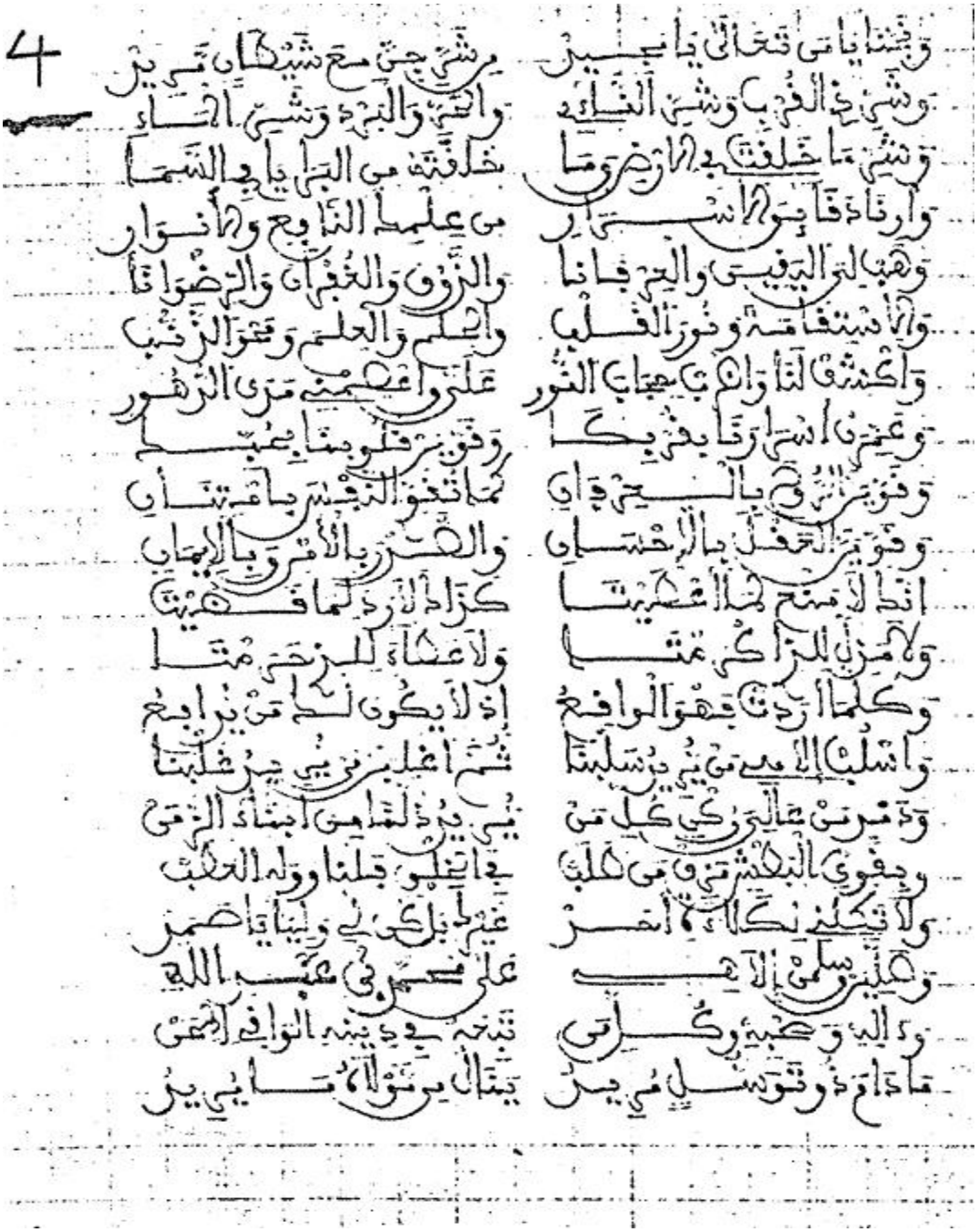

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p423

الملحق رقم08: ورد السلسلة القادرية .

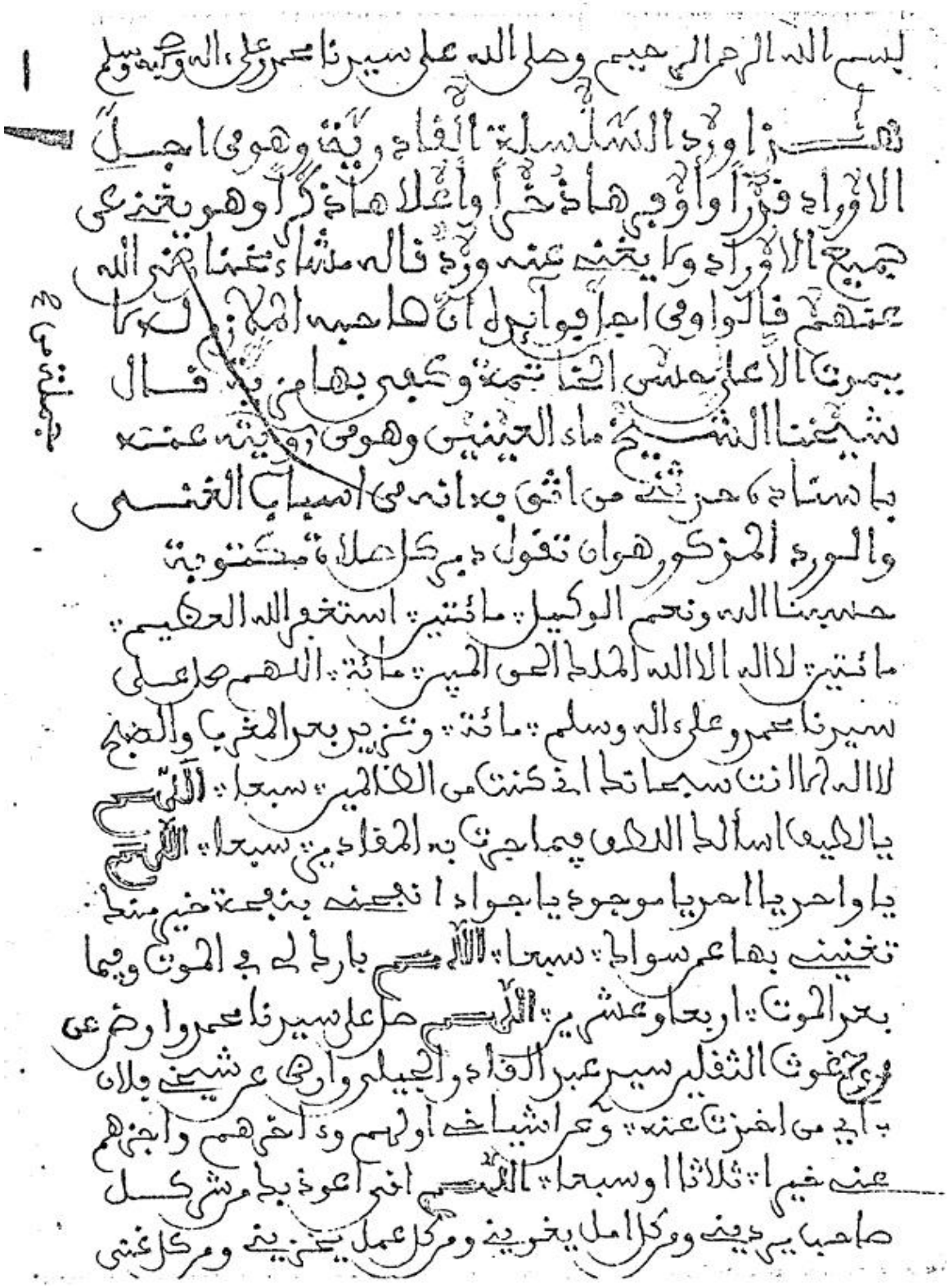

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
هذا ورد السلسلة القادرية وهو من اجل
الاوراد فخرا واوفى بها ذخرا واعلاها ذكرا وهو يغني عن
جميع الاوراد ويغني عنه ورده قال مشايخنا رضي الله
عنهم قالوا وفي اجر قوله ان صاحبه لا يموت
بموت الاعلى حسن الخاتمة ويحيى بها من يشاء قال
شيخنا الشيخ ماء العينين وهو من رويناه عنه
بالسند المتصل من اشرقه وانه من اسباب الغنى
والورد المذكور هو ان تقول في كل صلاة مكتوبة
حسبنا الله ونعم الوكيل مائة مرة استغفر الله العظيم
مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة اللهم صل على
سيدنا محمد وعلى آله وسلم مائة مرة وتزيد بعد المغرب والصبح
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين سبعا سبعا اللهم
يا لطيف اسألك اللطف بما جرت به المقادير سبعا سبعا اللهم
يا واحد يا احد يا موجود يا جواد اغنني بنعمة خير منك
تغنيني بها عمن سواك سبعا سبعا اللهم بارك لي في الموت وفيما
بعد الموت اربعا وعشرين مرة اللهم صل على سيدنا محمد وارض عنا
وعن غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلي وارض عن شيخنا ووالدي
وايمتي من اخذت عنه وعن اشياخه اولهم واخرهم وانفعنا بهم
عنا خيرا ثلاثا او سبعا اللهم اني اعوذ بك من شر كل
صاحب سيء ومن كل امل يخزيني ومن كل عمل يشينني ومن كل غنى

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p415

الملحق رقم1/08: ورد السلسلة القادرية .

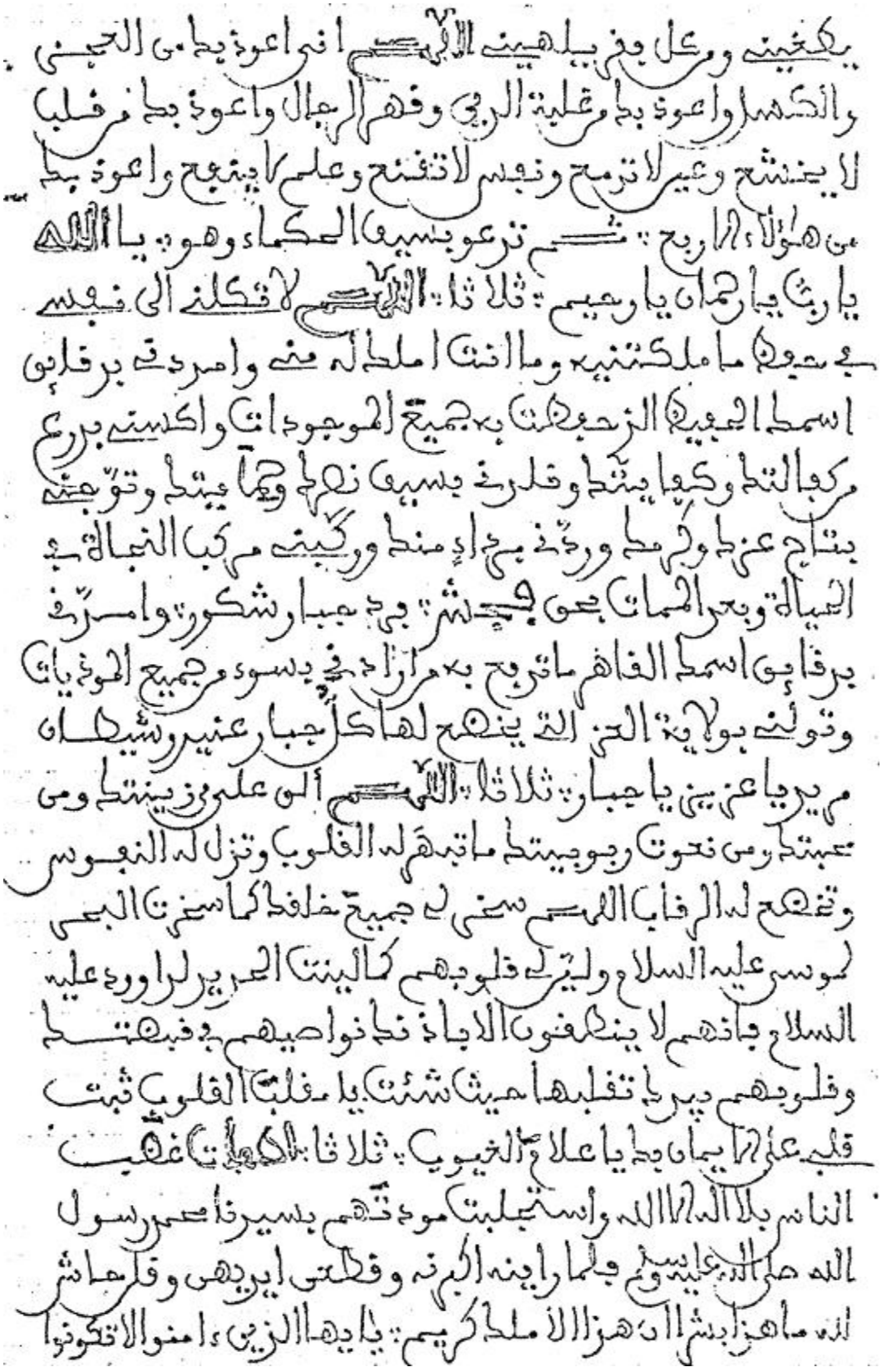

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p416

الملحق رقم2/08: ورد السلسلة القادرية .

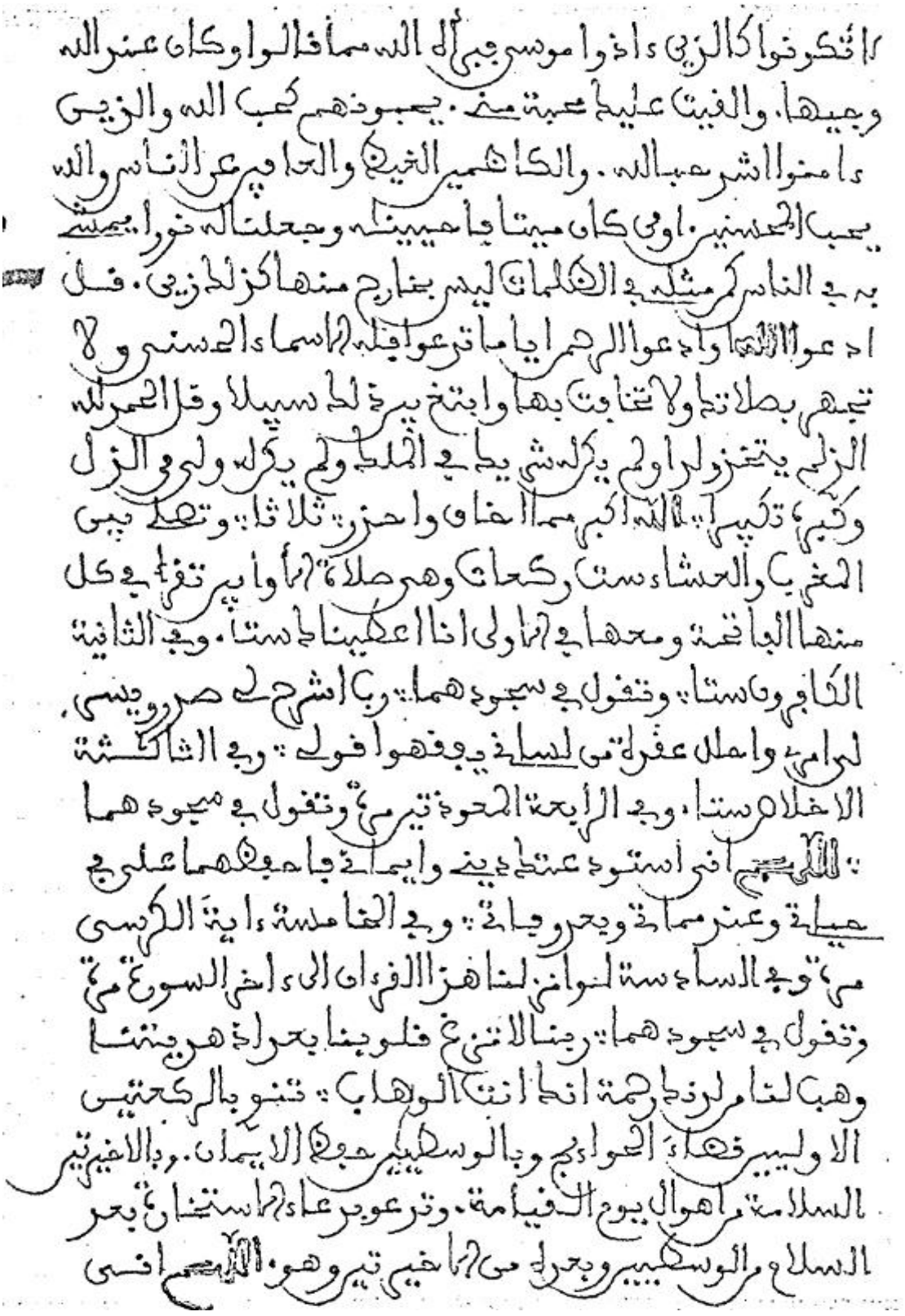

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p417

الملحق رقم3/08: ورد السلسلة القادرية .

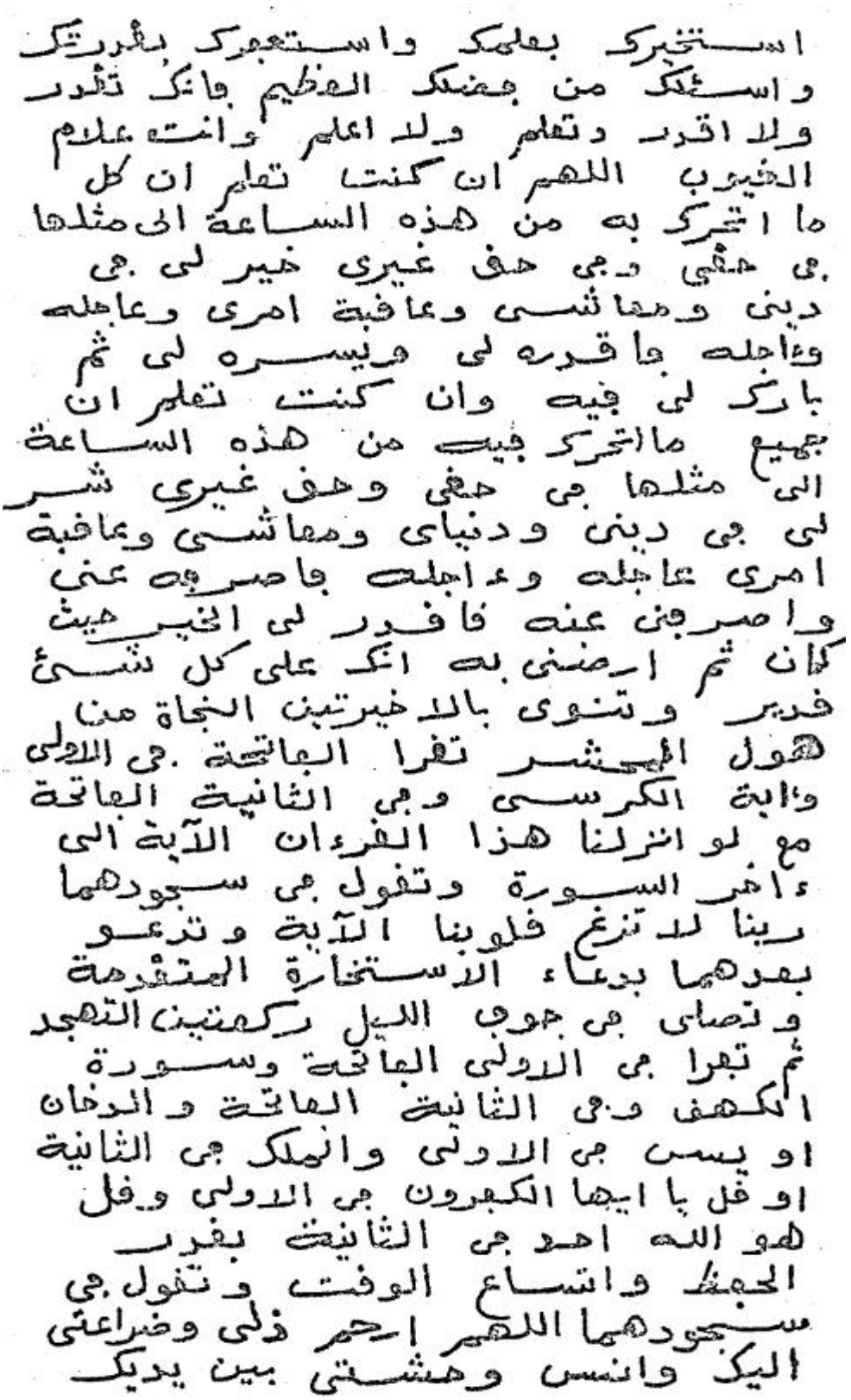
استخيرك بعلمك واستعينك بقدرتك
واسئلك من فضلك العظيم فانك تقدر
ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام
الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان كل
ما اشتركت به من هذه الساعة الى مثلها
في عاجل ديني ومعاشي وعاقبة امري وعاجله
وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم
بارك لي فيه وان كنت تعلم ان
جميع ما اشتركت فيه من هذه الساعة
الى مثلها في عاجل ديني ومعاشي وعاقبة
امري عاجله وآجله فاصرفه عني
واصرفني عنه فاقدر لي الخير حيث
كان ثم ارضني به انك على كل شيء
قدير وتنوي بالركعتين النجاة من
هول المحشر تقرا الفاتحة في الاولى
وآية الكرسي وفي الثانية الفاتحة
مع لو انزلنا هذا القرءان الآية الى
آخر السورة وتقول في سجودهما
ربنا لا تزغ قلوبنا الآية وتدعو
بعدهما بدعاء الاستخارة المتقدمة
وتصلي في جوف الليل ركعتين التهجد
ثم تقرا في الاولى الفاتحة وسورة
الكهف وفي الثانية الفاتحة والدخان
او يس في الاولى والملك في الثانية
او قل يا ايها الكافرون في الاولى وقل
هو الله احد في الثانية بقدر
الجهد واتساع الوقت وتقول في
سجودهما اللهم ارحم ذلي وضراعتي
اليك وانسي وحشتي بين يديك

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p418

الملحق رقم4/08:وردالسلسلة القادرية .

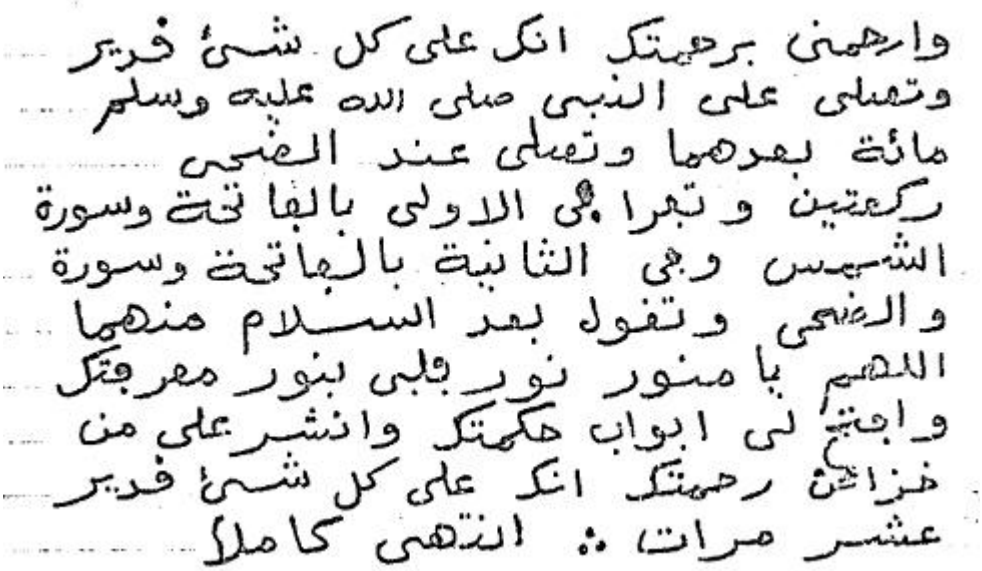
وارحمني برحمتك انك على كل شئ قدير
وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
مائة بعدهما وتصلي عند الضحى
ركعتين و تقرا في الاولى بالفاتحة وسورة
الشمس وفي الثانية بالفاتحة وسورة
والضحى وتقول بعد السلام منهما
اللهم يا منور نور قلبي بنور معرفتك
وافتح لي ابواب حكمتك وانشر علي من
خزائن رحمتك انك على كل شئ قدير
عشر مرات .. انتهى كاملا

Abdal Aziz Abdallah Batran, ibid , p419

ورد السلسة القادرية:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا ورد السلسة القادرية وهو من أجل الأوراد قدراً وأوفرها ذُخْراً وأعلاها ذكراً ، وهو يغني عن جميع الأوراد ولا يُغني عنهُ ورد ، قاله مشائخنا رضي الله عنهم قالوا وفي أجّل فوائدهُ أن صاحبهُ الملازم له لا يموت إلا على حسن الخاتمة وكفى بها مزيّةٌ، قال شيخنا ماء العينين وهو في رويته ،حدثني من أثق به أنهُ من أسباب الغنى ،و الورد المذكور

وهو أن تقول دُبر كُل صلاة مكتوبة حسبُنا الله ونعم الوكيل (مائتين) أستغفر الله العظيم (مائتين) لا إله إلا الله الملك الحق المبين (مائة) .اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (مائة) وتزيد بعد المغرب و الصبح

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (سبعاً) اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير (سبعاً) اللهم يا واحد يا أحد يا موجود يا جواد انفحني بنفحة خير منك تغنيني بها عمن سواك (سبعاً) اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت (أربعاً وعشرين) اللهم صلي على سيدنا محمد وارضىَ على روح غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلي وارضىَ عن شيخي فلان باي من اخذت عنه. وعن أشياخي أولهم وأخرهم واجزهم عني خيرا (ثلاثا أو سبعا) اللهم إني أعوذ بك من شر كُلَ صاحب يرديني ومن كُلَ أمل يغويني ومن كُلَ عمل يخزيني ومن كُل غنى يطغيني ومن كُل فقر يلهيني اللهم إني أعوذ بك من العجز و الكسل واعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال وأعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تقنع وعلم لا ينفع وأعوذ بك من هؤلاء الأربع ثم تدعو بسيف الحكماء وهو:

يا الله يا رب يا رحمان يا رحيم (ثلاثا) اللهم لا تكلني إلى نفسي في حفظ ما ملكتنيهِ وما أنت أملَك لهُ مني و أمودني بدقائق اسمك الحفيظ الذي حفظت به جميع الموجودات واكسني بدرع من كفالتك و كفايتك و قلدني بسيف نصرك و حمايتك و توجني بتاج عزك و كرمك وردّني برداء منك وركبني مركب النجاة في الحياة وبعد الممات بحق فجشٍ فردٍ جبار شكورٍ وامددني بدقائق اسمك القاهر ما تدفع به من أرادني بسوء من جميع المؤذيات وتولني بولاية العز يخضع لها كل جبار عنيد و شيطان

مريد يا عزيز يا جبار(ثلاثا) اللهم ألق ِ علي من زينتك ومن محبتك ومن نعوتِ ربوبيتك ما تَبهرُ لهُ القلوب وتُذَلُّ لهُ النفوس وتخضع لهُ الرقاب ، اللهم سخر لي جميع خلقك كما سخرت البحر لسيدنا موسى عليه السلام وليِّن لي قلوبهم كما لينت الحديد لسيدنا داود عليه السلام فإنهم لا ينطقون إلا بإذنك ، نواصيهم في قبضتك وقلوبهم بيدك تُقلبهُم حيث شئت يا مُقلِّبَ القلوب ثبت قلبي على الإيمان بك ، يا علامَ الغيوب (ثلاثا) أطفأتُ غضب الناس بلا إلهَ إلا الله وأستجلبُ مودتهم بسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأينَهُ أكْبَرنَهُ وقطَّعنَ أيديَنَّ وقُلْنَ حاشى للهِ ما هذا بشراً إنْ هذا إلا ملكٌ كريم ، يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأهُ الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً وألقيتُ عليكَ محبةً مني. يحبونهم كحُبِّ اللهِ و الذينَ آمنوا أشدُّ حُباً للهِ. و الكاظمين الغيظَ و العافينَ عن ِ الناس ِوالله يحبُّ المحسنين .أو مَنْ كان ميتاً فأحييناه و جعلنا لهُ نوراً يمشي به في الناس كمنْ مثلهُ في الظالماتِ ليسَ بخارج منها كذلك زيَّنَ. قلْ ادعوا اللهَ أو ادعوا الرحمنَ أيّا ما تدعوا فَلهُ الأسماء الحسنى ولا تجهرْ بصلاتكَ ولا تُخافتْ بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وقل الحمد للهِ الذي لم يتخذْ ولداً ولم يكن لهُ شريكٌ في الملك ولم يكن لهُ وليٌّ من الذلَّ وكبِّرهُ تكبيراً، الله أكبر مما أخاف و أحذر. (ثلاثا)

وتصلي بين المغرب و العشاء ست ركعات وهي صلاة الأوابين : تقرأ في كل منها الفاتحة ومعها في الأولى إنا أعطيناك الكوثر(ستاً) وفي الثانية الكافرون (ستاً) وتقول في سجودهما (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة ً من لساني يفقهوا قولي) و في الثالثة الإخلاص (ستاً) و الرابعة المعوذتين مرة وتقول في سجودهما (اللهم إني أستودعك ديني و إيماني فأحفظهما علي في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي) و في الخامسة آية الكرسي مرة و في السادسة لو أنزلنا هذا القرآن .. إلى أخر السورة (مرة) وتقول في سجودهما (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

تنو بالركعتين الأوليتين قضاء الحوائج وبالوسطتين حفظ الإيمان. وبالأخيرتين السلامة من أهوال يوم القيامة .

وتدعوا بدعاء الاستخارة بعد السلام من الوسطتين وبعدهُ من الأخيرتين وهو اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم و أنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به من هذه الساعة إلى مثلها في حقي وحق غيري خير لي في ديني و دنياي ومعاشي ومعادي و عاقبة أمري وعاجلهُ و آجله فاقدرهُ لي و يسرهُ لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به من هذه الساعة إلى مثلها في حقي وحق غيري شرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي و عاقبة أمري عاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنهُ واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به إنك على كل شيء قدير وتنوي بالأخرتين النجاة من هول المحشر تقرا الفاتحة في الاولى وأية الكرسي وفي الثانية الفاتحة مع لو انزلنا هذا القرءان الآية إلى اخر السورة و تقول في سجودهما ربنا لا تزغ قلوبنا الآية وتدعو بعدها بدعاء الاستخارة المتقدمة وتصلي في جوف الليل ركعتين التهجد ثم تقرأ في الأولى الفاتحة وسورة الكهف و في الثانية الفاتحة وسورة الدخان أو يَس في الأولى و الملك في الثانية او قل يأيها الكفرون في الاولى وقل هو الله احد في الثانية بقدر الحفظ واتساع الوقت وتقول في سجودهما اللهم ارحم ذُلِّي و ضراعتي إليك وانس وحشتي بين يديك وارحمني برحمتك انك على كل شيء قدير وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعدهما وتصلي عند الضحى ركعتين تقرأ في الأولى بالفاتحة وسورة الشمس في الثانية بالفاتحة وسورة والضحى و تقول بعد السلام منهما اللهم يا منور نور قلبي بنور معرفتك وافتح لي أبواب حكمتك وانشر علي من خزائن رحمتك إنك على كل شيء قدير عشر مرات. انتهى كاملا

الملحق رقم09: وثيقة اهل السودان للشيخ عثمان بن فودي / الصفحة1

A.B.H .Bivar: the wathiqat ahl al-Soudan? A manifesto of the fulani jihad, journal of African history ,vol 2,N 2?1961,p237 .www.jestor.org/stable/179999.date 22/01/2014-17.34

الملحق رقم1/09: وثيقة اهل السودان للشيخ عثمان بن فودي / الصفحة2

A.B.H .Bivare :ibid, ,p238

الملحق رقم2/09: وثيقة اهل السودان للشيخ عثمان بن فودي / الصفحة3

A.B.H .Bivare :ibid, ,p239

الملحق رقم3/09: وثيقة اهل السودان للشيخ عثمان بن فودي / الصفحة4

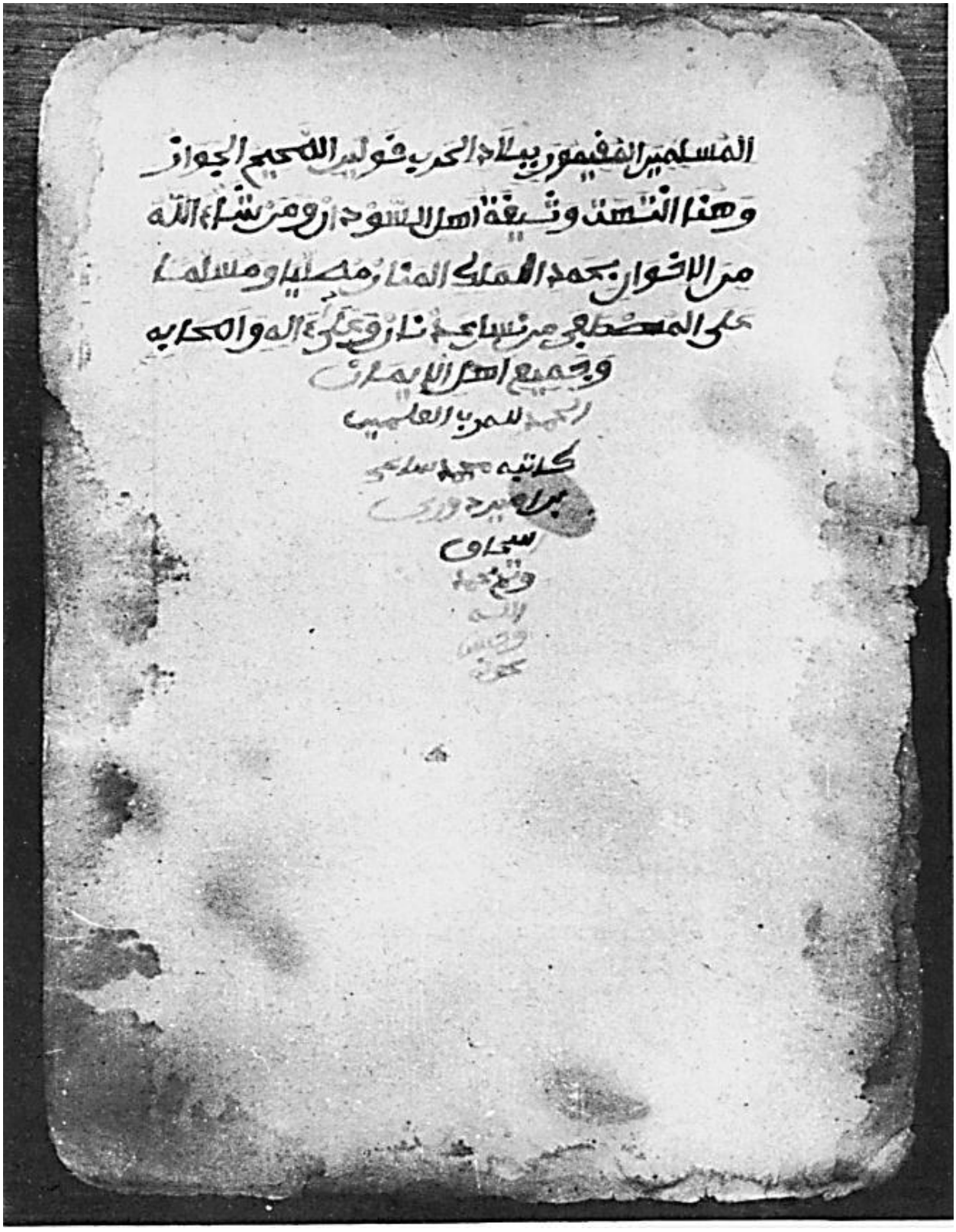

A.B.H .Bivare :ibid, ,p240

وثيقة أهل السودان للشيخ عثمان بن فودي

يسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم تسليما الحمد الله الذي انعم علينا بنعمة الايمان والاسلام، وهدانا بسيدنا ومولانا محمد عليه من الله تعالى افضل الصلاة و ازكى السلام اما بعد فهذه وثيقة من ابن فودي أمير المؤمنين عثمان إلى جميع أهل السودان وإلى من شاء من الاخوان في البلدان، وهي وثيقة نافعة في هذا الزمان فأقول وبالله التوفيق، فأعلموا يا إخواني أن الأمر بالمعروف واجب إجماعًا وان والنهي عن المنكر واجب إجماعًا ،وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعًا، وأن مولات المؤمنين واجبة إجماعا، وان تأمير أمير المؤمنين واجب إجماعًا، وأن طاعته وجميع نوابه واجبة إجماعًا ،وإن الجهاد واجب إجماعًا، وأن تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعًا، وأن تأمير القضاة واجب إجماعًا، وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعًا، وأن حُكْمَ البلد حكم سلطانه إجماعًا ؛إن كان مسلما كان البلد بلد إسلام، وإن كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه، وأن قتال الملك الكافر الذي لا يقول لا إله إلا الله أصلا واجب إجماعًا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال الملك الكافر الذي لا يقول لا إله إلا الله بسبب عرف البلد، ولم يكن يده الاسلام واجب إجماعًا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا،وأن قتال الملك المرتد الذي خرج عن دين الاسلام الى دين الكفر واجب إجماعًا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعًا، وأن قتال الملك المرتد الذي لم يخرج عن دين الاسلام لكونه يدعي الإسلام، ويخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر كملوك حَوْسَ غالبا واجب إجماعًا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعًا، وأن قتال المسلمين من المسلمين الذين لم يكونوا تحت بيعة أمير من أمراء المؤمنين واجبة إجماعًا، إذا دعوا إلى البيعة وأبوا حتى يدخلوا في البيعة ، وأن تكفير المسلمين ببدع الأعمال حرام إجماعًا، وأن تكفير المسلمين بالمعاصي حرام إجماعًا، وأن المقام في بلاد الحرب حرام إجماعًا، وأن عدم الدخول تحت بيعة امير المؤمنين ونوابه حرام إجماعًا، وأن قتال المسلمين الذين كانوا في بلاد المسلمين حرام إجماعًا، وأن أكل اموالهم بالظلم حرام إجماعًا، وأن استرقاق الأحرار من المسلمين حرام إجماعًا سواء كانوا في بلاد الاسلام أو في بلاد الحرب، وأن قتال الكفار أهل الأمان حرام إجماعًا، وأن أكل أموالهم بالظلم حرام إجماعًا، وأن استرقاقهم حرام إجماعًا، وأن قتال جماعة المرتدين واجب إجماعًا، وأن أموالهم فيئ، و أن في استرقاقهم

قولين المشهور المنع، ولا يعمر من فعله إن قد من يقول بجوازه، وان قتال جماعة المحاربين واجب إجماعًا، وان قتال البغاة واجب إجماعًا، وأن أكل أموالهم بالظلم حرام إجماعًا، وأن استرقاقهم حرام إجماعًا، ويستعان بسلاحهم عليهم، ثم يرد لهم، وأن في أموال المسلمين المقيمون ببلاد الحرب قولين، الصحيح الجواز ،وهنا انتهت وثيقة اهل السودان ومن شاء من الإخوان بحمد الملك المنان مصليا ومسلما على المصطفى من ساعدنا وعلى آله وأصحابه وجميع أهل الإيمان الحمد لله رب

الملحق رقم10: وثيقة تبكيات البكاي لبن يركي تلفي التجاني / الصفحة1

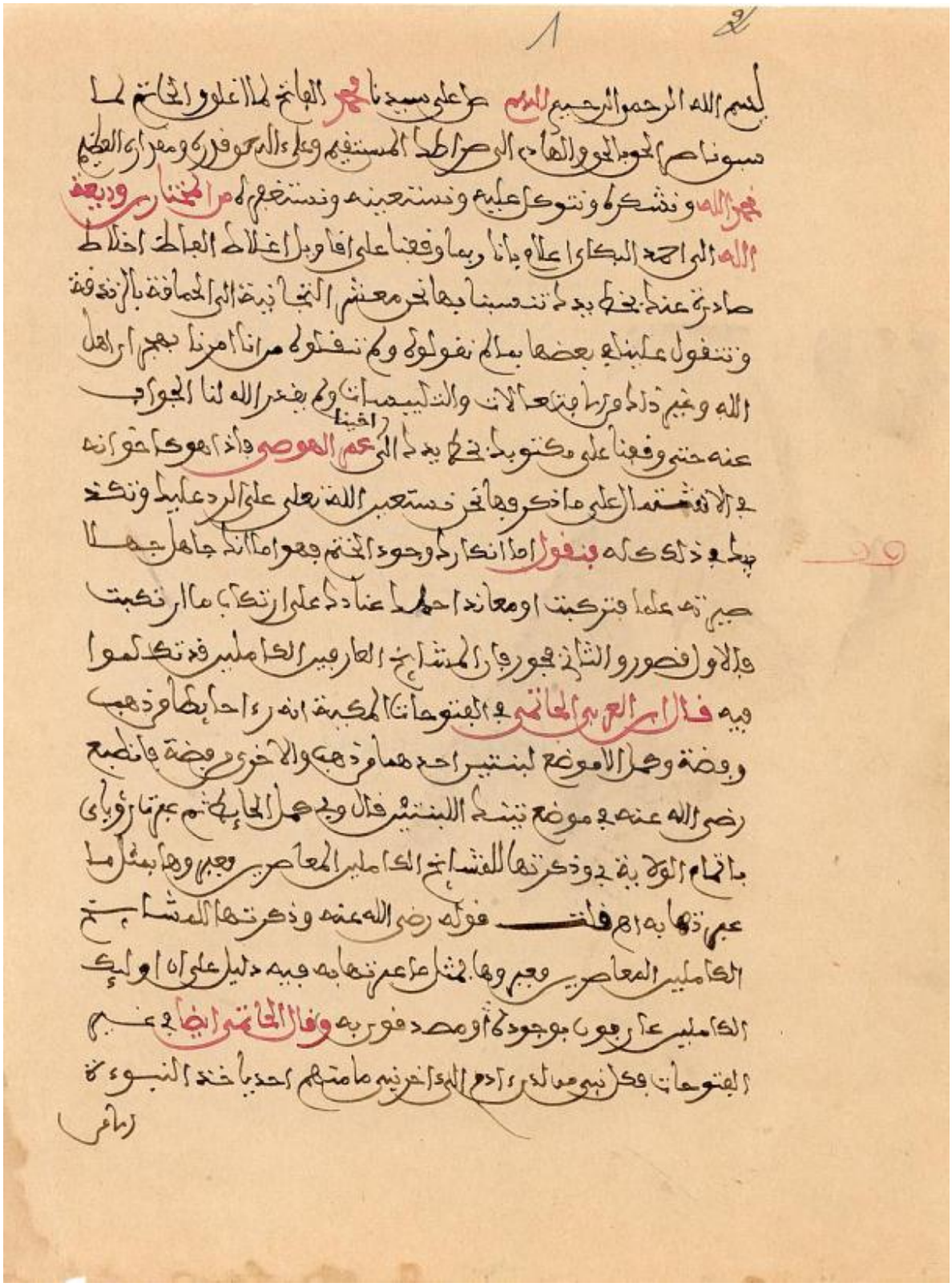

Hamadou Boly ,op.cit,p369

الملحق رقم2/10: وثيقة تبكيات البكاي لبن يركي تلفي التجاني / الصفحة الاخيرة

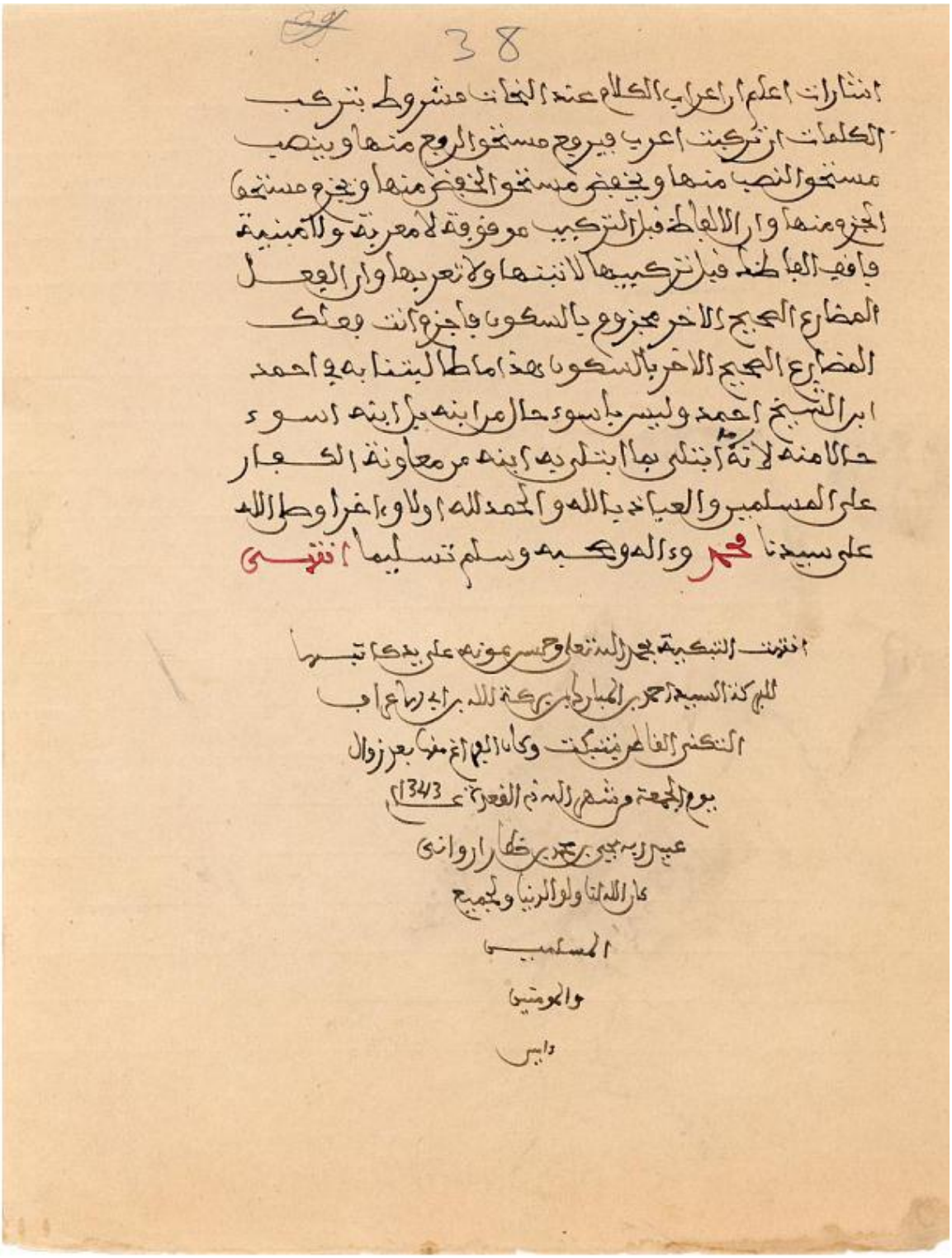

Hamadou Boly ,ibid,p370

وثيقة تبكيات البكاي لبن يركي تلفي التجاني(المختار بن وديعة)/ الصفحة1

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي الى صراط المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ،نحمد الله ونشكره ونتوكل عليه و نستعينه ونستغفره من المختار ين وديعة الله إلى أحمد البكاي إعلام بأنا ربما وقفنا على أقاويل اغلاط ألفاظ اخلاط صادرة عنك بخط يدك تنسبنا بها نحن معشر التجانية الى الحماقة بالزندقة وتتقول علينا في بعضها بما لم نقولوه ولم تقلوه من أن أمرنا بهجران اهل الله وغير ذلك من افتعالاك والتلبيسات ولم يقدر الله لنا الجواب عنه حتى وفقنا على مكتوبك بخط يدك الى اخينا عمر الهوصى فإذا هو كإخوانه في الاشتمال على ما ذكر فها نحن نستعين الله تعلى على الرد عليك تكذيبك في ذلك كله فنقول أما إنكارك وجود الختم فهة إما أنك جاهل جهلا صيرته علما قتركبت أو معاند أحلمك عنادك على إرتكاب ما ارتكبت ، فالأول قصور و الثاني فجور، فإن المشايخ العارفين الكاملين قد تكلموا فيه فقال ابن العربي الحاتمي في الفتوحات المكية انه رءا حائطا من ذهب وفضة وكمل إلا موضغ لبنتين احدهما من ذهب والاخرى من فضة فانطبع رضي الله عنه في موضع تينك اللبنتين قال وبي كمل الحائط ثم عبرت رؤياي بإتمام الولاية بي وذكرتها للمشايخ الكاملين المعاصرين فعبروها بمثل ما عبرتها به أهي قلت قوله رضي الله عنه ، فيه دليل على أن اولئك الكاملين عارفون بوجوده أو مصدقون به و قال الحاتمي أيضا في غير الفتوحات فكل نبي من لدن آدم إلى أخر نبي ما منهم أحد يأخذ النبوءة

الصفحة الاخيرة

إشارات اعلم ان اعراب الكلام عند النحات مشروط بتركب الكلمات أو تركبت اعراب فيرفع مستحق الرفع منها وينصب مستحق النصب منها يخفض مستحق الخفض منها ويجزم مستحق الجزم منها وأن الالفاظ قبل التركيب موقوفة لا معربة ولا مبنية واقف الفاظك قبل تركيبها لا تبنيها ولا تعربها وان الفعل المضارع الصحيح الاخر المجزوم بالسكون فأجزم انت فعلك المضارع الصحيح الاخر بالسكون هذا ما طالبتنا به في أحمد بن الشيخ أحمد وليس باسوء حال من ابنه من معاونة الكفار على المسلمين والعياذ بالله والحمد الله اولا واخرا وصلي الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الملحق رقم11: رسالة لأهل ماسينا للشيخ عمر الفوتي التجاني

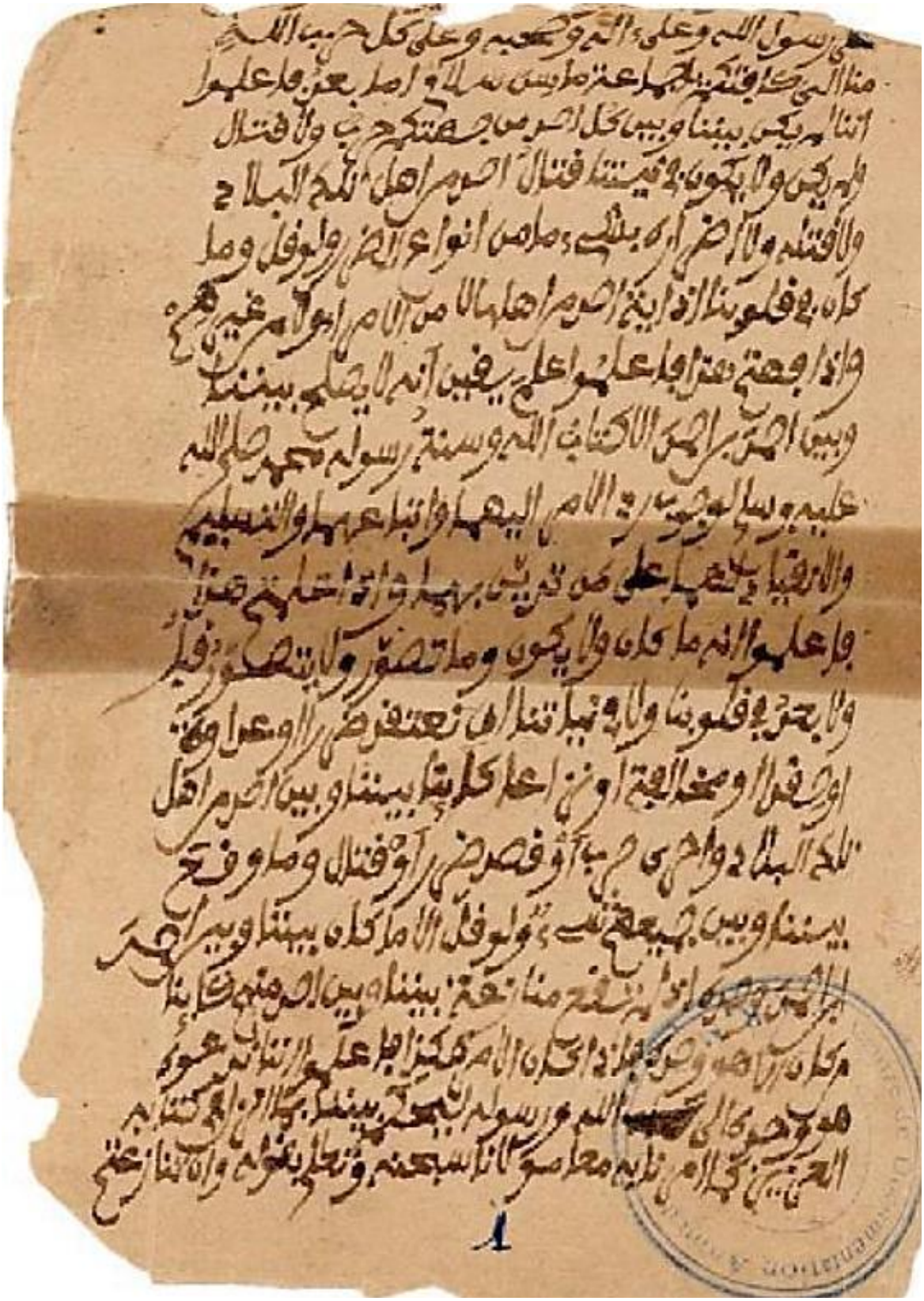

Hamadou Boly ,op.cit,p366

رسالة الشيخ عمر الفوتي لأهل ماسينا

صلى على رسول الله وصحبه و على كل حزب الله

منا الى كافة جماعة ماسن سلام أما بعد فاعلموا اننا لم يكن بيننا وبين كل احد من جهتكم حرب و لا قتال ولم يكن ولا يكون في نيتنا قتال احد من اهل تلك البلاد ولا قتله ولا إضراره بشيء ما من انواع الضرر ولو قل وما كان في قلوبنا أذية احد من أهلها لا من الامراء ولا من غيرهم وإذا فهمتم هذا فاعلموا علم اليقين انه لا يصلح بيننا وبين أحمد ابن أحمد إلا كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لوجوب رد الامر اليهما واتباعهما و التسليم و الانقياد لهما على من تدين بهما واذا علمتم هذا فاعلموا انه ما كان ولا يكون وما تصور ولا يتصور قبل ولا بعد في قلوبنا ولا في نياتنا أن تنعقد ضررا او عداوة أو حقد أو مخالفة أو نزاعا كان بيننا وبين جميعهم شيء ولو قل إلا ما كان بيننا وبين أحمد بن احمد وحده إذ لم تقع منازعة بيننا وبين احد منهم كائن من كان إلا هو وحده فإذا كان الأمر كذلك فاعلموا أننا ندعوه هو وحده إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بيننا بما انزل في كتابه العزيز مولانا سبحانه وتعالى بقوله وأن تنازعتم

الملحق رقم12: وثيقة بغية الأَلف في جواب ابن يركي تلفي التجاني للشيخ احمد البكاي

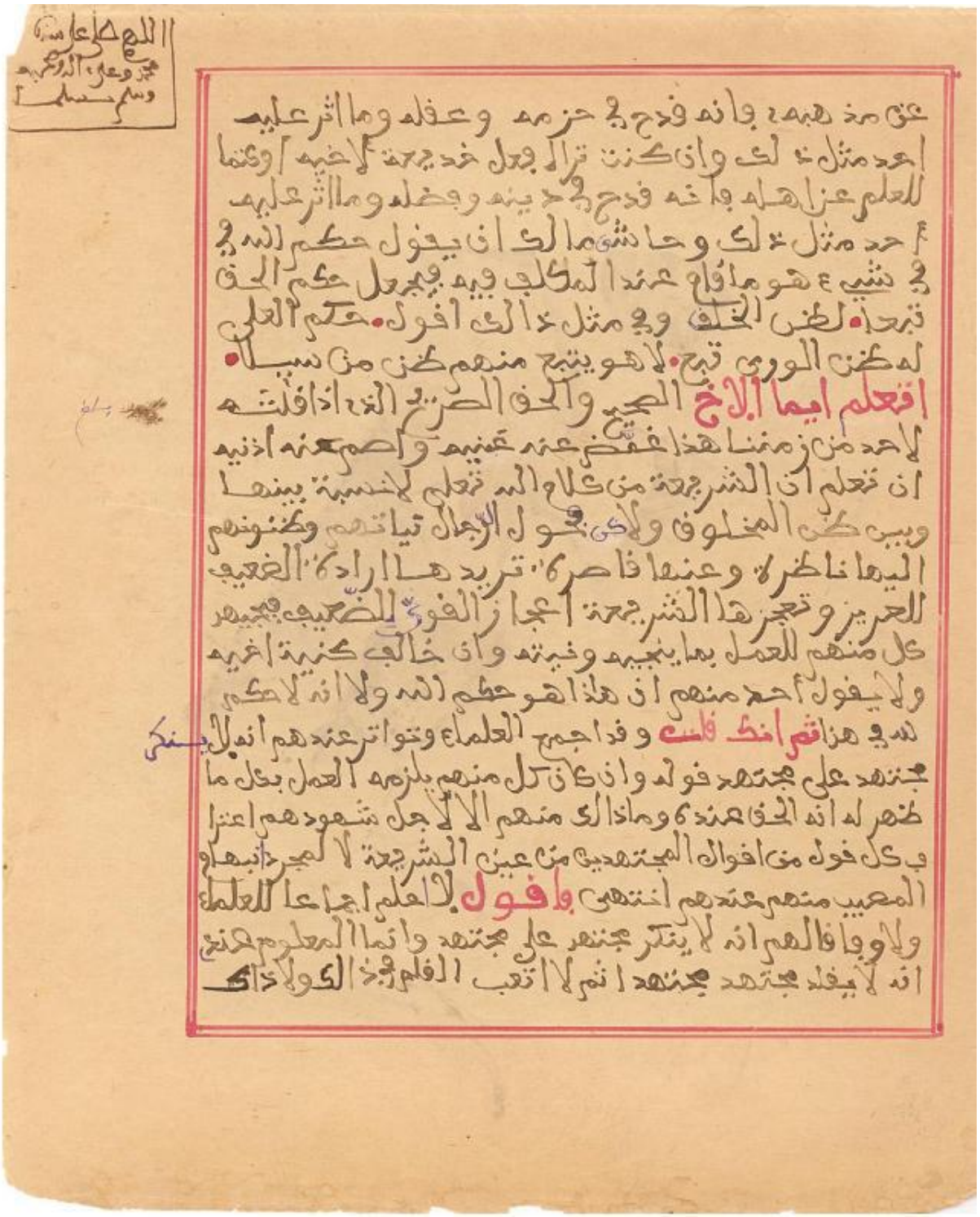

Hamadou Boly ,op.cit,p362

الملحق رقم13: وثيقة القصيدة النونية ملحق بوثيقة بغية الألف في جواب ابن يركي تلفي التجاني للشيخ احمد البكاي

Hamadou Boly ,op.cit,p362

تثبيت المصادر والمراجع

– **القرآن الكريم** :برواية حفص عن عاصم

1– المصادر:

1– أبو اسحاق ابراهيم الإصطخري : مسالك الممالك، مطبعة بريل ، ليدن ، 1870

2– إبن بطوطة أبو عبدالله محمد اللواتي الطنجي : **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار و عجائب الاسفار**، ج2 المكتبة التجارية الكبيرة، مصر ، 1958م،.

3– إبن حوقل : **صورة الأرض** ،ج1، دار مكتبة الحياة ، 1996.

4– أبو فارس عبد العزيز الفشتالي : **مناهل الصفاء في مآثر الشرفاء**، تح، عبد الكريم كريم، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972

5–أبو الحسن بن سعيد المغربي:**كناب الجغرافيا** ،تح اسماعيل العربي ،المكتب التجاري للطباعة ط1،بيروت ،1970

6– أبو العباس احمد القلقشندي: **صبح الأعشى في كتابة الانشاء**، ج5 ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ،1910.

7– أبو الفضل جمال الدين ابن منظور : **لسان العرب**، م2، دار صادر بيروت، دت

8– أبو عبيد البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857

9– أحمد بابا التنبكتي :**نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تق عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ،طرابلس ،ط1 ،1989م.

10– الحافظ بن كثير:**البداية والنهاية**، تح، محمد تامر وآخرون، دار البيان العربي،القاهرة، م6، 2006

11- الحسن الوزان : **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983 .

12- الدمشقي شمس الدين بن عبد الله : **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطربورغ، 1865.

13- بن سباهي زاده :**اوضح المسالك في معرفة الممالك** ، تح، المهدي عيد الرواضية ، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 2006.

14- - شمس الدين الذهبي :**سير أعلام النبلاء**، تح، شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج20، مؤسسة الرسالة، ط1،1985.

15- شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي :معجم البلدان ،مج 2 ،دار صادر بيروت، 1977.

16- شهاب الدين بن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح، كامل سلمان الجبوري، ج 4، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1،2010.

17-عبد الرحمن بن حسن الجبرتي :**عجائب الآثار فب التراجم والأخبار** ،تح عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن ،ج1، دار الكتب المصرية،القاهرة،1997.

18-عبد الرحمن السعدي : **تاريخ السودان**، تح، هوداس، مكتبة أمريكا والشرق آدريان، باريس، 1981.

19-عبد القادر الجيلاني : **الغنية لطالب طريق الحق**، تق، محمد خالد عمر، دار إحياء التراث العربي،ج2، لبنان، ط1، 1996.

20- عبد القادر الجيلاني : **سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار**، تح، خالد محمد عدنان الزرعي وآخرون، دار السنابل، ط2، 1993

21- علي حرازم الفاسي: **جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، المطبعة المحمودية، ج1، مصر، ط1 ،1318هـ .

22- محمد الأمين شوب الدغاني : **إرواء النديم من عذب حب الخديم**، تح، محمد شقرون، مؤسسة الأزهر الإسلامية، السينغال، 2006.

23- محمد بن عبد الكريم المغيلي : **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تح، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر للتوزيع الجزائر، 1974م

24- محمود كعت : **تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تر : هوداس، مطبعة بردين أنجي، 1930.

25- مرمول كرباخ : **إفريقيا**، تر، محمد حجي آخرون،ج1، مكتبة المعارف، الرباط ، 1983.

26- نور الدين ابي الحسن علي بن يوسف الشنطوفي : **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار** ، تح، جمال الدين فالح الكيلاني، الطبعة الماجستيرية، بغداد، 2010.

27- يوسف بن يحي التادلي : **التشوف الى رجال التصوف**، تح، أحمد التوفيق ،منشورات كلية الآداب، الرباط 1997.

2- المراجع باللغة العربية :

1- أحمد الأزمي : **الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي**، ج1،ج2،ج3. ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المغرب، 2000م

2- احمد الحمدي : **المختار الكبير الكنتي التصوف والعلم بأزواد إفريقيا**، منشورات البيت ، الجزائر ،2009

3- أحمد بن أمين الشنقيطي: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مطبعة المدني، القاهرة، ط4، 1984م

4 - أحمد بوعتروس: **الحركة الاصلاحية في افريقيا جنوب الصحراء ابان القرن الثالث عشر/ التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى ،الجزائر،2009،

5 - أحمد شكري : **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1220م–1430م)**، المجمع الثقافي أبو ظبي، ط1، 1999م

6- أحمد شلبي : **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ج6، مكتبة النهضة المصرية، ط4،مصر، 1983.

7- أحمد نجم الدين فليجة:**إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د ت

8- آدم عبد الله الألورى : **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفُلاني**، ط2، د ن، 1971

9- آرنولد توماس : **الدعوة إلى الإسلام**، تر، حسن إبراهيم حسن، القاهرة، النهضة المصرية، 1984

10- الهادي المبروك الدالي : **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.

11- الهادي المبروك الدالي: **التاريخ الحضاري لإفريقيا في ما وراء الصحراء في نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر**، اكاديمية الفكر الجماهيري ،بنغازي ،2010.

12- إلهام محمد علي ذهني: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، 1850-1941**، دار المريخ، الرياض، 1988،

13- أنور عبد الغني العقاد : **الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية**، دار المريخ، الرياض، 1982

14- جمال الدين الدناصوري :**جغرافية العالم دراسة إقليمية (إفريقيا أستراليا)**،ج2، مكتبة الأنجلو مصرية 1979.

15 - جوزفين كام : **المستكشفون في إفريقيا**، تر، السيد يوسف نصر وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1983

16- حسن عيسى عبد الظاهر : **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفُلاني**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1،1991

17-حسين مؤنس : **الإسلام الفاتح**، كتاب دعوة الحق، منشورات رابطة العالم الإسلامي، دت

18-حوتية محمد الصالح : **توات والأزواد خلال القرنين 18-19م**،ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007،

19- حوتيه محمد الصالح : **آل كنتة**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2008.

20- الخليل النحوي : **بلاد شنقيط الرباط والمنارة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987 .

21- دانيس بلولوم : **الحضارات الإفريقية**، تر : علي شهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974

22- رجب محمد عبد الحليم :**الموسوعة الافريقية** ، مجلد2، جامعة القاهرة ، 1997

23-رفيق العجم : **موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي**، مكتبة لبنان، بيروت،ط1، 1999

24- زكريا بن محمد بن محمود القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر ،بيروت 1960،

25- س هوارد :**أشهر الرحلات في غرب إفريقيا**، تر، عبد الرحمان عبد الله، ج1، الهيئة المصرية للكتاب، 1996.

26- سبينسر ترمنجهام : **الفرق الصوفية في الإسلام**، تر، عبد القادر البحراوي: دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994.

27- شوقي الجمل : **تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها**، القاهرة، 1971

28- شيخنا امباكي عبد الودود: **العمل والخدمة في المريدية** ، مقال ضمن كتاب دراسات حول المريدية ، تنسيق، احمد بدوي امباكي، منشورات روض الرياحين السنغال ،2010

29- عامر صمب : **الادب السنغالي العربي**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979.

30- عبد الباقي مفتاح :**اضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته** ، دار الهدى الجزائر،2008.

31- عبد الرحمن زكي : **الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا**، القاهرة، مطبعة يوسف.

32- عبد الرحمن عمر الماحي : **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا الواقع والمستقبل**، د م ج الجزائر 1992

33 عبد الرحمن ميغا:**الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن13 هـ** منشورات وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 2011.

34- عبد العزيز بنعبد الله:**معلمة التصوف الإسلامي**، ج2 ،دار نشر المعرفة، الرباط،ط1، 2001

35- عبد العلي الودغيري : **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2010.

36- عبد القادر التليدي : **المطرب بمشاهير اولياء المغرب** ،دار الامان ،الرباط، ط4،2003.

37 - عبد القادر المحيشي وآخرون : **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، الدار الجماهرية للنشر ، ليبيا، ط1، 2000

38- عبد القادر زبادية : **الحضارة العربية والتأثير الاوربي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989

39- عبد القادر زبادية : **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، د م ج، الجزائر 2000.

40-عبد القادر زباديه:**مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر.

41- عبد الله سالم بازينة : **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، جامعة 7 أكتوبر، ط1،مصراته، ليبيا،2010.

42- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم وشوقي الجمل : **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1989.

43- عبدالله عبد الرزاق ابراهيم: **اضواء الطرق الصوفية في القارة الافريقية** ،مكتبة مدبولي 1990.

44- عبد الله مقلاتي و رموم محفوظ : **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، دار الشروق ،ط1، 2009.

45- عثمان برايما باري : **جذور الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين، ط1،القاهرة، 2000 .

46- عطيه مخزوم الفيتوري : **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**، منشورات جامعة قار يونس، ط1، ليبيا، 1998

47- فيج جي دي : **تاريخ غرب إفريقيا**، تر، السيد يوسف نصر، دار المعارف، ط،1مصر ، 1982

48-ك.ماداهو بانيكار:**الوثنية والإسلام**، تر،أحمد فؤادبليغ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998.

49- لوتروب ستودارب : **حاضر العالم الإسلامي**، تر، عجاج نويهض، تعليق، شكيب ارسلان، مج2،دار الفكر، ط4، 1973 .

50- مبروك مقدم: **الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2006

51-محمد أحمد درنيقة : **الطريقة القادرية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2009.

52- محمد المرتضى امباكي شيخ فاط فال : **المريدية الحقيقة و الواقع و افاق المستقبل**، مؤسسة الازهر الاسلامية ، السنغال،2011

53- محمد باي بالعالم : **إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة الفلان في جنوب الجزائر**، 2007.

54- محمد باي بلعالم: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الاعلام و الأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**،ج2، دار هومة ،الجزائر ،2005

55- محمد خالد ثابت:**من اقطاب الامة في القرن العشرين**،دار المقطم للنشر،القاهرة،ط2 2009،

56- محمد سعيد القشاط : **صحراء العرب الكبرى** ، دار الرواد، ليبيا، ط1، 1994

57-محمد صبحي عبد الحكيم :**دراسات في الجغرافيا العامة**، دار النهضة العربية، 1980.

58- محمد عوض محمد : **الشعوب والسلالات الإفريقية**، الدار المصرية للنشر، مصر، 1965.

59-محمد غلاي انجاي : **المريدية و مؤسسها نبذة تاريخية** ، مقال ضمن كتاب دراسات حول المريدية ، تنسيق احمد بدوي امباكي، منشورات روض الرياحين السنغال ،2010

60-محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه : **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.

61-محمد مرسي الحريري : **جغرافية القارة الإفريقية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994

62- مهدي رزق الله أحمد : **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وأثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط1،الرياض، ،1998

63- نبيلة حسن محمد : **في تاريخ إفريقيا الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009

64- نعيم قداح : **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر، 1975.

65- نورة بنت معجب الحامد : **دعوة الشيخ عثمان بن فودي بنيجيريا 1202هـ-1788م وتأثرها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية**، كلية الآداب جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2007.

66- يحي بو عزيز : **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م**،دار هومة، الجزائر، 2001.

67- يحي شامي: **موسوعة المدن العربية والاسلامية**، دار الفكر العربي ،بيروت،1993

68-يوسف روكوز : **إفريقيا السوداء سياسة وحضارة**، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1986.

3-المراجع باللغة الاجنبية :

1-Elisée Reclus : Earth and its in habitants (Africa, v3, west Africa), appleton and company, 1892.

2-Le Chatelier A:L'islam dans L' Afrique occidentale, G. Steinheil.

Editeur, Paris, 1899.

3- Louis Rinn: Marabouts et Khouan(étude l' islam en Algérie) Adolphe Jourdan libraire, éditeur, 1884.

4- Maurice Delafosse : La noirs de l' Afrique, Payot, Paris, 1922

5- Mungo Park : voyage dans l' intrieur de L' Afrique fait (1795-1796-1797) Tr, j castéra, T1, Tavernier, Libr, Paris,

6- Paul Marty : études sur l'islam ,et les tribus du soudan, T1,

Edition Ernest lourex, Paris 1920

7- Paul Marty : L' islam Maure, Paris, Ernest Leroux éditer, 1916

8- Shamil Jeppie and Souleymane Bachir Diagne : The Meaning of Tumbukto,published by ,HSRC, Press, fp, South Africa, 2008.

9- Spencer Trimingham : Islam in West Africa ,oxford ,at the CLarendon Press ,1959.

10- Surret Canale (J) : l'Afrique noire géographie et civilisation Paris .Editions sociales.1961.

4- الندوات والملتقيات:

1- إدريس بن خويا : **واقع الطرق الصوفية بإقليم توات بين المرجعية المعرفية والممارسة العملية**، الملتقى الدولي (التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة)، جامعة أدرار، ع1، ج2،المطبعة العربية، غرداية ، 2009،

2- محمد الظريف : **الفاضلية ودورها في تعميق التواصل داخل إفريقيا**، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية جانبي الصحراء، تقديم، عبد الحميد عبد الله المراحة، منشورات كلية الدعوى الإسلامية، طرابلس، ط1، 1999.

5- الرسائل الجامعية باللغة العربية:

1- الطاهر بونابي : **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8هـ – 9هـ / 14–15م**، أطروحة دكتورة في التاريخ الاسلامي الوسيط ، إشراف عبد العزيز فيلالي ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ،2008-2009

2- المختار ولد محمد : **الطريقة الصوفية في موريطانيا وموقفها من الاستعمار الفرنسي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف : بن يوسف التلمساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2010، 2011

3- حسين جاجوا : **حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن 19**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994

4- خنقوف إسماعيل : **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس، 1844-1931**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة باتنة، إشراف صالح فركوس 2011-2010،

5- زهرة مسعودي : **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م-20م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد الكريم بو الصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 2009-2010.

6- سرين امباكي فال: **الخدمة عند الشيخ الخديم بين النظرية و التطبيق** ،دراسة لنيل شهادة المتريز، اشراف احمد تيجان جالو، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة شيخ انت جوب، السنغال ،العام الجامعي2008-2009.

7- عطية عبد الكامل: **التحولات السياسية والاقتصادية في السودان الغربي (1750-1920)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بن يوسف التلمساني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

8- علي بدوي علي سلمان : **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريطانيا (1903-1960)**، رسالة الماجستير، إشراف عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 2003.

9- محمد الداه احمد : **القادرية في موريطانيا** ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ، اشراف عبد الشكور محمد امان العروسي قسم العقيدة، كلية اصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، 1412هـ

10- مصطفاوي سعاد : **الطريقة القادرية في غرب إفريقيا بين القرنين 14م و 18م** ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في دراسات إفريقيا، إشراف بن يوسف تلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر، 2010م

6- الرسائل الجامعية باللغة الاجنبية:

1-Boubakar Aliu Gwandu : Abdullahi B, Fodio As A Muslim Jurist, Thesis for the degree of doctor of Philosophy, faculty of Arts, University of Durham, 1977

2-Hamadou Boly : le soufisme ou Mali du 19 siècle à nos jours, thèse doctorat, dirigée par Geoffroy Eric, Ecole doctoral des humanités, Université de Strasbourg, 2013

7 – المجلات :

أ- مجلة الجامعة الاسمرية:

- أحمد إلياس حسين : **دور الصوفية في المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء (9-13هـ) (15-19م) السودان نموذجًا**، ليبيا، السنة الثالثة ،العدد الرابع.

ب- مجلة الراية:

- محمد عبد الرحمان : **المحاضر الموريطانية قلاع العالم الصامدة في أعماق الصحراء**، النسخة الإلكترونية www.raya.com

ج- مجلة قراءات افريقية:

-علي يعقوب:**جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الاسلامية والعربية غرب افريقيا نموذجا**،العدد 3، المنتدى الاسلامي ،ديسمبر2008.

-علي يعقوب:**حياة الشيخ احمد حمدي لبو ودولته الاسلامية في ماسينا**،العدد 8 ، المنتدى الاسلامي أفريل جوان ،2011 .

-علي يعقوب: **الخلافة العثمانية في سكت ودورها في غرب إفريقيا**،العدد 11، المنتدى الاسلامي، جانفي-مارس 2012

د- مجلة دعوة الحق:

- علي كلطغ ديالو : **الثقافة الإسلامية في إفريقيا**، مجلة دعوة الحق، العدد26 وزارة الأوقاف، المغرب ، اوت 1987.

هـ- مجلة كلية الدعوة:

- محمد مسعود جبران : **التفاعل العقدي والحضاري بين الغرب الإسلامي والسودان الأوسط والغربي**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 22،طرابلس ، 2005.

و- مجلة عالم الفكر:

-عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **التراث الحضاري لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر**، وزارة الأعلام الكويت، العدد 4، أفريل جوان 1993.

ز- مجلة الازهر:

- عباس محمد جلال: **التعليم الاسلامي في افريقيا**، مجلة الازهر ، ج7، السنة37. القاهرة 1385هـ

ح- مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية:

- أبوبكر ميغا: **دعوة الامام المغيلي العلمية و الاصلاحية في السودان الغربي اواخر القرن التاسع اوائل القرن العاشر الهجريين واثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية بالمنطقة،** الرياض العدد 7، اكتوبر 1992

ك- مجلة الدراسات الافريقية:

- السعيد البدوي : **إفريقيا الاستوائية دراسة في الجغرافيا الطبيعية،** مجلة الدراسات الإفريقية، العدد 2،مركز الدراسات الإفريقية، جامعة الخرطوم، 1973.

8- مواقع الانترنت

الموسوعة البريطانية -www.britannica.com

الفهـــارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس القبائل والجماعات
- فهرس المحتوى

1–فهرس الاعلام: مع ملاحظة اسقاط كلمات ابو، ابن، سيدي

(أ)

الاصطخري:17. 20

أحمد محمد الحسان:38

الأسقيا محمد: 56. 111 . 131. 136

الأسقيا داوود: 56. 135

إدريس دونامه: 58. 59

إدريس كاتاكارامي:58

الأسقيا محمد الكبير:73

أحمد البكاي: 74. 77. 78. 97. 100. 103. 140. 141. 144. 145.

أحمد بمبا:83. 87 .88. 89 . 140. 149.

أحمد التجاني :94. 95. 99. 100.

أحمد باه:96.

أحمدو لوبو: 97. 120. 121. 122.124. 125. 126 .129 . 132. 140.145. 148.

أحمدبن احمدو: 126

ابوبكر رنفا: 138

أحمد مختار صافو:140

أدييج : 99. 101.

أحمد مو أحمد:103

الأسقيا محمد الاول:111

أحمد بن محمد الامين:114

الامين الكانمي :120

أحمدو:122

ابراهيم الزلفي:135

أحمد بابا:142. 143

(ب)

بج مغ:37.

باي بلعالم:.38

البكري:43. 135.

بانجير:47.

ابن بطوطة:58. 59. 60.

بول مارتي 69. 79.

البربوشي:78

بوطربوش:78.

(ت)

ابن تيمية:67.

التأزاري: 75.

توماس ارلوند:130.

(ج)

جارة الله مريم:83

جبريل بن عمر:113.

(ح)

ابن حوقل:17.
الحسن الوزان:18. 26.
حومي:57.
ابو حامد الغزالي:63.
بن حين: 100.
الشيخ حما:121.
الحارث بن محنض:140.

(خ)

ابي الخير حماد بن الدباس :64.
الخضر بن مايابي:100.
الخليل النحوي:138.

(د)

دلافوس: 36. 40. 43. 47.
الدمشقي:43.
دونامة: 57
بن دخ: 78.

(ذ)

الذهبي:63. 67
ذي النقاب:77.

(ر)

رينيه كلوبيه:27.
ابن رجب:66

(ز)

الشيخ زروق:74.

(س)

ساموري توري:41.
السعدي:41. 59. 135.
سبينسر تريمنغهام: 47.
سنجيتا كيتا: 53.

سندياتا: 54.

السلطان سليمان:67.

سيد الخير: 82.

سيديا بابا: 86 .98. 140.

سمبا حمدي باما: 121.

سني علي الكبير:55.

سعد بوه : 81. 82.

سرين طيب بمب: 84.

سيديا الكبير:86.

السيوطي:144.

(ش)

الشنطوفي:63.

(ص)

ابو صالح نصر:63.

صمب تكلور:84.

(ع)

عثمان دان فودي: 37.47. 76. 113. 114. 118. 122. 129. 130. 137. 140. 146.

عبدالله فودي: 37. 76. 119. 147.

عقبة بن نافع:37.

عبد الرحمن السعدي: 38. 59 . 143.

عمر الفوتي:44. 45. 46. 48. 97. 98. 102. 103. 120. 126. 140 .148.

علي كلون:55.

عبد العزيز التكروري: 61.

عبد القادر الجيلاني:. 65.63.62.

عبد الله الصومعي:63.

العز بن عبد السلام:66.

عبد الرزاق بن الشيخ الجيلاني:67.

عبد الوهاب:67.

عبد القادر:68. 72.

عبد السلام بن مشيش: 72.

عبد الكريم المغيلي:73. 77.

سيدي عمر:74. 77.

سيدي علي بن نجيب:78.

عبد الله التامكلاوي: 84.

ابن عطاء الله السكندري:86.

علي حرازم:94.

عبد الكريم بن احمد:97.

عمر بن عبد العزيز:110.

عبد الرحمن بن حمد:113.

العاقب بن القاضي محمود:135.

عبد الله البلبالي:135.

العاقب بن عبدالله الانصمي:143.

(غ)

الغزالي:86

(ف)

الفشتالي:25.

الفوتي:103.

فارما على ماتزوتيلا:104

ابن فرحون المالكي:143

(ق)

القلقشندي: 17. 18

القاسم النويري:60.

ابو القاسم التواتي:135.

القزويني:18.

ابن قدامة:66.

(ك)

كوش بن حام بن نوح:43.

الشيخ كمرا: 84

الكانمي:145.

ابن كثير:67.

كبرا فارما:122.

(ل)

لتجور:83. 84.

(م)

مانجو بارك:27.

محمد بلو:37. 71. 76. 97. 119. 148.

محمد بن عبد الكريم المغيلي:38.

محمود كعت:40. 56. 137. 143.

منسا موسى:54. 135.

منسا سليمان:54.

ابو المعالي احمد:63.

محي الدين:63.

محمد بن الحسن الباقلاني:64.

المقتفي لأمر الله:66

ابي مدين شعيب 72.

المختار الكنتي: 76. 77. 78. 79. 86. 97. 98. 140. 141. 143. 144.

المغيلي:74. 77. 107. 110. 113. 127. 128. 129. 131. 143

محمد بن الشيخ:77.

محمد الرقاد:78

محمد السوداني :78.

محمد فاضل بن مامين:80. 81.

ماء العينين:81 .82 .

محمد بن حبيب الله:83.

محمد الكبير:83.

محمد بن محمد بوصو:84.

مخت كل:84.

محمد الفاضل:80 .81

محمد اليدالي الديماني:86.

مولود فال:96. 97.

المختار بن احمد بللي سال: 96.

محمد بن ابي الحسني:98.

محمد أكنسوس:100.

محمد بن إنبوح:101.

محمد بن يعقوب رنفا:107.

محمد تنب:113.

بن مود بوغال:114.

مصطفى القوتي:115.

منصور الفزاني:135.

محمد بن عمر اقيت:136.

محمد بغيغ:136 .143 .

محمد الونكري:136.

المختار ولد الجنكي:139.

محمد بابا بن الصديق تله:140.

سيدي المختار الصغير:141.

ابن مهيب:143.

محمد الكشناوي:146.

(ن)

ناوا:116.

نافاتا:116.

(هـ)

هاشم الزنفري:114.

(و)

الوزان:19.

ابو الوفاء بن عقيل:64.

(ي)

يحي بن سعد:66.

يونافا:116.

2–فهرس الاماكن والبلدان

(أ)

اوبنغي: 9

أرض البربر: 18

انغولا: 9. 11. 13.12. 15

أوغندا:9

الاغوقاس: 22

الآهير: 73.52.22.

إفريقيا الغربية: 31 .43. 95.

إفريقيا الشرقية: 36.

اوالو42:

أعالي السنغال: 44

أعالي النيجر: 44، 47

آبشا: 52

إلورين: 120

ايندي 52

أواسط النيجر: 54

أغاديس: 74 .113

إفريقيا جنوب الصحراء74. 77 .96. 110.

120. 130. 141. 142. 144

أزواد:. 140 .145

أدرارا: 79. 82.

إقليم فوتا: 84

إقليم الجلف: 84

أرض البيضان: 86

اندارا:88

الأغواط: 94

إفريقيا: 97. 130.

(ب)

بورندي:9. 11

بحيرة ستابلي :12

بوليتاكا: 12.

البحر الاحمر:17

بلاد النوبة :19

البجة:18

بلاد الزنج:18 .19

بلاد السودان:17. 18. 19. 20. 25. 35. 43. 59. 60. 61 . 72. 107. 140

البحر المتوسط:17

بلاد التكرور:20. 37 .73

بحر القلزم:17

بلاجونتة:24

برقة:17. 36

بحيرة التشاد: 15 .16 .19 .21. 51. 57. 58 . 76. 118

بحر الغزال:15. 16.

البنين :25

بحر السودان:25

بالوم:42.

ياورال:42

بانجكارا:43

باماكو: 48

بافولاني: 48

بلاد جيلان: 62. 64

بغداد:62 .63 . 64. 65. 67.

بلاد المغرب:71 . 72. 74. 96

بجاية:72

بلاد الماندينغ: 79

البيض:95

بلاد شنقيط:95. 96. 98 . 138 . 140

بلاد جنوب الصحراء: 110

بلاد الطوارق: 113

برجو:120

بريطانيا:26 بوركينافاسو: 123

بلاد الساحل :145

بلاد الهوسا:37. 114. 117. 118. 120. 132. 135

البرنو: 37. 39. 50. 51. 52. 56. 57. 58 . 75. 76. 118.144.143
.135.137

(ت)

تشاد : 9. 10. 11. 15. 16. 46. 50. 51.

تنبكت : 19. 24. 26. 27. 44. 45. 59. 60. 74. 79. 97. 103 . 104. 135.
136. 137 . 141 . 143 .146.

توغو : 22. 97. الترارزه : 82.

تغازه : 26. تلمسان : 95.

التكرور : 43. تمباكوندا : 130.

تونس : 52. 72.

توات : 72. 73. 74. 77. 78. 145.

تيقدا : 73.

تركيا : 74.

تجالا : 76.

(ث)

ثنية النيجر : 25. 39. 44. 45.

(ج)

جني : 26. 39 .44. 58. 59. 121. 136. 137.

جنوب الصحراء : 17. 45.

جوبير : 46. 115. 116. 117.

جواندر : 120.

(ح)

الحبشة : 18.

الحوض : 80. 82.

حوض النيجر : 57.

حمد الله : 123. 136.

(خ)

خليج بيافرا : 14.

خليج غينيا : 22. 28. 35.

(د)

دمبكان : 22.

دكار : 42. 130.

دنكراي : 43.

دفان : 22.

دورا : 46.

دار فور : 52.

دلتا النيجر : 24.

دانداي : 75. 120.

الدغل : 115.

دنيري : 124.

(ر)

روندا : 9. 11.

رأس لوبير : 14.

الرأس الأخضر : 42. 49.

(ز)

زاراو : 46.

زجزح : 46.

زاغه : 59.

زامفارا : 116. 119.

زارايا : 117.

(س)

ساتومي : 9.

السودان الأوسط : 15. 19. 39. 50. 52. 57. 131. 134. 136. 137. 138. 140. 142.

السودان الغربي : 19. 20. 21. 22. 25. 28. 34. 45. 59. 73. 78. 79. 97. 104. 122. 129. 131. 134. 138.. 140.

السودان الشرقي : 19.

سيراليون : 22. 23. 24. 29. 79. 97.

السينغال : 24. 25.. 30. 31. 35 . 36. 39. 44 . 47. 75. 83. 97. 129. 149

سيجو : 24. 43. 96. 103. 122.

ساحل العاج : 25. 28. 29. 33.

سجلماسه : 26.

سنغاي : 37. 44 . 45 . 48 . 55. 56. 58 . 111. 113. 122. 131.

سانت لويس : 42.

سانسندنج : 48.

سكوتو : 76. 97. 113 . 117. 119. 120.

الساقية الحمراء : 77.

سيلياوا : 119.

سفاوا 120.

سينو : 124.

ساحل الذهب : 130.

(ش)

شمال نيجيريا : 23. 39 .

شمال إفريقيا : 35. 95.

الشو : 52.

شرق إفريقيا : 74.

شنقيط : 82. 96. 97. 140.

(ص)

الصحراء الكبرى : 17. 18. 20. 21. 22. 23. 33. 35. 36. 46. 78.

الصحراء : 17. 26 .35. 36 . 72. 80 .82. 118. 144.

(ط)

طرابلس : 36.

طوبى : 88.

(ع)

عين ماضي : 94.

(غ)

الغابون : 9. 88. 97.

غينيا الاستوائية : 9.

غرب إفريقيا : 17. 21. 22. 23. 24. 26. 27. 29. 30 . 31. 34 . 36. 44. 46. 53. 55. 56. 73. 74. 75. 76. 97. 98. 103. 117. 121.

غينيا : 22. 25. 27. 29. 39.30.

غانا : 24. 37. 45. 53. 54 .75. 97. 135.

غينيا الفرنسية : 25.

غامبيا :28 . 39. 75.

غاو : 44. 55. 59. 73. 136.

غينيا بيساو : 75.

غوير : 113.

(ف)

فوتاتورو : 22. 37. 39. 103.

فوتاجالون : 22. 23. 24. 37. 39. 43. 54. 79. 140.

فاس : 26. 94. 95.

فزان : 36. 52.57.

فوتا : 43.

الفولتا : 45.

فكلا كناري : 124.

(ق)

القارة الإفريقية : 9.

قصر بو علي : 73.

القاهرة : 95.

قصر سمعون : 95.

(ك)

الكونغو الديمقراطية : 9. 11.

الكونغو : 9. 24.

الكامرون : 9. 11. 12. 14. 15. 39.

كاساي : 9. 12.

كاتينغا : 9. 11.

كينشاسا : 12.

كانم : 16. 50. 51. 52. 57. 58. 59 . 118. 138. 145.

كاجور : 42.

كايس : 43.

كارتا : 45. 48.

كانو : 64. 73. 97. 107. 110. 111 . 119. 127. 128. 131. 144

كاتسينا : 46. 73. 75. 119.

كومبي صالح : 54.

كنغابا : 55.

كوكو : 55.

كوار : 57.

كانكاي : 79.

كوديفوار : 97.

كاغو : 111.

كيبي : 118.

كوني : 119.

كابي : 119. 120.

(ل)

ليفنغستون : 12. ليبيا : 15. 19. ليبيريا : 22. 23. 24. 29. 75.

(م)

المحيط الأطلسي : 9. 11. 12 . 13. 17. 21. 23 . 26. 27. 31 . 39. 43. 54.

المغرب : 17. 78. 94.

ماتيبا : 12.

المحيط الهندي : 17. 36.

مملكة ولاته : 18.

مصر : 17. 59. 61. 74.

مملكة كاوكه : 18.

موريطانيا : 22. 35. 88. 97.

مراكش 27. 78. 100.

مالي : 30. 37. 39. 41. 44. 47. 53. 54. 58. 60 .96. 121. 123. 141

منحى النيجر : 35. 45. 118.

ماسينا : 39. 43. 45. 49. 98. 103 . 104. 107 . 121. 122. 124 . 129. 132. 136. 144. 145 .146. 148 .

ماسينا الشرقية : 43.

مبتي : 44.

مورانو : 46.

ميدين : 48.

المبروك : 78.

مكناس : 78.

المغرب الإسلامي : 78.

مكة : 95. 97.

مالانفال : 121.

(ن)

نهر النيجر : 20. 24. 25. 28. 35. 48. 75. 122 . 123 . 143.

نيجيريا : 15. 24. 25. 30. 33. 46.

النيجر : 15. 19. 23. 24. 27. 29. 30 .36. 39. 41 .43. 44 . 47 .48. 51. 57.

نوميديا : 19.

نهر السنغال : 20. 22. 24. 27. 35. 42. 43. 48.

نهر غامبيا : 20. 24. 28. 49. 50.

نهر الفولتا : 20. 24. 28.

نهر الكازمس : 24. 28.

نهر الداهومي : 24.

النيل :19 . 24. 26. 43. 52.

نهر شاري : 25.

نيل السودان : 25. 26.

نهر سالوم : 28. 47. 49.

النيجر الأعلى : 41.

نيورو : 43. 96.

النيجر الأوسط : 44.

نوب : 120.

نيدوبي : 124.

(هـ)

هضبة النيجر : 22.

هضبة هوس : 23. 24.

الهوسا : 23. 24 . 39. 58. 73. 113. 145.

هيري : 124.

(و)

وسط إفريقيا : 9. 10. 11. 14. 15.

واداي : 15. 16. 39. 50. 52. 57.

واد النيجر : 22.

ونغارة : 37.

الولف : 42.

وسط وغرب إفريقيا : 53. 58. 74. 95. 127. 135. 138. 140. 142. 145. 149.

ولاته : 60. 74. 77. 78. 79.

الواحات : 72.

واد الشب : 77.

(ي)

يامندا : 11.

يوشي : 119.

يوغو ماسيرو : 121.

3–فهرس القبائل والجماعات

(أ)

أولاد دليم:34.

الاندلسيين:43.

أهل السودان:117.

إزنامكة:80.

أولاد سليمان:51

الإنجليز:120.

(ب)

البربر:34. 42. 43. 44. 50.

البمبارا: 39. 40. 46. 47. 76. 103

الباغرامي: 49 .50.

البراكنة:34

البريطانيين:45.

البولالا:57.

(ت)

الترارزة:34.

التنجار:51.

التكرور:42. 43. 48. 136.

التوبو:57.

(ج)

قبائل الجعلين:51.

(د)

الديولا:39. 40. 44. 45.

(ر)

الرقيات:34.

(ز)

زناته:34. الزنوج:50.

(س)

سنغاي:43. 44. 76. السوننك:44.

السرير:48. 49.

(ص)

صفاره:42. الصاو:57.

(ط)

أهل الطالب: 34. الطوارق:43

(ع)

العرب:17 .18 .20 .34. 36 . 39. 42. 49. 50. 51.

(ف)

الفلان: 35 .36. 37 . 38. 39. 44. 49. 132. 145.

قبائل الفولتا العليا:47. 76.

(ك)

الكانمبو:49. 50. الكانوري:49. 50.

كنتة:74. 140. 141. 145.

(ل)

لمتونة:43.

(م)

المغارية:34. 43. 58

المانديغ:39. 40. 43. 44. 47. 49. 136.

مغراوة:42.

الموسى:47. 48.

المسحيين: 131.

أهل المختار:34. 80.

الملينكي:49.

المسلمين:46.

الماندي:76.

قبائل موريتانيا:136.

(هـ)

هرتين:34.

الهوسا:46. 132.

(و)

ولاته: 34. 74.

الولوف:41. 42. 48. 92. 136.

الونجارة:49.

الوثنيين: 131.

فهرس المحتوى

المحتوى	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
المختصرات	
مقدمة	أ
الفصل الأول: المجال الجغرافي والطبيعي والبشري لوسط وغرب إفريقيا	
المبحث الأول : الوسط الجغرافي والطبيعي	09
أولا : إقليم وسط إفريقيا	09
1- الموقع الجغرافي	09
2-الدراسة الطبيعية	10
3- التشاد دراسة طبيعية	15
ثانيا : إقليم غرب إفريقيا	17
1- التسمية والموقع	17
2- التضاريس	21
3- الأنهار	24
4- المناخ	29
5- النبات الطبيعي	33
المبحث الثاني : الدراسة البشرية	34
أولا : السلالات البشرية	35

1- السلالة البيــضاء	35
2- السلالـة الزنجـية	35
ثانيـا : المجموعات البشريـــــة	36
المبحث الثالث : نظرة عن الأوضاع العامة قبيل القرن 16م	53
اولا- الأوضاع السياسية	53
1- إمبراطورية مالي	53
2- مملكة سنغـاي	55
3- دولة الكـانم والبورنو	56
ثانيا- الأوضاع الاقتصادية	58
ثالثا- الأوضاع العلميـة	59
الفصل الثاني: الطريقـة القادريــة ؛فروعها وعلاقتها بالتجانية بوسط وغرب إفريقيا	
المبحث الأول : التعريف بالطريقة القادرية	62
أولاً : التعريف بالطريقة القادرية	62
1- نسبـــــه	62
2- نشــأتـــه وحياته	63
3- أقـوال العلمـــاء فيه	66
4- آثـــــاره	67
5- طـريـــــقته	68

ثانيـا : انتشار الطريقـة القادريـة بوسط وغـرب إفـريقيا	75
المبحث الثاني: فروع الطريقة القادرية بوسط وغرب افريقيا	77
أولاً : الطريقة القادرية البكائية (المختارية)	77
1- تأسيس الطريقـة	77
2- ورد الطريقة البكائيـة	79
ثانيـا : الطريقـة الفاضليـة	80
1- تأسيس الطريـقة	80
2- مبـادئ الطريقـة الفاضليـة	81
3- شيوخ الطريقة الفاضليـة	82
4- ورد الطريقة الفاضلية	82
ثالثـا : الطريقـة المريديـة	83
1- مؤسس الطريقة وحياته	83
2- أسس ومبادئ المريدية	88
3- ورد المريديـة	93
المبحث الثالث : العلاقة بين القادرية و التجانية بالمنطقة	95
أولا: التعريف بالطريقة التجانية	95
ثانيا: انتشار الطريقة التجانية في إفريقيا جنوب الصحراء	97

ثالثا: التنافس القادري التجاني بالمنطقة	98
الفصل الثالث: المساهمة الحضارية للطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا	
المبحث الأول : المساهمة السياسية للطريقة القادرية	107
أولا : تأثير آراء الشيخ المغيلي في الحياة السياسية	107
1- رسالة و وصية المغيلي لأمير كانو	107
2- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي	111
ثانيا : الدول القادرية بوسط وغرب افريقيا	113
1- دولة الفلاني (سكوتو)	113
2- حركة أحمد لوبو الماسيني ودولته	120
المبحث الثاني : المساهمة الاقتصادية والاجتماعية	127
أولا : الناحية الاقتصادية	127
ثانيا : الناحية الاجتماعية	130
المبحث الثالث : المساهمة الثقافية	134
. أولا : مراكز الإشعاع الديني والثقافي	134
1- نشاط المساجد	134
2- الكتاتيب:	136
3- المحاضر	138

4- الزوايـا	140
ثانيا : آثار الحركة العلمية والثقافية	141
أ – مرحلة عصر التكوين	142
ب- مرحلة عصر الازدهار	145
الخاتمة	150
الملاحق	154
قائمة المصادر والمراجع	185
الفهارس	
فهرس الأعلام	202
فهرس الأماكن والبلدان	211
فهرس القبائل والجماعات	224
فهرس الموضوعات	227

الملخص

أن هذه الدراسة تتناول الطريقة القادرية في وسط وغرب افريقيا ومساهمتها الحضارية من القرن 16م الى القرن19م ،فنجد أن الطريقة القادرية ولجت إلى إفريقيا جنوب الصحراء منذ أواخر القرن 15م ،عبر منطقة توات وماجورها ،بواسطة العلماء والتجار ، من امثال الشيخ عبد الكريم المغيلي لتنتشر بين ابناء المنطقة ، وينتمي اليها ملوك وزعماء قبائل كبرى ككنتة والفلان .

وتبرز المساهمة الحضارية في تأثيرات افكار وأراء علماء الطريقة بالمنطقة في تكوين الكيانات السياسية في وسط وغرب إفريقيا ؛كالسنغاي ودولة سكوتو و البرنو ، كما عمل القادريون على تشجيع العلم و الغلماء ،من خلال فتح المدارس والمحاضر وارسال البعثات العلمية نحو بلاد المغرب ،مما ادى إلى بروز فقهاء وعلماء من أبناء المنطقة ، وتحولت الثقافة المحلية من ثقافة شفاهية إلى ثقافة مكنوبة ، وازداد التاليف والنشر باللغات المحلية كلغة الهوسا والفلان وعرف المجتمع نقلة نوعية في تقاليده واخلاقه ، وفي خضم هذه التطورات انبثقت عن الطريقة القادرية الام عدة طرق صوفية كالطريقة البكائية زالطيقة الفاضلية والطريقة المريدية ،أسهمت بدورها في نشر الاسلام وتوسيع المنتسبين للفكر القادري

كما تناولنا في هذه الدراسة التنافس الصوفي القادري التجاني وتاثيره على المنطقة ، من خلال عرض الرسائل والقصائد المتبادلة بين القطبين ،والمعارك التي دارت بين الطرفين.

Abstract

This thesis addresses The Qadiriyya in central and western Africa and its contribution to civilization from the 16th to the 19th century, we find that The Qadiriyya entered the sub-Saharan Africa in the late 15th century, through the Touat area and its surroundings , by Ulamas and traders, like the Sheikh Abd al-Karim al-Maghili , and spread among the people of the region, and it gained the affiliation of kings and leaders of the major tribes like Kounta and flan .

The contribution of civilization is shown through the in effect of the Ulamas's ideas and views in the creation of the political entities in Central and Western Africa; such as Songhai, the state of Sokoto and Bornu. The Qadiriyyans also worked on the promotion of knowledge and scientists, through the initiation of schools and providing scholarships to Maghreb, which led to the emergence of scholars and scientists from the region .The local culture shifted from an oral to a written culture, and Authoring and publishing in local languages like Flan and Hausa increased. The society experienced a unique leap in its traditions and manners. In the midst of these developments several orders, such as Al-Boukaia, Al-Fadilia and Al-muridia, have emerged from the Qadiriyya . In turn, it contributed to the spreading of Islam and multiplying the Qadiriyya associates.

The study also deals with the Sufi rivalry between the Qadiriyya and the Tijaniyya and its effect in the region through the presentation of the messages and poems exchanged between the two poles, and the battles that took place between the two orders.

Résumé

Cette étude porte sur la confrérie Qadiriya en Afrique centrale et occidentale et de sa contribution à la civilisation du 16ème siècle au 19ème siècle. Nous constatons que la confrérie Qadiriya a pénétré l'Afrique sub-saharienne depuis la fin du 15ème siècle, à travers la région de Touat et ses voisinages par les savants et les commerçants, comme le Sheikh Abdul Karim Maghili. Elle s'est répandue parmi la population de la région, des dignitaires et des chefs de grandes tribus adoptent les préceptes de la confrérerie telles que Kintah et Filan.

La contribution de la confrérie Qadiriya apparait dans l'influence de la pensée des savants de la confrérie dans la région en formant des entités politiques en Afrique centrale et occidentale comme Singhay ,l'Etat de Scotto et Alberno. De plus, les Qadirites ont travaillé pour la promotion de la science et ont encouragé les savants par le biais de l'ouverture des écoles et les expéditions scientifiques dans les pays du Maghreb.Cela a conduit à l'émergence des savants et des juristes originaires de la région, la culture passe de l'oral à l'écrit, l'accroissement des écrits et des publications dans les langues locales comme le Haoussa et le Filan, la société connaît un bond qualitatif dans les traditions et les mœurs. Au milieu de ces développements émergent de la confrérie Qadiriya mère plusieurs confréries telles que les confréries Bakaiah, Fadiliyah, Almeredah ,qui à leur tour ont contribué à la diffusion de l'Islam et à l'augmentation du nombre des adeptes de la pensée qadirite.

Nous avons également évoqué dans cette étude la rivalité entre Qadirites et les Tidjanites et son impact sur la région à travers la présentation des épitres, des poèmes entre les pôles ainsi que les querelles qui ont eu lieu entre les deux parties